أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
AL-Wael AL-Islami

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الإعلام والعلاقات الخارجية

موسوعة شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم

الرحمة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾

الجزء الثاني

تأليف
أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري
أستاذ السيرة النبوية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سابقًا

الإصدار مائة وأربعة وتسعون
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

مَوْسُوعَةُ شَمَائِلِ المُصْطَفَى ﷺ

الرَّحْمَةُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ

(٢)

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الإعلام والعلاقات الخارجية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة الكويت - في مطلع كل شهر هجري

جميع الحقوق محفوظة

الإصدار مائة وأربعة وتسعون
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

ISBN:978-99966-69-33-6

العنوان:
ص.ب ٢٣٦٦٧
الرمز البريدي ١٣٠٩٧ الكويت
هاتف: ٢٢٣٤٣٩٩٩ - داخلي: ٤٥٩٧
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣

البريد الإلكتروني
alwaeiq8@gmail.com

الموقع الإلكتروني
www.alwaei.gov.kw

الإشراف العام
رئيس التحرير
فهد محمد الخزي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة
قطاع الإعلام والعلاقات الخارجية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

موسوعة شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم

الرحمة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾

الجزء الثاني

تأليف
أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري
أستاذ السيرة النبوية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سابقًا

الإصدار مائة وأربعة وتسعون
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

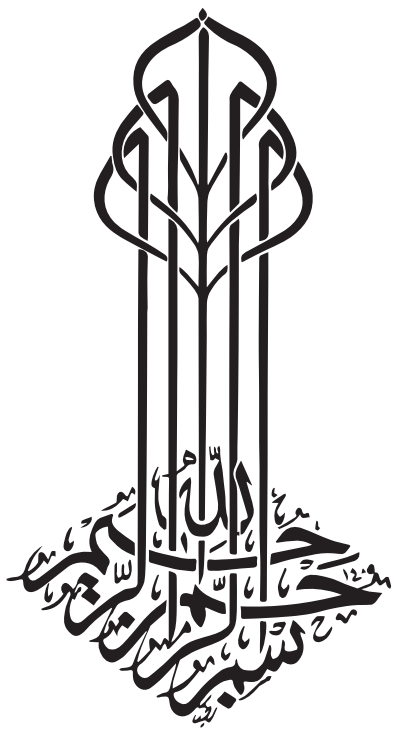
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

لمن آمن وصدق بأن ما جاء به ﷺ كله رحمة كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء].

مقدمة:

الحمد لله القائل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء].

والقائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾ [الفتح].

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فحين نتحدث عن أخلاق وشمائل النبي ﷺ يتبادر إلى الذهن مباشرة قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم].

وأمر الله ﷻ للناس بالتأسي به في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب].

وقد قال ﷺ: ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)).(١)

كما قالت أم المؤمنين عائشة ﵂: ((إِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ)).(٢)

وقد وجدت نفسي وأنا أكتب هذا البحث عن الرحمة في حياة النبي ﷺ أشعر ويزيد يقيني حقًّا أنه ﷺ رحمة للإنسانية، ومعلمٌ لها في التراحم.

وعند البحث لا بد من الاستشهاد بالآيات القرآنية المرتبطة بالرحمة، حيث تكثر في كتاب الله في إعجاز يقف الإنسان مندهشًا أمام ما في

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، عن أبي هريرة، ج٢/٣٨١؛ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج١/٧٥؛ واشتهر عند الناس بألفاظ أخرى لم أتمكن من تخريجها.

(٢) من رواية مسلم في صحيحه، في حديث طويل: باب جامع صلاة الليل، ج٢/١٦٩.

القرآن الكريم من شمول وكمال وعلم رباني يُعلِّمه الله ـ سبحانه ـ لخلقه لنشر الرحمة والتراحم بين الخلق، وما في السنة من بلاغ نبوي يعجز الإنسان عن وصفه.

ولا نستطيع دراسة أي خلق للنبي ﷺ في أي موقف، إلا إذا بحثنا في القرآن الكريم أولاً عمَّا ورد في هذا المقام، حتى نربطه بما نُزل على سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ في الوحيين: القرآن الكريم والسنة، كما أنه لا بدَّ أن تُذكر الأحكام الشرعية التي مناطها سعادة الإنسان في الدارين، وحسن المعايشة والتعامل والرحمة.

وقد رأيناه ﷺ يعمل على إشاعة المحبة والسلام والرحمة بين الناس.

ولا أشك أن دراسة رحمته ﷺ جزء من سنته.

ورأيت أن غالب ما انتشر من كتب وبحوث حول رحمته ﷺ كان مختصرًا رغم كثرة الشواهد من الآيات القرآنية، والسنة النبوية.

ولعلى بجهدي المتواضع هذا حاولت طرح شيء من موضوعات متعددة مرتبطة بالرحمة في حياة النبي ﷺ، اجتهدت في الترتيب والتخريج بما يسره الله لي.

وحين دخلت في هذا الموضوع اكتشفت تشعبه وكثافة مادته ودقة تفصيلاته، وخصوصًا حينما نربطه بالقرآن الكريم وبحياته ﷺ وحياة الناس في البيئة التى عاش فيها النبى ﷺ، وكثيرًا ما كنت أقف منبهرًا أمام بعض المعلومات الدقيقة التي يجرني إليها البحث في كتاب الله و سنة رسول الله ﷺ؛ من شواهد للاستدلال بها، فأحس أحيانًا وكأني أسمع الآية أو الحديث لأول مرة، وسبب ذلك هو ربطها بالرحمة في حياته ﷺ.

والرسول ﷺ أسوة للأمة، بل للإنسانية جمعاء إلى يوم القيامة، في الرحمة يتأسى به الناس أجمعون.

أسال الله ـ تعالى ـ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجد فيها المتعلم والمعلم ما ينفعه، وما تزيد به محبتنا لرسول الله ﷺ وقربنا منه وتأسينا به واقتداؤنا، ورحمتنا للخلق.

أ. د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

الرياض ١٤٤٠هـ

تعريف الرحمة:

هي إرادة إيصال الخير للغير، ورِقَّةٌ تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُومِ بالإنعام والإفضال.

والرحمة هي التعاطف، والرأفة، والرقة، والمغفرة، واللين، والشفقة، والرزق.

والرحمة صفة تقتضي إيصال الإحسان والمعروف، والمصلحة، والمنفعة للعبد، بغض النظر عما إذا رضي بها العبد وفرح بها، أو كرهها وشقّت على نفسه.[١]

الرحمة من صفات الله ـ تبارك وتعالى ـ التي يتصف بها، وكتبها على نفسه، ويحبها في عباده، فهو الرحمن الرحيم، والمؤمن إنسان ذو قلب رحيم؛ لأن مثله الأعلى أن يتخلق بأخلاق الله ـ تعالى ـ التي يرتضيها لعباده، التي لها حظ من أسمائه الحسنى. ومن الصفات الإلهية: (الرحمة) التي وسعت كل شيء، وشملت المؤمن والكافر، والبر والفاجر، واستوعبت الدنيا والآخرة.

وقد وردت لفظة (رحمة) وما اشتق منها في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة.

والتركيز على ما ورد في القرآن الكريم من الرحمة يرتبط مباشرة بنبي الرحمة ﷺ الذي كان يتلو القرآن وهو خُلقه، ويبشر به الناس.

ومن أبرز أسماء الله الحسنى: (الرحمن الرحيم)، وهما أشهر الأسماء بعد لفظ الجلالة (الله)، والمؤمن بالقرآن الكريم كلما تلا كتاب الله أو بدأ

---

(١) انظر: الفيروز آبادى، القاموس المحيط، مادة (رحم)، ج٤/١١٩؛ والزبيدي، تاج العروس، مادة (رحم)، ج٨/٣٠٥.

سورة منه، افتتحها بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) في ثلاث عشرة ومائة سورة، لم أعدها ضمن ما ورد في الآيات سوى ما في الفاتحة، ودعاء الله بالرحمن وبأسمائه الحسنى ابتغاء ما عنده، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء].

وحسبنا أن يردد المسلم هذين الاسمين في صلاته المكتوبة ما لا يقل عن أربع وثلاثين مرة في اليوم، فهو كلما أدى ركعة قرأ في فاتحة الكتاب: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ [الفاتحة].

وهي سبع عشرة ركعة في الصلوات الخمس المفروضة المكتوبة على المسلم في يومه، فإذا أدى السنن زاد ما شاء الله أن يزيد.

ولهذين الاسمين الكريمين (الرحمن الرحيم) إيحاء قوي في نفس المؤمن، فضلاً عما توجبه عليه عبوديته لله أن يكون له حظ من ذكر الله وأسمائه تعالى.

وقد جاءت تسمية سورة من سور القرآن الكريم بالرحمن، وافتتحت السورة بهذه الصفة له سبحانه ـ تعالى ـ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾﴾ [الرحمن].

وقد وصف الله نفسه بصفة (الرحمة) في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وكتبها على نفسه، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة].

وأبواب (الرحمة) عند الله ﷻ واسعة، لا يستطيع أحد أن يمنعها عن خلقه، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر].

ورحمته ﷻ واسعة، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام].

والإيمان برحمة الله ورجائه من صفات المؤمنين، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

ودخول المؤمن في رحمة الله لعباده الصالحين، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء].

وطلب رحمة الله هو ديدن العباد مع خالقهم، ويتميز به طائفة منهم، ورد الحديث عنهم في مقام الثناء، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون].

كما أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لرضا الله رجاء رحمته، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور].

ورحمة الله أو عذابه لا يستطيع أن يمنعهما أحد من الخلق، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الأحزاب].

وكما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الملك].

والله ﷻ بكرمه وعفوه يضاعف رحمته، ويهدي السبيل، ويغفر للعبد، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ

كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد].

والتأكيد على الإيمان باسم من أسمائه ـ سبحانه ـ وهو الرحمن يرد في عدد من الآيات، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الملك].

والرحمة منه ـ سبحانه ـ، ويبعدها عن الظالمين كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان].

والقنوط من رحمته ـ تعالى ـ من علامات الضلال، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر].

وقد كتب الله ﷻ على نفسه الرحمة، وعلمها نبيه، وأخبر الخلق بفتح باب التوبة للمسيئين حتى يتجاوزوا الخطأ، ويدخلوا في رحمة الله ولا ييأسوا، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام].

وأطمع الله عباده في الرحمة وعدم القنوط منها، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر].

وأكد على أن آياته نور ورحمة منه، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد].

كما أكد أن لرحمة الله خزائن ليست بيد الخلق: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الإسراء].

وأكد على أن قسمة الرحمة ليست بيد العباد، بل من عنده ﷻ كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف].

ورحمته وطريقها وطلبها من فضله ـ سبحانه ـ، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء].

كما كتب على نفسه الرحمة لمن أطاعه: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنعام].

وأكد ـ سبحانه ـ على أن القرآن الكريم من الرحمن الرحيم، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [فصلت].

كما أكد ـ سبحانه ـ أنه رحيم مع عزته وقوته، وليس غير ذلك، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الدخان].

وقد كانت رحمة الله عن علم وقدرة ووحدانية، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر].

وتعليم الرحمة والتواصي بها مما جاء به الرسول ﷺ، وتواصى به المؤمنون، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ [البلد].

ومن شريعته: نشر الرحمة بين الناس، وأولاهم بالرحمة هم الوالدان اللذان رحماك وربياك أيها الإنسان في صغرك، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء].

كما يأتي في الأولوية تراحم الزوجين مع المودة فيما بينهما، وكان ﷺ مثالاً لذلك في تعامله مع أمهات المؤمنين، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم].

ويأتي الإصلاح بين الناس، وخصوصًا المؤمنين الذين وصفوا بالإخوة، من أبواب رحمة الله، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات].

وأمر المؤمنين بالتواصي بالمرحمة، وربطها بالإيمان في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ [البلد].

واختص الله برحمته من يشاء، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران].

كما جعل أفعال المؤمنين من أبواب رجاء رحمة الله، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة].

وقد أكدت الآيات القرآنية ربط (الرحمة) بالقرآن الكريم وما جاء فيه، وأن القرآن الكريم هو رحمة من الله ﷻ، وأنه ليس من ذات الرسول، بل من فضل الله عليه وعلى الناس، ورحمة من الله، كما في قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴿٨٦﴾﴾ [القصص، من الآية ٨٦].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [النمل].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان].

كما وصفت آيات القرآن الكريم رسول الله ﷺ وهو أرحم الخلق بالخلق، ومن صحبه وتربى على يديه، وكان فيها تأكيد على التراحم بينهم، وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

وكان ﷺ أسوة لبقية الصحابة في طلب رحمة الله ورجاء ما عنده، يقول ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة].

وقال ﷺ: ((جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)).(١)

كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة: ((لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش: إن رحمتي تغلب غضبي)).(٢)

رسول الله ﷺ وطلب الرحمة:

وكان ﷺ ينشد رحمة الله، ويطلبها من الله في كل حياته، فقد ورد عن عوف بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ((كنت مع رسول الله ليلة، فاستاك، ثم توضأ، ثم قام يصلي، فقمت معه، فبدأ فاستفتح البقرة، فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم ركع، فمكث راكعًا بقدر قيامه، ويقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، ثم سجد بقدر ركوعه، ويقول في سجوده: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، ثم قرأ سورة آل عمران ثم سورة، يفعل مثل ذلك)).(٣)

وكان ﷺ يوصي بالمستضعفين حتى آخر لحظة من حياته، قال أنس رضي الله عنه: كانت عامةُ وصية النبي ﷺ حين موته: ((الصلاةَ، وما ملكَت أيمانُكم».

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء، ج٧/٦٥.

(٢) رواه البخارى في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ويحذركم الله نفسه، ج٨/١٧١؛ ورواه مسلم، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله، ج٨/٩٥.

(٣) رواه النسائى في سننه الصغرى، كِتَاب الصلاة، باب التَّطْبِيقِ، وباب الذِّكْرِ فِي الرُّكُوعِ - نوع آخر من الذكر -)، ج٢/١٩١؛ وأبو داود في سننه، كِتَاب الصَّلاةِ، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، ح برقم: ٨٧٣، ج١/٢٣٠.

قال: حتى جعل رسول الله ﷺ يُغرغِرُ بها صدرُه، وما يكادُ يُفيضُ بها لسانُه ـ أي: يُوصِي بها حتى فاضَت روحُه ـ.(١)

وهذه وصية واضحة منه ﷺ بالرحمة بهؤلاء المستضعفين الذين هم بحاجة للعناية والعطف أكثر من غيرهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لن يُنَجِّيَ أحدًا منكم عملهُ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة، سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا)).(٢)

وفي حديث أنه ﷺ قال: ((فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا)).(٣)

قال ﷺ: ((لو يعلَمُ المؤمنُ ما عندَ اللّهِ مِن العقوبةِ ما طمِع بجنّتِه أحَدٌ، ولو يعلَمُ الكافرُ ما عندَ اللّهِ مِن الرّحمةِ ما قنَط مِن جنّتِه أحَدٌ)).(٤)

وكان ﷺ يُشْعِرُ المبتلى برحمة الله، وبما عند الله له من رحمة لصبره على البلاء. رُوي عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: ((أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون،

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/١١٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب القصد والمداومة على العمل، ج٧/١٨١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾، ج٨/١٧٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ج٨/٩٧؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب خلق الله مائة رحمة، ح برقم: ٣٥٤١، ج٥/٥٤٩.

فأخبرها نبي الله ﷺ أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرًا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد)).[١]

وكان يلفت نظر الناس إلى سعة رحمة الله من الواقع المشاهد بينهم، ويقرب لهم معنى الرحمة الربانية على طريقته في الاستفادة من الأحداث والمناسبات؛ لغرس المبادئ، ومنها: الرحمة حين قدم عليه مرة بسبى، وإذا امرأة تسعى، إذ وجدت صبيًا في السبى، فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته؛ فقال رسول الله ﷺ: ((أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قالوا: لا ـ وهي تقدر على ألا تطرحه ـ قال: فالله أرحم بعباده من هذه بولدها)).[٢] كانت بعثته ﷺ منَّة من الله على عباده يتلو عليهم آيات الله، ويعلمهم سنته ﷺ، وكلها رحمة وهدى للخلق، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

وقد حمل رسول الله ﷺ الرحمة، وحُمل إياها في رسالة رب العالمين، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك بوضوح، وأكد على أن هذه الرحمة للعالمين كلهم، وهذا يعني جميع الخلق بلا استثناء. ومن يتمعن فيما جاء به ﷺ من شريعة شملت كل شيء يدرك أنها رحمة لكل الكائنات بلا استثناء، يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) رواه البخارى في صحيحه، كتاب الطب، باب أجر الصابر في الطاعات، ج٧/٢٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج٧/٧٥؛ ورواه مسلم، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه، ج٨/٩٥.

ولتأكيد هذه الرحمة فقد ربطت بكتاب الله وما جاء فيه، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت].

كما أكدت آيات أخرى صفة الرحمة عند النبي ﷺ، رغم ما يصيبه من أذى المنافقين، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة].

وقد كان ﷺ يرغب في هداية المنافقين، ويستغفر لهم؛ رغبة في رحمة تصيبهم من الله، فأشار الله إلى ذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [التوبة].

وقد اتصف ﷺ بعدد من الصفات، منها: رحمته ﷺ بمن يتعامل معهم من الناس عمومًا، ومن أصحابه خصوصًا، جعلته يلين لهم ليزيدوا قربًا منه ومن رحمته، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران، من الآية: ١٥٩].

وأكد على صفة الرحمة فيه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة].

وأكد على صفة الرحمة في نبيه ﷺ في مواضع أخرى، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة].

ويتعامل معهم ﷺ بما أدبه الله عليه من رحمة للمؤمنين، وحسن تعامل معهم، وحنو وعطف، قال ـ تعالى ـ في سورة الحجر: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر].

وقال ـ تعالى ـ في سورة الشعراء: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء].

ومن صفات الرسول ﷺ: أنه نبي الرحمة، فقد ورد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: لقيت النبي ﷺ في بعض طرق المدينة فقال: ((أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا نبي الرحمة، ونبي التوبة، وأنا المقفي، وأنا الحاشر، ونبي الملاحم)).[1]

وفي لفظ: ((أنا محمد، وأحمد، والمُقفِّي[2] والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة)).[3]

قال أنس رضي الله عنه: كانت عامةُ وصية النبي ﷺ حين موته: ((الصلاةَ، وما ملكَت أيمانُكم))، قال: حتى جعل رسول الله ﷺ يُغرغِرُ بها صدرُه، وما يكادُ يُفيضُ بها لسانُه. أي: يُوصِي بها حتى فاضَت روحُه.[4]

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) المقفِّي: الذي قَفَّى آثار من سبقه من الأنبياء: (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا). (انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ج١/٩٤).

(٣) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، ج٧/٨٩؛ وانظر: شمائل الترمذي، برقم: ٣١٦، (مختصر الألباني).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/١١٧؛ رواه ابن ماجه في سننه، ج٢/٩٠١؛ ورواه النسائي في سننه، ح برقم: ٦٨٢٩.

وقال ﷺ في أهل الجنة الذين أخبر عنهم بقوله: ((أهل الجنة ثلاثة، وذكر منهم: ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم)).(١)

وتؤكد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن اللطف والرحمة من طبيعته ﷺ، وأنهما أصل فيه، فتقول في حالة استثنائه: (إلا أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي؛ كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي. فلم يفعل ذلك في شكواي تلك، فأنكرت منه، وكان إذا دخل علي وأمي تمرضني قال: ((كيف تيكم))؟ لا يزيد على ذلك. قالت: حتى وجدت في نفسي مما رأيت من جفائه عني. فقلت له: يا رسول الله؛ لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرضتني، قال: لا عليك، قالت: فانتقلت إلى أمي، ولا أعلم الحديث...).(٢)

وفي قصة إسلام أبي سفيان رضي الله عنه قال له العباس رضي الله عنه: ائته من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف]، فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه جوابًا، ففعل ذلك أبو سفيان، فقال له ﷺ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف، من الآية: ٩٢](٣).

وستأتي مواضع متفرقة من مواقف رحمته ﷺ مع كافة البشر بمنازلهم المختلفة، ومع الحيوان.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ج/١٥٩؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، (مسند عياض بن حمار المجاشعي)، ج٤/١٦٢.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة النور، باب قوله تعالى﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾إلى قوله: ﴿ الْكَاذِبُونَ ﴾، ج٥/٥.

(٣) انظر: تفسير الآية من سورة يوسف عند ابن جرير الطبري في تفسيره، ج١/٤٠٩.

بنات المصطفى ﷺ ورحمته بهن:[1]

بنات النبي ﷺ ولدن وعشن وتربين في أفضل بيوت بني آدم عبر الزمان والمكان، بيت المصطفى ﷺ، سيد ولد آدم، أمهن جميعًا خديجة بنت خويلد، أشرف وخير نساء العالمين، بيتهن بيت النبوة والصدق والعفة والطهارة (بيت الجنة)، رباهن ﷺ أفضل تربية، وتعامل معهن بالرفق والعطف والمحبة والحنان قبل البعثة وبعدها.

أنعم الله عليهنَّ بالهداية، فكنَّ من أوائل المؤمنات برسول الله ﷺ المصدقات به، رغم تفاوتهنَّ في العمر.

شاركن رسول الله ﷺ همَّ الدعوة، ودافعن عنه في الشدائد، ومررن كما يمر غيرهنَّ بظروف مختلفة في الزواج والولادة والمعاشرة، فكانت لرسول الله ﷺ مواقف مع كل حال من أحوالهن.

عشن مع رسول الله ﷺ في مكة قبل البعثة وبعدها، وفي المدينة بعد الهجرة في كنف أزواجهنَّ، وفي الغالب مجاورات لرسول الله ﷺ، يتعامل مع من بقي منهن بشكل شبه يومي، رعى وعطف على أبنائهن وبناتهن، وكانت لهن مواقف نجم عنها أحداث ارتبطت بأحكام شرعية عملت بها الأمة، ولا تزال.

---

(١) أُلِّفت في بنات النبي ﷺ عدد من الكتب، منها: عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، (بنات النبي)؛ ومحمد راتب النابلسي، (سيرة بنات النبي)، وغيرها كثير؛
وانظر: الدولابي، محمد بن أحمد بن حماد (ت، ٣١٠ هـ)؛ (الذرية الطاهرة النبوية)، تحقيق سعد المبارك الحسن، ط١ ـ الكويت: الدار السلفية ١٤٠٧هـ.
وقد كتبت عنهن بالتفصيل في قسم خاص من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، الجزء الخامس (المعايشون للمصطفى ﷺ)، وما أوردته عنهن هنا هو في غالبه مما كتبته في ذلك القسم، مع تعديل لا يكاد يذكر.

حينما بعث الرسول ﷺ كانت بناته من أوائل المؤمنين برسالته والمصدقين به بكل اقتناع.[١] ولا شك أنه ﷺ كان يعلِّم بناته القرآن الكريم وتشريعات الإسلام، كما أنه من الثابت صلاته بهن في منزله ﷺ.

فارقن الحياة جميعًا في حياته، عدا فاطمة ﷺ، كانت أسرع أهله لحاقًا به بعد وفاته، حزن ﷺ لفراقهن أو لفراق بعض أبنائهن.

التعرف عليهنَّ وأحوالهنَّ مع النبي ﷺ جزء مهم من معرفة شمائله ﷺ وخلقه مع البنات، فهو ﷺ قدوة للأمة كلها ﷺ، وحياته معهن فقه ودروس.

عاملهن ﷺ أحسن معاملة وكان رفيقًا عطوفًا رحيمًا بهن.

ويرتبهنّ أهل العلم بحسب سنهنَّ، وهنَّ كالآتي:

زينب بنت الرسول ﷺ:

كبرى بنات رسول الله ﷺ، ولدت في السنة العاشرة قبل البعثة،[٢] وقد أحبها الرسول ﷺ، وعطف عليها، وهو الرحيم بالصغار والكبار ﷺ، كان لولادتها عظيم الأثر على بيت المصطفى ﷺ، حيث سُرَّ النبي ﷺ بها، وقد نشأت وترعرعت في كنف النبوة، وتلقت مع أخواتها سامي الأخلاق والتربية من والدها ﷺ ومن أمها خديجة ﷺ.

وفي سن الزواج خطبها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن شمس بن عبد مناف بن قصي، وهو ابن لخالتها هالة بنت خويلد، ولا شك أنه ﷺ من رحمته بها لم يقبل بزوجها إلا عن اقتناع بأخلاقه وحسن تعامله، وأنه مؤتمن على ابنته ﷺ، فقد عُرف أبو العاص بين شباب قريش بالصدق وحسن

(١) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٤٦٧؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٤٦.
(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٠؛ وابن حجر، الإصابة، ج٤/٢١٢.

الخلق، إضافة إلى القرابة من ناحية الأم، فهو ابن خالتها هالة، وهي شديدة الصلة ببيت النبوة، وتشبه أختها خديجة في حسن التعامل والأخلاق، وهي ستشارك الابن في التعامل مع زينب ﵂، وقد وافق الرسول ﷺ على زواج أبي العاص منها، ولا شك أن الخطبة والموافقة مرت بمراحل، بيَّنت حسن اختيار النبي ﷺ لزوج ابنته الكبرى، واستشارته لها، وكل ذلك في باب الرحمة. وقد عاش الزوجان حياة سعيدة،[١] وكان أبو العاص رجلاً تاجرًا يسافر كثيرًا في تجارته إلى الشام وغيرها، تاركًا زوجته عند والدته هالة؛ وهي خالتها.[٢]

ولا شك أن الرسول ﷺ كان يعتني عناية خاصة بزينب في غياب زوجها وفي حضوره.

وكان أبو العاص في تجارة إلى الشام، فلما عاد عرضت عليه زينب الإسلام كما عرض عليه ذلك الرسول ﷺ، فتردد رغم ثنائه على الرسول ﷺ ومعرفته به وبصدقه.[٣]

وعند اشتداد الأذى برسول الله ﷺ في مكة، كانت زينب أقل تعرضًا من غيرها للأذى؛ لوجودها في بيت أبي العاص عند خالتها هالة، وفي هذه الأثناء ولدت زينب طفليهما أمامة بنت أبي العاص وعلي بن أبي العاص.[٤]

وحين هاجر الرسول ﷺ مع أهل بيته إلى المدينة بقيت زينب في مكة[٥] مع زوجها ووالدته (خالتها).

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٠؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٤٦.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٤٦.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٢.

(٤) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٢٩؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٤٦.

(٥) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٤٦٧؛ وابن حجر، الإصابة، ج٤/٣١٢.

وفي غزوة بدر خرج أبو العاص بن الربيع مع قريش، فوقع ضمن أسرى المشركين في بدر، وبدأت المفاوضات لفدائهم، فجاء أخوه عمرو بن الربيع لفدائه من مكة، وبعثت معه زينب بقلادة لها أعطتها إياها أمها خديجة عند زواجها، وأرادت من ذلك أن تفدي زوجها بهذه القلادة، فلما رأى رسول اللهﷺ القلادة عرفها ورقَّ لها ورحمها، فقال: ((إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فعلتم؟ قالوا: نعم)).[١] لقد كان في هذا رحمة منه ﷺ مع التزام بحقوق الصحابة، فأُطلق أبو العاص بن الربيع من الأسر، مقابل تعهد منه أن يترك زينب لتلحق برسول الله ﷺ في المدينة، فرضي أبو العاص بذلك.[٢]

كان هذا التصرف من رسول الله ﷺ رحمة بابنته وبزوجها وشفقة عليه، وطمعًا في إسلامه كما حصل، كما كان شرطًا لترك زينب لتهاجر إلى المدينة؛ حرصًا على زينب وعلى دينها وسلامتها، وضمان هجرتها بأمن وسلام إلى المدينة.

وتم بذلك ترتيب هجرة زينب للحاق برسول الله ﷺ في المدينة، وتعاون في ذلك زوجها أبو العاص بن الربيع، بكل صدق وأمانة مع زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، وقد اعتدى عليها (هبار بن الأسود) من رجال قريش فأسقطوها عن جملها وسقط جنينها،[٣] وأصيبت بنزيف اضطرها للبقاء في مكة عدة أيام، ثم لحقت برسول الله ﷺ بعد ذلك في المدينة، ومعها طفلاها أمامة وعلي.[٤]

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣١٢؛ وانظر: غزوة بدر في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٤؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٤٦.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٤٧.

(٤) ورد أن الرسول ﷺ كان يردف علي ابن زينب رضي الله عنه يوم الفتح، الذهبي، (سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٤٦).

فكانت محل عناية النبي ﷺ وعطفه ومتابعته لاحتياجها واحتياج ولديها. كان أولادها يحظون بمداعبة الرسول ﷺ وتعليمه وتربيته ورحمته،[١] وكان ﷺ يحمل ابنتها أمامة وهو يصلي، فقد ورد عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: ((بينا نحن في المسجد جلوس إذ خرج علينا رسول الله ﷺ يحمل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ وهي صبية، يحملها على عاتقه، فصلى رسول الله ﷺ وهي على عاتقه، يضعها إذا ركع، ويعيدها على عاتقه إذا قام، فصلى رسول الله ﷺ وهي على عاتقه حتى قضى صلاته، يفعل ذلك بها)).[٢]

كانت هذه الرحمة والعناية الخاصة بابنة بنته زينب تحمل للأمة أخلاق وتعامل النبي ﷺ مع الصغار، وخصوصًا من أبناء البنات وأبناء الأولاد، ومنهم البنات بهذه اللباقة والعطف والرحمة.

وقد وقع أبو العاص بن الربيع في أسر المسلمين أثناء العودة من تجارة لقريش إلى الشام، قبل صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة،[٣] وفي تلك العير أسروا أناسًا من رجالها، فأعجزهم أبو العاص هربًا، فلما قدمت السرية بما أصابوا أقبل أبو العاص من الليل في طلب ماله، حتى دخل على زينب ابنة رسول الله ﷺ، فاستجار بها، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح فكبر وكبر الناس معه، صرخت زينب رضي الله عنها: أيها الناس؛ إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، قال: فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته أقبل

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد، ج٥/٣٠٣.

(٢) أخرجه أبو داود، ج١/١٤٥؛ والنسائي، ج١/١١٧؛ وأحمد، ج٥/٣٠٣؛ وانظر: فتح الباري، ج١/٤٦٩.

(٣) انظر: الواقدي، المغازي، ج٢/٥٥٣؛ وابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٤.

على الناس، فقال: ((أيها الناس؛ هل سمعتم ما سمعتُ؟ قالوا: نعم، قال: أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم. ثم انصرف رسول الله ﷺ، فدخل على ابنته زينب، فقال: أيْ بنية؛ أكرمي مثواه، ولا يخلُصْ إليك، فإنك لا تحلين له)).[١]

لقد كان ﷺ رحيمًا بزينب، واقعيًّا في التعامل مع زوجها الذي لجأ إليها، واستجار بها، منصفًا في عرض أمره على جماعة المسلمين، وإخبارهم بالواقعة كما حدثتْ بكل صدق وأمانة، وذلك ديدنه ﷺ، كما كان محقًّا مع ابنته في أمرها بالامتناع عن أبي العاص.

لقد كان هذا الرقي في التعامل والوضوح والصدق سببًا من أسباب قناعة أبي العاص بن الربيع بالإسلام، مما أثر على حياة زينب ﷺ. فعن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص، وقال لهم: ((إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له، فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم ذلك فهو فيئ الله الذي أفاءه عليكم، فأنتم أحق به. قالوا: يا رسول الله؛ بل نرده عليه. قال: فردوا عليه ماله، حتى إن الرجل ليأتي بالحبل، ويأتي الرجل بالشنة[٢] والإداوة، حتى إن أحدهم ليأتي بالشطاط، حتى ردوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه شيئًا، ثم احتمل إلى مكة، فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ممن كان أبضع منه، ثم قال: يا معشر قريش؛ هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيرًا، فقد وجدناك وفيًّا كريمًا. قال: فإني أشهد أن

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣٣/٨؛ والواقدي، المغازي، ج٥٥٣/٢.

(٢) الشنة: القربة المصنوعة من الجلد القديمة الجافة، ولا تزال تعرف بهذا الاسم إلى اليوم.

لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفًا أن تظنوا أني إنما أردت أخذ أموالكم، فلما أداها الله ﷻ إليكم، وفرغت منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ في محرم من السنة السابعة من الهجرة)).[١]

وقد بقيت زينب ﵂ بعد ذلك مع زوجها في المدينة في كنف رسول الله ﷺ. وقد توفي ابنها عليٌّ أثناء ذلك.[٢]

وبعد سنة من قدوم زوجها إلى المدينة مرضت زينب ﵂ مرضها الذي تسبب فيه هبار بن الأسود ومن معه حين ألقوها من على جملها، فتوفيت على إثره. وكانت وفاتها في السنة الثامنة من الهجرة.[٣]

روت أم عطية: لما ماتت زينب بنت رسول الله قال ﷺ: ((اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتن بماء، واجعلن في الآخرة كافورًا أو شيئًا من الكافور، فإذا فرغتن فآذنني))، فلما غسلناها أعطانا حِقْوَهُ، فقال: ((أشعرنها إياه)).[٤] وكان هذا منه ﷺ تعبيرًا عن كبير محبته لها، وشديد حزنه عليها ورحمته بها، وقد دعا لها رسول الله ﷺ.

وقد توفي زوجها من بعدها بأربع سنوات. وقد أوصى بابنته أُمامة للزبير بن العوام ﵁،[٥] وكانت بلغت مبلغ النساء بعد وفاة خالتها فاطمة ﵂، التي

---

(١) انظر: الواقدي، المغازي، ج٢/٥٥٤؛ وابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٣.

(٢) انظر رواية الإمام أحمد في مسنده، ج٦/٢٧٦.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٥٠؛ وابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٧؛ وخليفة بن خياط، تاريخه، ص ٦٥.

(٤) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب (يجعل الكافور في آخره)، ح برقم: ١٢٥٨، ١٢٥٤.

(٥) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٤٠٠؛ وابن إسحاق، السيرة، ص ٢٢٩.

كانت بمثابة الأم لها بعد وفاة زينب ﵂، فتزوجها علي بن أبي طالب ﵁،[١] وبقيت في ذمته حتى استشهد، فتزوجها من بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب الهاشمي.[٢]

رقية بنت رسول الله ﷺ:

ولدت بعد زينب، فكانت الثانية في الترتيب بين بنات النبي ﷺ، وكانت ولادتها قبل البعثة بسبع سنوات،[٣] وقبل الهجرة بعشرين عامًا. وأمها خديجة بنت خويلد ﵂، وقد تربت في بيت رسول الله ﷺ بيت الرحمة مع بقية أخواتها، وخصوصًا زينب التي تكبرها، وأم كلثوم التي تصغرها،[٤] وكانت مع أخواتها محل عناية المصطفى ﷺ أحسن لهن التربية، فكان أبًا رفيقًا رحيمًا عطوفًا خير معلم وهادٍ لهن.

وحينما شبت رقية وقبل البعثة خطبها أبو لهب عم النبي ﷺ لابنه عتبة، فتزوجها، ولم يبق معها طويلاً، حيث بُعث النبي ﷺ، فكان أبو لهب من أشد الناس عداءً له ﷺ، وامرأته أم جميل كذلك، فطلبا من ابنهما طلاق رقية بعد أن أغرياه بفراقها، وظنًّا أن في ذلك إهانةً لها وهي المسلمة، وإهانة للنبي ﷺ،[٥] بينما كان فراق الزوج الكافر والبيت الكافر سيئ الخلق المعادي لله ولرسوله ﷺ نعمة من الله، وسلامة من الكفر وأهله.

وفي الوقت نفسه كان عثمان بن عفان ﵁ من أوائل المؤمنين برسول

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٣٦.

(٢) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٢٩؛ وابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٤٠٠.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٠٤.

(٤) ابن حبيب، المحبَّر، ص ٤٠٦.

(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨/٢٥١.

اللهﷺ المستجيبين لدعوته، وما أن علم بطلاق رقية من عتبة بن أبي لهب حتى بادر بخطبتها من رسول الله ﷺ؛ لما أراد الله له من الكرامة وبركة النسب مع رسول الله ﷺ، فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكانا زوجين شابين وسيمين جميلين، مضرب المثل عند أهل مكة، جمعهما الإيمان ومحبة الرسول ﷺ،[1] وكانت رقية وعثمان محل عناية النبي ﷺ وتفقده ورحمته وعطفه.

وحينما اشتدّ الأذى على الرسول ﷺ والمسلمين معه في مكة، أصاب عثمانَ ورقيةَ رضي الله عنهما منه نصيبٌ، فخرج مهاجرًا برقية إلى الحبشة مع أوائل المهاجرين إلى الحبشة، فكانت رقية الوحيدة المهاجرة من بنات رسول اللهﷺ إلى الحبشة. وقال عنهما الرسول ﷺ: ((إنهما أول من هاجر إلى الله بعد لوط))،[2] لا شك أن هذه الإشارة وهذا الثناء من المصطفى ﷺ له تأثيره الكبير على رقية رضي الله عنها، وكانا محط عناية واهتمام المهاجرين من أصحاب النبي ﷺ إلى الحبشة، وكانوا يرون ابنته معهم، يصيبها ما أصابهم، ويرون من عناية النجاشي الشيء الكثير بوجود ابنة الرسول ﷺ معهم.[3] ولا شك أن هذه الإقامة في الحبشة أكسبت رقية خبرات وصلات، وخصوصًا بمن معها من الصحابيات الكريمات.

وقد عادت مع عثمان إلى مكة مع عودة المهاجرين الأولين من الحبشة إلى مكة، بعد أن وصلت أخبار مضللة بإسلام قريش، وحين عادت إلى مكة

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٦؛ وابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٠٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٦؛ وابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٠٥.

(٣) انظر: الهجرة إلى الحبشة في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

بعد هجرة سنوات وجدت أمها الحبيبة أم المؤمنين خديجة ﵂ قد توفيت،[١] فتألمت لذلك، وحزنت حزنًا شديدًا، وكان ﷺ مواسيًا لها متتبعًا لحالها، وكانت مع عثمان في الحبشة تلفت أنظار الصحابة المهاجرين وأهل الحبشة، بطيبتها ونضارتها وحسن خلقها ﵂، وبذلك كانت ﵂ من أصحاب الهجرتين إلى الحبشة.

وكانت عودة رقية مع زوجها عثمان بن عفان ﵁ إلى مكة قبيل هجرة النبي ﷺ بوقت قصير،[٢] وكانت مع عثمان من أوائل المهاجرين إلى المدينة، حيث رزقت هناك بابنها عبد الله بن عثمان بن عفان الذي توفي في سنواته الأولى.

وعند خروج رسول الله ﷺ إلى غزوة بدر كانت رقية ﵂ مريضة، فكانت محل عطف وشفقة ورحمة من النبي ﷺ، فطلب ﷺ من زوجها عثمان أن يبقى إلى جانبها للعناية بها وتمريضها، وهذا من رحمته ﷺ بها، ويدل على اهتمامه ﷺ وحرصه على ما يريحها، فبقي عثمان ﵁ معها أثناء مرضها في المدينة.[٣]

وتوفيت ﵂ في رمضان من السنة الثانية من الهجرة قبيل عودة الرسول ﷺ من غزوة بدر، ودفنت في البقيع، وكان عمرها اثنتين وعشرين سنة، وحين عودته ﷺ من بدر زار قبرها، ودعا لها رحمة لها، مما أثار رقة النساء فبكين.[٤]

---

(١) انظر وفاة أم المؤمنين خديجة ﵂ في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، القسم الخاص بـ (المعايشون للمصطفى ﷺ)؛ وانظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٢٧.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٠٤.

(٣) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٩٢؛ وابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٦.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٢٥.

وكانت رقية أُولى بنات النبي ﷺ وفاة بعد أم المؤمنين خديجة ﵂، ولذلك حزنت عليها بقية أخواتها، وكانت أختها زينب حينها في مكة.

أم كلثوم بنت النبي ﷺ:

تأتي في المرتبة الثالثة في السن بين بنات النبي ﷺ، فهي أصغر من رقية وأكبر من فاطمة ﵂.(١)

وأمها خديجة بنت خويلد ﵂، ولدت قبل البعثة بقرابة ثماني سنوات،(٢) ونشأت في بيت النبوة مع أخواتها، رباها النبي ﷺ، وحضنتها ورعتها أمها خديجة ﵂. أسلمت مع أمها وأخواتها بعد بعثة النبي ﷺ، وكانت صغيرة السن،(٣) وكانت محل عناية وتعليم ورحمة من النبي ﷺ، وقد تزوجها عتيبة ابن أبي لهب قبيل بعثة النبي ﷺ، ولم يبن بها.

فلما بُعث النبي ﷺ ظهر عداء عتيبة مع أبيه وأمه أم جميل للنبي ﷺ ولدعوته، ولشدة العداء فإن عتيبة طلق أم كلثوم، ولم يدخل بها ظنًّا منه ومن والديه أن ذلك يلحق الأذى بها وبرسول الله ﷺ،(٤) ولم يكتف بالطلاق، بل جاء إلى النبي ﷺ، وأظهر عناده وعداءه، فقال: (كفرنا بك وبدينك، وفارقت ابنتك، فدعا عليه ﷺ، فخرج عتيبة في تجارة لقريش إلى الشام، فهجم أحد الأسود على القافلة فأصاب عتيبة فقتله).(٥) وقد صبرت أم كلثوم مع أبيها على أذى قريش، حيث كانت في بيته ﷺ، وكانت ممن يواسيه ويسانده ويهون عليه. وكان هو يفعل ذلك معها ومع أمها وبقية أخواتها، وأصابها ما أصاب أهل بيته ﷺ سنين المقاطعة من الجوع والألم،

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٥٢؛ وابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٦١٢.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٥٢.

(٣) انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ٤٠٦؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٥٢.

(٤) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٦١٢.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٧.

وحينما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كانت ضمن أهل بيت النبي ﷺ الذين هاجروا، كفاطمة وزيد ابن حارثة وغيرهم.[١]

وكانت لها مكانة خاصة عند أمهات المؤمنين وبيوت المهاجرين والأنصار، وفي رمضان من السنة الثانية من الهجرة توفيت أختها رقية زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فحزنت عليها حزنًا عظيمًا، وافتقدتها، فزوج رسول الله ﷺ عثمان من أم كلثوم بمثل مهر رقية، وبمثل عشرتها، وهذا يدل على رضا النبي ﷺ على عثمان في عشرته لابنته المتوفاة رقية رضي الله عنها.

كان هذا الزواج مباركًا لعثمان ولأم كلثوم، ورحمة بهما، وكانت محل عناية النبي ﷺ، خصوصًا أن بيتهما قريب من حجرات النبي ﷺ، فكان يزورهما ويتفقدهما، ويتابع أحوالهما.

روى سعيد بن المسيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى عثمان بعد وفاة رقية مهمومًا لهفان، فقال له: ((ما لي أراك مهمومًا؟ قال: يا رسول الله؛ وهل دخل على أحد ما دخل علي؟ ماتت ابنة رسول الله ﷺ التي كانت عندي، وانقطع ظهري، وانقطع الصهر بيني وبينك. فبينما هو يحاوره إذ قال النبي ﷺ: يا عثمان؛ هذا جبريل عليه السلام يأمرني عن الله عز وجل أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها، وعلى مثل عشرتها. فزوجه إياها))،[٢] وقال لها: إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد.[٣]

وكان زواجهما في ربيع الأول من السنة الثالثة من الهجرة، وكانت بكرًا لم يقربها زوجها الأول عتيبة.[٤]

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٨.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٩٠؛ وابن الأثير، أسد الغابة، ج٦/٣٨٤؛ والمحب الطبري، الرياض النضرة، ج٣/١٠.

(٣) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٦١٣؛ والمحب الطبري، الرياض النضرة، ج٣/١١.

(٤) انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩/٢١٧؛ وعبد المنعم الهاشمي، أبناء النبي وأحفاده، ص٥٩.

وقد أحب عثمان أم كلثوم، وأحبته حبًّا شديدًا، وقامت على رعاية ابنه عبد الله من رقية المتوفاة، حتى توفي عبد الله وعمره ست سنوات بعد ذلك،[١] والأمة ترى علو منزلة عثمان رضي الله عنه؛ لأنه لم يتزوج في الأولين والآخرين ابنتي نبي غيرُه.[٢]

وقد عاشت مع عثمان رضي الله عنه ست سنوات، حتى توفيت في شهر شعبان من السنة التاسعة من الهجرة.[٣]

وحينما توفيت أرادت النساء تغسيلها، فوجههن الرسول ﷺ في كيفية غسلها، فعن أم عطية قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن نغسل ابنته أم كلثوم، فقال: ((اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافورًا أو شيئًا من كافور، فإذا فرغتن فآذنني. فلما فرغنا آذناه، فألقى إلينا حقوه، وقال: أشعرنها إياه)).[٤]

كان ﷺ رحيمًا بها، متابعًا بنفسه لغسلها وطريقة ذلك، موجهًا لمن يقمن به، راحمًا لها متأثرًا ﷺ بفقدها.

وقد جلس ﷺ عند قبرها أثناء الدفن وعيناه تذرفان، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ جالسًا على قبرها ـ يعني أم كلثوم ـ وعيناه تدمعان، فقال: ((فيكم أحد لم يقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا. قال: انزل)).[٥] ودفنت في البقيع، وكان ﷺ يقرأ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا

(١) الصلابي، في كتابه، عثمان بن عفان، ص ٤٦.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/٢٠١.

(٣) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٦١٢؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٥٢؛ وابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٧٤.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب هل تكفن المرأة في إزار الرجل، ج٢/٧٤.

(٥) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من يدخل قبر المرأة، ح برقم: ١٣٤٢.

﴿نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه]. وقد ورد أنه بعد وفاتها قال: ((لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان)).[١] ولعل في زواج عثمان من أم كلثوم مصلحة لعبد الله ولد عثمان من رقية، حيث قامت عليه خالته أم كلثوم، كما أن هذا وفاءٌ من رسول الله لعثمان، وحرصٌ من عثمان على استمرار مصاهرة الرسول ﷺ، ونيل الشرف بذلك.

فاطمة بنت النبي ﷺ:

هي أم الحسن بن علي ﷺ، وأصغر بنات النبي ﷺ، ولدتها خديجة ﷺ قبل البعثة بقرابة خمس سنوات.[٢]

وهي أكثر بنات النبي ﷺ ذِكرًا؛ لأنها أم الحسن والحسين ﷺ، الوحيدان من أولاد وأسباط وأحفاد النبي ﷺ الذين بقوا من بعده وتناسلوا.

غلبت أخبار فاطمة ﷺ على بقية بنات النبي ﷺ؛ لأنها الوحيدة التي بقيت من بنات النبي ﷺ بعد وفاته،[٣] وقد كانت حياتها من بعده قصيرة، إلا أنه لم يبق غيرها، وإلا فكل بنات النبي ﷺ مؤمنات محبوبات، لهن مكانتهن عند المسلمين في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته.

(تُكنَّى بنت أبيها)، وعُرفت بالزهراء لصدقها وإيمانها ﷺ،[٤] وهذه التسميات لها ﷺ أوسمة رفعة وبيان لمكانتها عند الأمة.

تربت على يد أمها خديجة في بيت المصطفى ﷺ بمكة، فكانت عفيفة طاهرة طيبة صدوقة بارة، نالت من عطفه ﷺ وبره وحنانه ولطفه وإحسانه

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣/٥٦.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٧٧؛ وابن سعد، الطبقات، ج٨/١٩.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٨.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٧٧؛ وانظر: تقديم ابن سعد لها في ترجمته لبنات النبي في: الطبقات، ج٨/١٩.

ورحمته، كانت ﵂ من أوائل من شهد بعثة النبي ﷺ، وأسلمت، وبايعت النبي ﷺ رغم صغر سنها.

ولصغر سنها كانت تتابع النبي ﷺ في مكة، حال انتقاله من مكان إلى آخر، تخشى، عليه وتسارع لمساعدته إذا تعرض للأذى، ولذلك كانت هي المبادرة لرفع الأذى عن رأسه ﷺ حينما ألقى عقبة بن أبي معيط سلى الجزور على الرسول ﷺ، فأزاحته من على رأسه الطاهر، وسبتهم، وزجرتهم،[1] وكان ﷺ يكثر لها الدعاء عطوفًا عليها رحيمًا بها مشفقًا.

ولا شك أن الصغرى من البنات كانت تحظى بالانتباه أكثر من غيرها، وكذلك كانت فاطمة ﵂.

وقد شهدت حصار الشِّعب للمسلمين، فنالها ما نال المسلمين من الجوع والأذى، وكانت ﵂ ممن ناداهم الرسول ﷺ بأسمائهم قبل غيرها، حينما جهر بالدعوة في قوله: ((يا فاطمة بنت محمد؛ لا أغني عنك من الله شيئًا)).[2] وهذا يدل على اهتمام خاص بها، ورحمة منه ﷺ بها، مع أن عمرها كان صغيرًا لم يجاوز الثماني سنوات في تلك الفترة، وهذا يدل على مكانتها ﵂ وحضورها في ذهنه ﷺ أكثر من غيرها.

كانت فاطمة تزيل الأذى من أمام بيت النبي ﷺ، حين كانت أم جميل امرأة أبي لهب تلقى الأذى أمام بيته ﷺ، فكانت فاطمة تبعده عن طريق الرسول ﷺ.

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١١٠؛ وانظر أذى المشركين للرسول ﷺ في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٢) انظر: ابن إسحاق، السيرة، ص ١٢٨.

استمرت تخدم رسول الله ﷺ، وخصوصًا بعد وفاة خديجة وزواج أخواتها، فكانت تتعلم منه، وتسمع الخير، وتحفها الرحمة والبركة والسعادة. وبعد وفاة أمها كانت محل عناية خاصة من أم أيمن حاضنة النبي ﷺ وزوجة مولاه زيد بن حارثة.

اهتم الرسول ﷺ بصحبتها له، فهاجرت إلى المدينة المنورة برفقة أختها أم كلثوم، وأم المؤمنين سودة بنت زمعة، وأم أيمن حاضنة الرسول ﷺ، زوجة زيد بن حارثة.[١]

وفي المدينة بلغت رضي الله عنها سن الزواج، وفي الوقت نفسه تزوج ﷺ من عائشة رضي الله عنها مع وجود أم المؤمنين سودة، فكانت فاطمة رضي الله عنها محط أنظار الخُطَّاب وآمالهم، حيث بلغت وخفت مهمتها في خدمة النبي ﷺ، وكانت سنها تؤهلها للزواج، فتقدم لخطبتها عدد من المهاجرين، منهم: أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم، فكان ﷺ يردهم بلطف وأدب، فبادر بعض الأنصار إلى علي رضي الله عنه، وشجعوه على التقدم لخطبتها من النبي ﷺ، وكان حَيِيًّا رضي الله عنه. فذهب إلى رسول الله ﷺ خاطبًا، ووقف صامتًا من الحياء عند النبي ﷺ، فعرف النبي حياءه ورغبته، فبادر بسؤال علي رضي الله عنه: ما حاجة ابن أبي طالب؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه: ذَكَرْتُ فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: مرحبًا وأهلاً.

فعرف عليٌّ رضي الله عنه موافقة النبي ﷺ على زواجه من فاطمة وترحيبه ورغبته في ذلك،[٢] وبعد أيام أتمّ عليٌّ الخطبة، وقدم مهرًا لفاطمة درعًا أهداها

---

(١) المقريزي، إمتاع الأسماع، ص ٤٩؛ وانظر رواية الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، ج١/١٣٣.

(٢) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٣٠؛ وانظر: عنوان زواج علي وفاطمة رضي الله عنهما، في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

الرسول ﷺ له في غزوة بدر.[١] كان ﷺ يرى مصلحة فاطمة وعلي في الزواج من بعضهما ﷺ، وكان زواج علي ﷺ من فاطمة ﷺ في السنة الثانية من الهجرة في شهر ذي القعدة، وكان بناؤه بها في السنة الثالثة من الهجرة قبيل غزوة أحد.[٢]

وقبل بناء عليّ بها دعا لهما النبي ﷺ: ((اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما)). وقيل: إنه دعا بماء، فتوضأ منه، ثم أفرغه عليهما، ودعا لهما،[٣] وفي هذا رحمة لهما، ورجاء رحمة الله أن تصب عليهما وعلى ذريتهما.

وقد سكن عليٌّ وفاطمة غرفة مجاورة لحجرات النبي ﷺ،[٤] فكان يدخل عليهما، ويدخلان عليه، ويأنس بهما وبأولادهما بعد ذلك، وكانت حياتهما حياة زهد وكد، فما كانت حياة ترف ولا نعومة. يقول عليٌّ ﷺ: (تزوجت فاطمة وما لي ولها غير جلد كبش، ننام عليه بالليل، ونجلس عليه بالنهار).[٥]

وقد أعطاها الرسول ﷺ خميلة ووسادة أَدم ـ جلد ـ، حشوها ليف، وإهاب شاة[٦] ورَحَاءَيْنِ وسقاء وجرتين، فكانت تطحن بالرحى حتى أثر في

---

(١) ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٣٠.

(٢) انظر زواج علي وفاطمة ﷺ في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٧٨؛ وابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٠.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٣.

(٦) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٣، ٢٤؛
والخميلة: هي القطيفة، وهي نوع من البسط (الفيروز آبادي، ولسان العرب، ج١١/٢٢١)؛
والوسادة معروفة، وهي ما يوضع عليه الرأس للنوم (الفيروز آبادي، ولسان العرب، ج٣/٤٦٠)؛
والأدم: هو الجلد المدبوغ من الحيوان (الفيروز آبادي، ولسان العرب، ج١٢/٩)؛
والليف: هو كالشعر يؤخذ من النخل، ويعرف بنفس الاسم، ويُنسج منه الحبال، ويُحشى به الوسائد (الفيروز آبادي، ولسان العرب، ج٩/٢٢)؛
والإهاب: يطلق على جلد الحيوان ما لم يدبغ (الفيروز آبادي، لسان العرب، ج١/٢١٧).

يدها، وتجلب الماء بالقربة، وتنظف البيت، وتخدم أبناءهما وزوجها عليًّا رضي الله عنهم.

كان ﷺ رحيمًا بفاطمة، معلمًا لها، يبحث عمَّا تحتاجه بما لا يتجاوز حقها أو يلهيها عن أمرها.

((ولما علم علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ: قد جاءه سبي قال لفاطمة: لو أتيتِ أباك فسألتِهِ خادمًا، فأتته، فقال النبي ﷺ: ما جاء بك يا بنية؟ قالت: جئت لأُسلم عليك، واستحييتْ أن تسأله، ورجعت، فأتاها رسول الله ﷺ من الغد وسألها، ما كانت حاجتك؟ فسكتت، فقال علي: والله يا رسول الله؛ لقد سَنَوْتُ حتى اشتكيتُ صدري، وهذه فاطمة قد طحنت حتى مَجَلَتْ يداها، وقد أتى الله بسبي، فأَخْدِمْنَا؟. فقال الرسول ﷺ: لا والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تتلوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيع وأنفق عليهم بالثمن، فرجعا إلى منزلها، فأتاهما رسول الله ﷺ ليخفف عنهما عناءهما، وقال لهما برفق وحنان: ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ قالا: بلى، فقال: كلمات علمنيهن جبريل: تسبحان الله دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتكبران عشرًا، وإذا أويتما إلى فراشكما تسبحان ثلاثًا وثلاثين، وتحمدان ثلاثًا وثلاثين، وتكبران أربعًا وثلاثين)).[1]

كما كان ﷺ يوجههما باستمرار إلى الزهد والتصدق، وعدم الحرص على الحُلي؛ لتتبوأ فاطمة بذلك السيادة على نساء العالمين رضي الله عنهن، وليكون لهما أسوة حسنة في رسول الله ﷺ في الزهد في الدنيا ومظاهرها.[2]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب (خادم المرأة)، ج٦/١٩٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، ج٨/٨٤؛ ورواه أبو داود في سننه، أبواب النوم، باب في التسبيح عند النوم، ص٩١٤، ح برقم: ٥٠٦٢؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٥.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٦.

وعن ابن عباس ﷺ قال: ((دخل رسول الله ﷺ على علي وفاطمة وهما يضحكان، فلما رأيا النبي ﷺ سكتا، فقال لهما النبي ﷺ: ما لكما كنتما تضحكان، فلما رأيتماني سكتما؟ فبادرت فاطمة فقالت: بأبي أنت يا رسول الله، قال هذا ـ تقصد عليًّا ـ: أنا أحب إلى رسول الله ﷺ منك، فقلت: بل أنا أحب إلى رسول الله ﷺ منك، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: يا بنية لك رقة الولد، وعليٌّ أعز عليَّ منك)).[1]

كان لطف الرسول ﷺ بفاطمة مع بيان قدر علي ﷺ دون تفضيل أحدهما على الآخر هو الجواب لذلك النقاش بأدب ورحمة بالجميع.

هذه المناقشة حول المحبة والتميز فيها تنم عن محبة متبادلة بينهم جميعًا، ومناقشة مع تبسم وأدب ورقي في النقاش ورحمة وحسن عشرة.

وفي السنة الثالثة من الهجرة رزقت فاطمة بابنها الأول الحسن بن علي ﷺ، وكان أشبه الناس خَلْقًا برسول الله، فحنكه بنفسه، وسماه الحسن، وفرح به ﷺ فرحًا عظيمًا، حيث أدخل السرور على قلبه وعلى قلب علي وفاطمة ﷺ.[2]

وبعد عام تقريبًا أي: في السنة الرابعة من الهجرة في شهر شعبان، رزقت فاطمة بالحسين بن علي ﷺ.[3]

وأحب رسول الله سبطيه، ورق لهما، وأكثر من الدعاء، وقال فيهما: ((اللهم إني أحبهما، فأحبهما وأحب من يحبهما)).[4]

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٦.

(٢) الزبيري، نسب قريش، ج١/٢٣؛ وابن سعد، الطبقات، ج٣/٢٤٦.

(٣) انظر: الزبيري، نسب قريش، ج١/٢٣.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٥١.

لا شك أن هذه المحبة والعطف والرحمة لها تأثيرها الكبير على فاطمة رضي الله عنها حينما تشاهد تعامله ﷺ مع ولديها.

وقد شاركت فاطمة مع نساء المؤمنين رضي الله عنهن في غزوة أحد في جلب الماء ومداواة الجرحى، وهي التي داوت جرح رسول الله ﷺ، فأحرقت حصيرًا ووضعت من رماده على جرح النبي ﷺ، حتى توقف النزيف، وقد غسلت سيف النبي ﷺ يوم أحد، كما غسلت سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه كذلك.[1]

وفي السنة الخامسة من الهجرة رزقت ببنت أسمتها زينب على اسم أختها التي توفيت قبل مدة قصيرة، وبعد ما يزيد على عامين رزقت بطفلة أخرى أسمتها أم كلثوم على اسم أختها التي توفيت قبل ذلك، وأم كلثوم هذه هي التي تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثناء خلافته ورزق منها بولد.[2]

وفي أواخر السنة التاسعة من الهجرة لم يكن قد بقي من بنات النبي ﷺ سوى فاطمة رضي الله عنها، حيث توفيت أختها الأكبر منها مباشرة أم كلثوم رضي الله عنها، ولذلك كانت الوحيدة الباقية من بنات النبي ﷺ في السنتين الأخيرتين من حياته، فكانت محل عنايته واهتمامه، يجلس معها، ويراها بشكل يومي تقريبًا، خصوصًا أنها تسكن في بيت ملاصق لحجراته ﷺ، وكان يأنس بها وبأولادها، يداعبهم ويحدثهم، ويرق لهم.

كانت فاطمة رضي الله عنها الوحيدة من بناته التي شهدت مرضه ووفاته، وكانت

---

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٣٥؛ وانظر: غزوة أحد في كتابي (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٢) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٣٢، ٢٣٥.

تحظى منه بعناية خاصة، وكان يأنس بها أثناء مرضه، تحدثه ويحدثها، ومن ذلك ما ورد عند البخاري برواية عائشة ﵂: ((أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: "مرحبًا بابنتي". ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثًا فبكت. فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثًا، فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ، فسألتها، فقالت: أسرَّ إليَّ: إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أُراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي، فبكيت. فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك)).[1]

هذه المواقف المروية بينها وبين أبيها ﷺ تفردت بها فاطمة ﵂، ونالت تلك الروايات استحسانًا ومتابعة واهتمامًا من الأمة.

ومن المواقف الخاصة بفاطمة: أنه لما ثَقُل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة ﵂: (وا كرب أباه. فقال ﷺ: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم")،[2] فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. فلما دفن قالت فاطمة ﵇: (يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب)؟[3]

---

(١) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٤/١٨٣؛ ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، ج٧/١٤٢؛ والترمذي في كتاب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ، ج٥/٧٠٠؛ وانظر وفاة النبي ﷺ من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٤؛ وانظر وفاة النبي ﷺ من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٤؛ وانظر: وفاة النبي ﷺ من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

وقد وضع البخاري في صحيحه بابًا سماه (مناقب فاطمة ﵂)، وقال النبي ﷺ: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.[١]

كما وضع الترمذي في سننه بابًا في (فضل فاطمة بنت محمد ﷺ).[٢]

وقد أورد عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: ((فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني)).[٣]

وقد اهتمت كتب الحديث والتراجم المختلفة بذكر فضائل فاطمة ﵂،[٤] ورواية ما يتعلق بحياتها، والترجمة لها، كما اهتمت بغيرها من بنات النبي ﷺ اللائي جمعت بينهن بنوتهن للرسول ﷺ، وإسلامهن، وصدقهن، وحسن تربيته لهن، ورحمته بهن، وتصديقهن، ودفاعهن عن الرسول ﷺ.

وقد وردت عدة أحاديث في فضل فاطمة ﵂، كثير منها برواية أم المؤمنين عائشة ﵂، مما يدل على تقدير عائشة لفاطمة، ومعرفتها بفضلها، والصدق في رواية ما جاء في فضل فاطمة، وحسن العلاقة بين فاطمة ﵂ بنت الرسول ﷺ وبين عائشة أم المؤمنين زوج أبيها المصطفى، بنت أبي بكر الصديق ﵁.

من ذلك: ما روته عائشة ﵂ قالت: ((أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي رسول الله ﷺ، فقال: مرحبًا بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه.. الحديث)).[٥]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب فاطمة ﵂، ٢٩ ج٤/٢١٩.

(٢) الترمذي، سننه، كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة ﵂، ج٥/٦٩٨.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، ج٤/٢١٩؛ وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٦٧.

(٤) انظر ترجمتها عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٢/١١٨؛ وابن سعد في الطبقات، ج٨/١٩؛ وابن حجر في الإصابة، ج٤/٣٨٨.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٤/١٨٣؛ ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، ج٧/١٤٢؛

وعن عائشة قالت: (ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها. قالت: وكان بينهما شيء. فقالت: يا رسول الله ﷺ سلها فإنها لا تكذب).[١]

وقد نقلت لنا أم المؤمنين عائشة ﵂ موقفًا يبين مكانة فاطمة ﵂ عند رسول الله ﷺ، وما خصها به من علم لم يعطه أحدًا آخر، فقد روى البخاري ـ كما مر سابقًا ـ عن عائشة بنت أبي بكر ﵂، قالت: ((دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه، فسارَّها بشيء، فبكت، ثم دعاها فسارَّها، فضحكت. فسألنا عن ذلك؟ فقالت: سارَّني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارَّني، فأخبرني أني أوَّل أهل بيته يتبعه، فضحكت)).[٢]

وقد مرضت ﵂ في الأيام الأخيرة من عمرها، وكان عليٌّ ﵁ حريصًا على خدمتها ورضاها، روى ابن سعد في الطبقات: (جاء أبو بكر إلى فاطمة حين مرضت، فاستأذن، فقال علي: هذا أبو بكر على الباب، فإن شئت أن تأذني له. قالت: وذلك أحب إليك. قال: نعم، فدخل عليها واعتذر إليها، وكلمها، فرضيت عنه).[٣]

ولما أحست بدنو أجلها أوصت عليًّا ﵁ بعدة وصايا، منها أن تحمل في نعشٍ وصفته له، يكون عليه شيء من الجريد، يطرح عليه الثياب[٤] حتى لا

والترمذي في كتاب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ، ج٥/٧٠٠؛ وانظر وفاة النبي ﷺ من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(١) رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى، وروى البخاري أوله، ج٤/٢١٩؛ وانظر تخريجه عند الهيثمي في: (مجمع الزوائد)، باب مناقب فاطمة ﵂ بنت رسول الله ﷺ، ج٩/٢٠١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٣٨؛ وانظر وفاة الرسول ﷺ، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٧؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٢١.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٨؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٢٨.

يرى الناس جسدها ووصفها من شدة حيائها وعفافها ﵂، ومن ذلك: أن يغسلها علي وأسماء بنت عميس،[١] وكانت زوجة لأبي بكر الصديق ﵁، ولعلها أشارت أن يتزوج علي ﵁ بأمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وهي بنت أختها زينب ﵂،[٢] خالتها فاطمة ربتها بعد وفاة أمها، تعرف طباعها وتقواها وصلاحها، وتريد أن تكون كالأم للحسن والحسين ﵄ بعد وفاتها، وهما في مرحلة الصبا في السابعة والثامنة من العمر.

وقد توفيت ﵂ في شهر رمضان من السنة الحادية عشرة من الهجرة[٣] بعد الرسول ﷺ ببضعة أشهر.

وصلى عليها عليٌّ ﵁، ونزل في قبرها،[٤] فكانت آخر من مات من بنات الرسول ﷺ وأبنائه، فحزنت الأمة كلها على فراقها، وكان عمرها حين وفاتها تسعًا وعشرين سنة.

كانت بنات النبي ﷺ جميعًا مؤمنات صادقات، نقيات ورعات، وهذا من رحمة الله بنبيه ﷺ، كما كان أصهاره شرفاء من أطيب رجال زمانهم﵃، وإن تأخر إسلام أبي العاص بن الربيع قليلاً. كما شَهِدْنَ مع رسول الله ﷺ ما أصابه من أذى، ودافعن عنه، وكانت عنايته خاصة بهن، وقد تألم ﷺ لفقد ثلاث منهن في حياته.

* * * * *

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٨؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٢٨.
(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٢٢؛ وابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٣٦.
(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٨؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٢٧.
(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٨؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٢٩.

أقاربه ﷺ ورحمته بهم:

ذوو القربى هم أقرب الناس للشخص من ناحية أمه وأبيه.

وكان للنبي ﷺ أقربون، وهم عشيرته وأهله، الذين أنذرهم حين نزل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء].

ولا شك أنه ﷺ كان يطبق ما ورد في كتاب الله ﷻ بشأنهم، حيث ورد الحديث عن الأقربين في القرآن الكريم، والحث على صلتهم، والإحسان إليهم، والبذل لهم، في أكثر من خمس عشرة آية، من ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء].

وقد أشار القرآن الكريم إلى آل البيت وبعض خصوصياتهم وأحكامهم. ومن ذلك ما يتعلق بأموال النفل من أحكام في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال]. كما أشار القرآن الكريم إلى

تطهير الله لهم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

كما كانت الأوامر واضحة بصلة الأهل والأرحام وذوي القربى، والآيات في ذلك متعددة كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنفال].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الممتحنة].

وكان ﷺ يوصي بآل بيته، فقد روي عن زيد بن أرقم: ((قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد الله،

وأثنى عليه، ووعظ، وذكَّر، ثم قال: أما بعد؛ ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين؛ أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحث على كتاب الله، ورغب فيه. ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)).[1]

والعلاقة بالوالدين أهم علاقة في حياة الإنسان، وقد أوصى القرآن الكريم بهما، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت].

وقد أمر بالإحسان إليهما حتى لو كانا مشركين، مع الالتزام بمنهج الله ودينه، يقول ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان].

كما أشارت الآيات إلى تميز العلاقة بين الآباء والأبناء، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النور].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج ١٢٣/٧.

وقد تحدث القرآن الكريم عن الأمهات في أكثر من موضع، مشيرًا إلى تعبهن وحملهن لأولادهن في بطونهن، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الزمر].

وأشار إلى حرمة الأم الدائمة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحزاب].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ ﴾ [المجادلة].

ولعِظَمِ حرمة الأم الدائمة جعل الله زوجات النبي ﷺ بمثابة الأمهات للمؤمنين في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ

إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ [الأحزاب].

وقد أوصى ﷺ بالأم ثلاث مرات، ثم بالأب، فيما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك)). متفق عليه، وزاد في مسلم: ((ثم أدناك أدناك)).[1]

وقد ثبت عنه ﷺ إقراره لحسن الصلة بالأم، مع اختلاف دينها وبرها وصلتها، فعن هشام بن عروة أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: ((أتتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ، فسألت النبي ﷺ آصِلُهَا قال: نعم. قال ابن عيينة: فأنزل الله ـ تعالى ـ فيها: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة])).[2]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: ((الصلاة على وقتها. قال: ثم أيٌّ؟ قال: بر الوالدين. قال: ثم أيٌّ؟، قال: الجهاد في سبيل الله. الحديث)).[3]

عاش ﷺ يتيمًا، وتوفيت والدته وهو صغير.[4] واختاره الله من بين البشر ليكون معلمًا للناس بر الوالدين، والإحسان إليهما، وتقديم الأم على جميع

---

(١) رواه البخارى في صحيحه، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، ج٦٩/٧؛ ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين، ج٢/٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، ج٦٩/٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، ج٦٩/٧.

(٤) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الأول (يتيمًا آواه الله)، ج٢١٣/١.

الخلق، في وقت لم تكن أم النبي ﷺ موجودة حين عرف ونضج، ولذلك كان حزينًا عليها، مشتاقًا إليها، ولعل في قصة مروره على قبرها في الأبواء[١] ضمن أحداث غزوة الحديبية وبكائه عند قبرها ما يدل على خصوصية الأم عنده.

روى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى، وأبكى من حوله، ثم قال: ((استأذنت ربي في زيارة قبر أمي، فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها، فلم يأذن لي)).[٢]

وكان ﷺ يحسن إلى مرضعته أم أيمن، ويقدمها على غيرها في البر والصلة؛ لقيامها بدور الأم في مرحلة من حياته، فيقول: ((هذه أمي بعد أمي)).[٣]

ولعل استعراض علاقته بمن عايشه من ذوي قرابته يستفاد من شواهده في سلوكه ﷺ مع ذوي القربى.

---

(١) الأبواء: قرية من أعمال الفرع بالمدينة، تقع إلى الجنوب منها على بعد قرابة (٢٠٠) كم غرب طريق مكة، وشرق طريق ينبع جدة، في منتصفه تقريبًا وتتبع حاليًا محافظة رابغ. وقد مررت بها بنفسي في زيارة ميدانية في العام (١٤٣٨هـ) مع بعض الزملاء العاملين في (أطلس السيرة النبوية)، وحاولنا الوقوف على قبر أم النبي ﷺ، ولم نتمكن من ذلك، وبها بعض المزارع، ويقطنها بعض البادية؛ انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٥٩١، هامش ١.

(٢) من رواية مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه، ج٣/٦٥.

(٣) من رواية مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه، ج٣/٦٥.

علي بن أبي طالب ﷺ:[١]

ولد قبل الهجرة بحوالي ٢٣ سنة، وهو ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، له علاقة خاصة بالنبي ﷺ، وعاش في كنف وبيت رسول الله، وهو أول من آمن به من الصبيان، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، وزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ووالد الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ وسيدَيْ شباب أهل الجنة، أمه فاطمة بنت أسد،[٢] أسلمت، وهاجرت إلى المدينة، وبها ماتت.

وهو من أوائل من آمن برسول الله ﷺ، وصلى مبكرًا مع النبي ﷺ ومع خديجة ﷺ وآل بيت النبي ﷺ، فكان من أقرب الناس إليه، وأكثرهم معرفة بخُلق النبي ﷺ، حيث عاش مرحلة من صباه في بيت النبي ﷺ الذي كان حريصًا على رفد عمه أبي طالب وتحمل عبء إعاشة علي ﷺ في بيته ﷺ، فكان في ذلك رحمة خاصة بعلي ﷺ.

كان شجاعًا مقدامًا، قاتل مع الرسول ﷺ في بدر، وكان من المبارزين من آل البيت،[٣] وفي أُحُد صمد مع النبي ﷺ،[٤] وفي الخندق تصدى لعمرو بن عبد ود وقتله، حينما حاول اقتحام الخندق،[٥] وفي غزوة بني قريظة حمل

---

(١) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب الفضائل، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن ﷺ، ج٤/٢٠٨، وقد أجمعت الأمة وخصوصًا أهل السنة على محبة علي ﷺ، وأُلِّفت الكتب في مناقبه.

كما نال نصيبه من الترجمة في كتب التراجم للصحابة والخلفاء والأعلام، وكذلك عند المحدثين، ومن كتبوا عن آل البيت.

(٢) انظر: الزبيري، نسب قريش، ص ٤٠.

(٣) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، موضوع (غزوة بدر).

(٤) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، موضوع (غزوة أحد).

(٥) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، موضوع (غزوة الأحزاب).

راية الرسول ﷺ، وبدأ حصارهم، وهو كاتب لرسول ﷺ، كتب صلح الحديبية بين الرسول ﷺ ومشركي مكة، وكان ممن بايع بيعة الرضوان في تلك الغزوة.(١)

وكثيرًا ما كان يعتمد عليه ﷺ في أداء الأمانات، حيث يأتمنه على ذلك، فقد مكث في فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة؛ ليحمى الرسول ﷺ بنفسه، ثم أدى الأمانات عن النبي ﷺ، ولحق به مهاجرًا إلى المدينة.(٢)

زوَّجه الرسول ﷺ من أصغر بناته فاطمة في السنة الثانية من الهجرة، فكان في ذلك شرف ورحمة لعلي رضي الله عنه، وسكن دارًا مجاورة للنبي ﷺ، فكان ﷺ يأنس بزيارة فاطمة وعلي رضي الله عنهما، والجلوس إليهما، وتبادل الحديث معهما، ومداعبة أبنائهما.(٣)

مواقف الرحمة بين رسول الله ﷺ وعلي رضي الله عنه كثيرة، كان ﷺ رفيقًا بعلي، محبًا له، عطوفًا عليه، رحيمًا به، حريصًا على دوام الود بينه وبين زوجته فاطمة رضي الله عنها، فقد ((دخل عليٌّ على فاطمة، ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي ﷺ: أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد، فخرج إليه، فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، وخَلُص التراب إلى ظهره، فجعل ﷺ يمسح التراب عن ظهره في شفقة ورحمة ولطف، فقال له ﷺ: اجلس يا أبا تراب))،(٤) ولذلك كان علي رضي الله عنه يحب هذه التسمية التي سماه بها رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، موضوع (غزوة الحديبية).
(٢) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، موضوع (الهجرة النبوية).
(٣) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، موضوع: (زواج فاطمة رضي الله عنها).
(٤) رواه البخاري في صحيحه، باب مناقب علي رضي الله عنه، ج٧/٢٠٨.

وحينما استخلفه الرسول ﷺ في أهل بيته في غزوة تبوك، حزن في نفسه وهو الشجاع المقدام. وحاول المنافقون استغلال الموقف للنيل منه، فأحس النبي ﷺ بحزنه، فحظي بشهادة منه ﷺ، حيث قال له: ((أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبوة بعدي))،[1] إن في ذلك رحمةً لعلي رضي الله عنه وتحميلاً له مسؤولية أهل بيت النبي ﷺ.

تشرف بحمل آيات سورة التوبة ـ (براءة) ـ ليقرأها على الحجاج في مكة، في السنة التاسعة من الهجرة، فتلاها، وفيها منع المشركين من الحج بعد هذا العام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ ﴾ [التوبة]، فكان علي رضي الله عنه هو المؤتمن على ذلك، ولعل كونه من آل بيت النبي ﷺ جعل السماع له من الناس أكثر من غيره.[2]

لقد كانت بينهما محبة عظيمة، فحين توفي الرسول ﷺ كان علي رضي الله عنه هو الذي غَسَّلَ رسول الله ﷺ، وضمه إلى صدره عند تغسيله ﷺ، وشاركه في الغسل عمه العباس وبعض بنيه.[3]

لقد كان ﷺ معلمًا ناصحًا مشفقًا رحيمًا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد أخبره في حياته بما سيصيبه من بلوى القتل، وبشره وأخبر بأن قاتله شقي، وفي هذا التعليم لعلي رضي الله عنه خاصية فعلها النبي ﷺ معه، تثبيتًا له، واستكمالاً لبشارته بالجنة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب مناقب علي رضي الله عنه، ج٢٠٨/٧؛ ورواه ابن أبي شيبة في كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، ص ٤٠٢.

(٢) انظرحج أبي بكر بالناس، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٣) انظر وفاة النبي ﷺ، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

كان مجاهدًا عاملاً طول حياته، ومن ذلك فترة خلافته ﷺ، وقد استشهد ﷺ في مسجد الكوفة، على يد المجرم عبد الرحمن بن مُلجم المرادي، الذي ضربه بالسيف على رأسه، فحظي أمير المؤمنين بالشهادة التي بشره بها ﷺ في الحادي والعشرين من رمضان سنة ٤٠هـ،[١] وباء المجرم بالخسران، وصدق في القاتل قول المصطفى ﷺ: ((ألا أخبرك بأشقى الناس أجمعين؟ عاقر الناقة والذي يضربك على هذا، ووضع يده على قرن رأسه، فيخضب هذه، ووضع يده على لحيته)). وفي رواية: ((أشقى الأولين عاقر ناقة صالح، وأشقى الآخرين قاتلك)). وفي رواية: ((قال يومًا لعلي: من أشقى الأولين؟ فقال: الذي عقر الناقة يا رسول الله، قال: فمن أشقى الآخرين؟ فقال علي: لا علم لي يا رسول الله، فقال: هو الذي يضربك على هذه، وأشار إلى يافوخه)).[٢]

الحسن والحسين ﷺ:[٣] [٤]

الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ، ابنا سيدتنا فاطمة بنت رسول الله ﷺ، والحسن أول أولادها وأولاد علي بن أبي طالب ﷺ، به كانت تُكنى أم الحسن، وبذلك كان يُكنَّى علي ﷺ به، وكانا أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقًا وخُلقًا.[٥]

---

(١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٠؛ والطبري، تاريخه، ج٦/٨٥.

(٢) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٣٢٤.

(٣) أحبت الأمة الحسن والحسين، وألّف أهل السنة فيهما وفي مناقبهما العديد من الكتب، وسيأتي تفصيل أكبر عن رحمته ﷺ بهما في موضوع تعامله ﷺ مع الصغار. (انظر عددًا منها في كتابي: رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، القسم الخاص بـ (المعايشون للمصطفى ﷺ).

(٤) وضع البخاري في صحيحه، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج٤/٢١٦.

(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٨٠؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/٢٠٥.

تربيا ﷺ في كنف جدهما المصطفى ﷺ، ووالدهما علي بن أبي طالب، وأمهما فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وترعرعا أخوين رفيقين ﷺ، عاشا ما بين ثمان إلى ست سنوات من حياة النبي ﷺ.[١]

دخل السرور والفرح على قلب رسول الله ﷺ وقلب فاطمة وعلي ﷺ بمولد الحسن في النصف من رمضان من السنة الثالثة من الهجرة النبوية،[٢] أرضعت الحسنَ أمُّ الفضل زوج العباس،[٣] وقد سماه النبي ﷺ، وأذَّن في أذنه،[٤] وكانا محبوبين مكرمين أنيسين ومؤنسين لرسول الله ﷺ.

الحسن ﷺ: قال عنه ﷺ: ((اللهم إني أحبه فأحبه))،[٥] ولا شك أن هذه المحبة تنطلق من رحمة، وقال عنه وعن الحسين: ((هما ريحانتايَ من الدنيا))[٦]، وكان يصعد على ظهر رسول الله ﷺ وهو يصلي، فيرفع النبي رفعًا رفيقًا رحمة به لئلا يقع، وقد قال عنه ﷺ: ((إن ابني هذا سيد، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين))،[٧] وهذه تزكية له امتد أثرها في الأمة، بعد موت النبي ﷺ حتى يومنا الحاضر، حيث كان في تصرفه رحمة للمسلمين وجمع لكلمتهم.

---

(١) انظر: الصلابي، الحسن بن علي، ص ٢٠.

(٢) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٦٦؛ وابن سعد، الطبقات، ج١/٢٢٦.

(٣) الحاكم، المستدرك، ج١/١٦٦؛ وانظر: الصلابي، الحسن بن علي، ص٢٥.

(٤) انظر رواية أبي داود في سننه، ح برقم: ٥١٠٥، ص ٩٢٤.

(٥) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ .... ، ج٤/٢١٧؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/٢٤٩، ٣٣١.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ .... ، ج٤/٢١٦.

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ .... ، ج٤/٢١٦.

الحسين رضي الله عنه: ولد الحسين رضي الله عنه في شعبان من السنة الرابعة من الهجرة في المدينة المنورة. ففرح به الرسول ﷺ أيما فرح، وقبَّله، ودعا له رضي الله عنه،[١] وقد أجمعت الأمة على محبته رضي الله عنه.

كان ﷺ محبًّا لهما، رحيمًا بهما، حريصًا على أن يحبهما الناس، وهذا من تمام رحمته ﷺ بهما، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني)).[٢]

لقد كان حب رسول الله ﷺ لهما قويًّا، وكانا صغيري السن، وبالطبع يكون للصغار عند جدهما رحمة ومكانة خاصة لا يصل إليها أحد من الناس، مهما علت منزلته، وقد وقعت عدة حوادث تثبت ذلك، فقد روى يعلى ابن مرة قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى رسول الله ﷺ، فجاء أحدهما قبل الآخر، فجعل يده في عنقه فضمه إلى بطنه، وقبّل هذا، ثم قبّل هذا، ثم قال: ((إني أحبهما، فأحبوهما، أيها الناس! الولد مبخلة مجبنة)).[٣]

كما بشرهما بالجنة فقال ﷺ: ((الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة))،[٤] ولا شك أن ذلك يفرحهما ووالديهما وكل من أحبهما رضي الله عنهم.

وقد كانا مثالاً حيًّا في حياة النبي ﷺ على محبته ﷺ للصغار والعطف

---

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/١٥٠، ٢٠٥.

(٢) انظر: النسائي، سننه، ح برقم: ٨١٦٨.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ج١/٧٧؛ والترمذي في سننه، رقم: ٣٧٣٤؛ والذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٥٥.

(٤) انظر تخريجه عند البخاري، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٥١.

عليهم؛[١] لما يرون منه ﷺ من رحمة وعطف وحنان وتعامل مع الحسن والحسين ﷺ، فقد روى أبو هريرة ﷺ قال: ((دخل الأقرع بن حابس على رسول الله ﷺ، فرآه يقبل إما حسنًا وإما حسينًا، فقال: تقبله ولي عشرة من الولد ما قبلت واحدًا منهم؟! فقال رسول الله ﷺ: إنه من لا يرحم لا يُرحم))،[٢] وهذا تصريح بأن هذه المحبة من تلك الرحمة.

وأمثلة تعامل النبي ﷺ معهما كثيرة؛ فعن عكرمة عن ابن عباس قال: ((كان النبي ﷺ حاملاً الحسن بن علي ﷺ على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي ﷺ: ((نعم الراكب هو))،[٣] إن هذا التصرف وهذا السلوك معهما في صغرهما مثال للأمة في السلوك مع الصغار والرحمة والعطف وحسن المعاملة، مع اللعب والتواضع معهم.

عن أبي الزبير، عن جابر قال: دخلت على النبي ﷺ، فإذا هو على أربع، والحسن والحسين ﷺ على ظهره، يحبو بهما في البيت، وهو يقول: ((نعم الجمل جملكما، ونعم العِدْلان أنتما)).[٤]

ويظهر من الحادثة أنه ﷺ قد كبرت سنه، وقد يكون قارب الستين من عمره، فعن أبي هريرة ﷺ قال: كنا نصلي مع النبي ﷺ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين ﷺ على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما، فوضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا حتى يقضي صلاته.[٥]

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن رحمته ﷺ بالصغار.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال، ج ٧٦/٧، ح برقم: ٢٣١٨.

(٣) انظر: الصلابي، أمير المؤمنين الحسن بن علي، ص ٦٣، وضعفه.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٥٦/٣.

(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٥٦/٣.

وقد ورد أنه ((بينما رسول الله ﷺ يخطب، إذ أقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويتعثران، إذ نزل رسول الله ﷺ عن المنبر، فرفعهما إليه، وقال: صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾ [التغابن]، رأيت هذين فلم أصبر، ثم أخذ في حديثه)).[١]

وفي شأن الحسن ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: خرجت مع النبي ﷺ في طائفة من النهار، لا يكلمني ولا أكلمه، حتى أتى سوق بني قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة، فقال: أثم لُكع؟ أثم لكع؟ فحبسته فظننا أنها تلبسه سخابًا أو تغسله، فجاء يشتد حتى عانقه وقبَّله، فقال: ((اللهم أحببه، وأحب من يحبه)).[٢]

وكان ﷺ يُعوِّذ الحسن والحسين بقوله: ((أُعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، هكذا كان إبراهيم يعوذ ابنيه إسماعيل وإسحاق))،[٣] وفي هذا فهو ﷺ قدوة للمسلمين في تعويذ أبنائهم، والدعاء لهم، والتأسي به، كما تأسى هو ﷺ بأبيه نبي الله إبراهيم عليه السلام.

وعن سلمة بن الأكوع قال: (لقد قُدت بنبي الله ﷺ والحسن والحسين بغلتَه الشهباء، حتى أدخلتهم حجرة النبي ﷺ، هذا قدامه، وهذا خلفه).[٤]

وكان ﷺ يعانقهما رضي الله عنهما على مرأى من الصحابة.[٥]

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٥٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، ج٣/٢٠؛ ورواه مسلم في صحيحه، في (فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما).

(٣) رواه البخاري، ح برقم: ٣٣٧١.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، ح برقم: ٢٤٣٢.

(٥) انظر: الصلابي، الحسن بن علي، ص ٢١٦.

كان الحسن ﷺ كثير الزيارة والتفقد لأمهات المؤمنين بعد وفاة الرسول ﷺ، كما اشتهر بعبادته وتقواه وقعوده في مسجد رسول الله ﷺ من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس،[١] وبلغ حدًّا من الشرف والكرم والسخاء لم يبلغه أحد غيره،[٢] أخذ العلم عن أمهات المؤمنين وعدد من الصحابة، على رأسهم والده أمير المؤمنين علي ﷺ، وكان الناس يحرصون على تزويجه ونسبه رغم كثرة طلاقه، وكان والده علي ﷺ يحذرهم من ذلك، ويقول: (إنه مطلاق)، ومع ذلك يفرح الناس بنسبه ولو فترة من الوقت.[٣]

كان ملازمًا لأبيه، ناصحًا له طوال حياته، ومساندًا له في كل أعماله، كما كانت له مكانته عند الراشدين لمكانته من رسول الله ﷺ،[٤] خرج مع والده علي ﷺ من المدينة بعد استشهاد عثمان بن عفان ﷺ إلى الكوفة،[٥] وشهد معه صفين والجمل والنهروان،[٦] وحضر استشهاد والده أمير المؤمنين علي ﷺ، واقتص من قاتله.[٧]

بايعه أهل العراق بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين علي ﷺ، ثم آذوه، وضيقوا عليه، فسلم الأمر لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ سنة ٤١هـ، وهو ما عرف بعام الجماعة،[٨] وصدق فيه قول الرسول ﷺ، برواية أبي بكرة:

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٥/٣٩٨؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/٣٧.

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة، ج٤/٢١٦.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٦١؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/٣٨؛ وانظر: الصلابي، في كتابه (الحسن بن علي)، ص ٣٠.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥/١٥٠.

(٥) الطبري، تاريخه، ج٥/١٦٩.

(٦) الطبري، تاريخه، ج٥/٢٣٦، ٢٠٤.

(٧) الطبري، تاريخه، ج٦/٨٦.

(٨) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٢.

سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة، وإليه مرة، ويقول: ((ابني هذا سيد. ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)).[١]

عاش بعد ذلك قرابة عشر سنوات قضاها في المدينة المنورة، كان فيها محل عناية المسلمين معلمًا، وشريفًا، وسيدًا مباركًا، متابعًا لأحوال أمهات المؤمنين، ومتفقدًا لهن، حتى وافاه الأجل سنة ٤٩هـ،[٢] وكان عمره ستًا وأربعين سنة، وقد بكاه الناس، وحزنوا على فراقه حزنًا شديدًا.

الحسين بن علي ﷺ[٣] (الشهيد):[٤]

أجمعت الأمة على محبته ﷺ، قال فيه المصطفى ﷺ وفي أخيه: ((هما ريحانتاي من الدنيا))،[٥] وقال ﷺ: ((الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة)).[٦] كان الصحابة ﷺ بلا استثناء يحبون الحسين ويقدرونه، قال عنه جابر بن عبد الله ﷺ وهو ينظر إليه: من أحب أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر هذا،[٧] وكان ﷺ فاضلاً، كثير الصوم والعبادة والصلاة والحج وأعمال البر.[٨]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج٤/٢١٦.

(٢) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٢٠٤؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/١٨٦.

(٣) وضع البخاري في صحيحه، كتاب المناقب ـ مناقب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج٤/٢١٦.

(٤) انظر: عنوان الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٣/٣٨٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب ـ مناقب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج٤/٢١٧، ح برقم: ٣٧٥٣.

(٦) انظر تخريجه عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٥١.

(٧) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٨٢.

(٨) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/٢٠٧.

بعد أن شبّ ﷺ كان مثال الكرم والجود وسمو الأخلاق، حريصًا على العلم، فتعلم من كبار الصحابة، ومن أمهات المؤمنين، وكان أحد أشراف المدينة وسادتها ومعلميها في عصر الراشدين.

تأثر برسول الله ﷺ، فكان ﷺ من معلمي الناس الكتاب والسنة، مما تعلمه ﷺ من النبي ﷺ ومن أمه فاطمة ووالده علي ومن بقية الراشدين وأصحاب النبي ﷺ، وقد روى عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ.(١)

تألمت الأمة لمقتل الحسين ﷺ في كربلاء، وكان الصحابة والتابعون يذكرون فضله ومحبة النبي ﷺ له، فهذا أنس بن مالك يقول عنه: (كان أشبههم برسول الله ﷺ).(٢) وهذا ابن عمر ﷺ يقول: (أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقد قال ﷺ: ((هما ريحانتاي من الدنيا)).(٣)

حمزة بن عبد المطلب (سيد الشهداء) ﷺ:(٤)

عم رسول الله ﷺ، وُلِدَ قبله بأكثر من سنتين، نشآ وترعرعا وشبا معًا وأحب كل منهما الآخر،(٥) وكانت محبة رسول الله ﷺ له، وحسن تعامله وتقديره ورأفته به، ورحمته له، دروسًا تقتفى، ويتأسى بها.

كان فارسًا قويًّا مغوارًا ذا غيرة وحمية، مولعًا بالصيد، يجيد الرمي،

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٨٠.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب أصحاب النبي ﷺ، ج٤/٢١٦.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب أصحاب النبي ﷺ، ج٤/٢١٧.

(٤) الحاكم، المستدرك، ج٣/١٩٥؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج٤/٤٨؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٧٣.

(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/١٧١؛ وانظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١/٧١؛ وابن حجر، الإصابة، ج١/٣٠٤.

وفي قصة إسلامه أن أبا جهل آذى رسول الله ﷺ في يوم من الأيام، واشتدّ في ذلك، وشتم الرسول ﷺ، ونال منه، ثم انصرف إلى نادٍ من أندية قريش، وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان ترى ذلك، فلما أقبل حمزة رضي الله عنه راجعًا من رحلة صيد، قالت له: يا أبا عمارة؛ لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفًا من أبي الحكم، وقصت عليه ما جرى من أذى للنبي ﷺ، فثارت حميته، وتوجه مغضبًا، ودخل المسجد وتوجه إلى أبي جهل، وكان جالسًا في القوم، فقام على رأسه، وضربه بالقوس ضربة شديدة، شجت رأسه شدة منكرة، وقال له: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فرُدَّ عليّ ذلك إن استطعت، فقام بعض الرجال لينصروا أبا جهل، فقال: دعوا أبا عمارة، فوالله إني قد سببت ابن أخيه سبًّا قبيحًا.(١)

لا شك أنه كانت لدى حمزة محبة وحمية خاصة وغيرة على النبي ﷺ، رحمةً به، وخوفًا عليه.

كان حَسن الإيمان، حريصًا على تعلم القرآن الكريم عاملاً به، مدافعًا عن النبي ﷺ قبل الهجرة وبعدها، يوليه النبي ﷺ عناية خاصة في التكريم والاحترام والعفو، فهو أول من أسلم من أعمام النبي ﷺ.

وهو من أوائل المهاجرين إلى المدينة، المقاتلين الأشداء مع رسول الله ﷺ، فكان ﷺ يخشى عليه، وفي الوقت نفسه يقدمه لما عرف عنه من بأس وشجاعة وقوة، بدأ بنفسه معركة بدر بمبارزة عتبة بن ربيعة، فقتله، ثم شارك في قتل ابنه الوليد بن عتبة؛ ولذلك أصبح هدفًا لمشركي مكة في المعارك اللاحقة؛ لما رأوا من مكانته ومحبته عند النبي ﷺ، وقوته في

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٩١.

صفوف المسلمين؛ فاستأجرت هند بنت عتبة (وحشيًّا) الحبشي ليتفرغ لمهمة اغتيال حمزة رضي الله عنه مقابل حريته وعتقه.

وترصَّدَ وحشي لحمزة وهو يصول ويجول في أُحد، ثم رماه فوقع شهيدًا رضي الله عنه، وقد مثلت نساء قريش بجسد حمزة رضي الله عنه، وبُقر بطنه، وجدع أنفه وأذناه،[1] ولما رآه الرسول ﷺ على تلك الحال حزن حزنًا شديدًا على ذلك، وتوعد بالانتقام له، فنزل عليه قوله ـ تعالى ـ تأديبًا له ﷺ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل].

فعفا رسول الله ﷺ، ونهى عن المُثلة، فكان ذلك خُلقًا نبويًّا عاليًا بتوجيه رباني، وتأديب من الله له ﷺ، ثم صلى عليه رسول الله ﷺ، ثم جيء بالقتلى بجواره يصلى عليهم حتى صلى رسول الله ﷺ على حمزة صلوات متكررة، وهذا يعني مزيدًا من الدعاء والرحمة له رضي الله عنه، ودفن مع شهداء أُحد في المكان المعروف بجوار جبل أحد بمقابر الشهداء.[2]

وحينما شاهد النبي بكاء نساء الأنصار على شهدائهن قال: ((لكن حمزة لا بواكي له))؛ فبكته نساء الأنصار حتى قال لهن النبي ﷺ:

---

(١) انظر غزوة أحد، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/١٧٩؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٩٦؛ وخليفة بن خياط، ص ٦٨؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٤١ .

((ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن)). كان واضحًا حزن النبي ﷺ وتأثره لاستشهاد عمه حمزة رضي الله عنه.[١]

وقد قال عنه ﷺ: ((سيد الشهداء حمزة)).[٢] وهذا الثناء على حمزة وسام حمله من النبي، واشتهر به في الأمة إلى يوم القيامة.

وكان لحمزة رضي الله عنه بنت أراد بعض آل البيت أن يتزوجها النبي ﷺ، فقال ﷺ: ((علمت أنها ابنة أخي من الرضاعة)).[٣]

وقد رثاه عدد من شعراء الرسول ﷺ، ولعل ذلك كان يعجب النبي ﷺ.[٤]

جعفر بن أبي طالب (ذو الجناحين الطيار) رضي الله عنه:[٥]

ابن عم الرسول ﷺ، وأخ لعلي بن أبي طالب، أسن منه بعشر سنوات، عُرف بذي الجناحين، ولد قبل البعثة بتسع عشرة سنة تقريبًا، من أشبه الناس برسول الله ﷺ، وقد قال عنه ﷺ: ((أشبهت خَلقي وخُلقي)).[٦] أسلم جعفر وزوجه أسماء بنت عميس مبكرًا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فناله الأذى من مشركي مكة، فخرج مهاجرًا إلى الحبشة مع زوجه أسماء

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٧٠، ٩٢، ٩٩؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/١٨٢.

(٢) انظر تخريجه عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج١/١٧٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم، ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، ج٦/١٢٥.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/١٥٨، ١٦٢.

(٥) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال له النبي ﷺ: (أشبهت خَلقي وخُلقي)، ج٤/٢٠٩.

(٦) من رواية البخاري في صحيحه، باب مناقب جعفر بن أبي طالب (وجعل العبارة في عنوان الباب)، ج٤/٢٠٩.

بنت عميس، فبقي فيها ثلاثة عشر عامًا، كان خلالها يتابع أحوال المهاجرين إلى الحبشة، ويتفقدهم، ويعلمهم، ويتلقى توجيهات رسول الله ﷺ.

وعندما عاد جعفر من الحبشة قبّل الرسول ﷺ بين عينيه، والتزمه، وقال: ((ما أدري بأيهما أنا أُسر؟ بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟!)).(١)

إنها الرحمة والفرح والسرور بعودته سالمًا غانمًا ثابتًا على دينه.

إن هذا الفرح من النبي ﷺ بقدوم جعفر وسلامته دليل على عظيم محبة النبي ﷺ له، وتقديره ورحمته، وقد أحس الناس هذا حين رأوا التزامه، وكان رسول الله ﷺ يسميه أبا المساكين، فقد رُوِيَ عن أبي هريرة: ((إن كنتُ لألصق بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنت لأستقرئ الرجلَ الآيةَ وهي معي كي ينقلب بي فيُطعمني، وكان أخيرَ الناس للمساكين جعفرُ ابنُ أبي طالب ﷺ؛ كان ينقلب بنا فيُطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليُخرج إلينا العكّة التي ليس فيها شيء، فنشقها، فنلعَقُ ما فيها)).(٢)

كان ﷺ أحد قواد مؤتة، وبها استشهد، حين بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء، وقال: ((عليكم زيد، فإن أصيب فجعفر، فإن أصيب فابن رواحة))، فوثب جعفر، وقال: بأبي أنت وأمي، ما كنت أرهب أن تستعمل زيدًا عليَّ، فهذا يدل على التزامه بما أمر به النبي ﷺ، وعدم تكبره على مولى رسول الله ﷺ، قال: ((امضوا، فإنك لا تدري أي ذلك خير؟)). وحين

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ح برقم: ٤٩٩٤، ج٣١٦/٦؛ وانظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، موضوع (فتح خيبر)، وكذا الجزء الخامس من الكتاب والخاص بـ (المعايشون للمصطفى ﷺ).

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب جعفر بن أبي طالب، ج٢٠٩/٤.

استشهد جعفر علم ﷺ من الوحي بذلك، وأمر ﷺ أن يُنادى: الصلاة جامعة، قال ﷺ: ((ألا أخبركم عن جيشكم؟ إنهم لقوا العدو، فأصيب زيد شهيدًا، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء جعفر، فشد على الناس حتى قتل، ثم أخذه ابن رواحة، فأثبت قدميه حتى أصيب شهيدًا، ثم أخذ اللواء خالد)). ولم يكن من الأمراء، بل أنه أمّر نفسه، فرفع رسول الله ﷺ أصبعيه، وقال: ((اللهم هو سيف من سيوفك فانصره))، فيومئذ سمِّي سيف الله.

ولما لقي جعفرٌ المشركين أصابوه واللواء بيده اليمنى فقطعت، ثم باليسرى فقطعت، ثم استشهد.

وفي قصة استشهاده ورد أنه اقتحم عن فرس له شقراء، فعقرها، ثم قاتل حتى قتل، وهو أول من عقر في الإسلام، وكان يردد أبياتًا نقلتها الأمة عنه إلى هذا الزمان.[1]

وقد تفقد ﷺ أبناء جعفر من بعده، ورعاهم، ورد عن أسماء بنت عميس زوجة جعفر أنها قالت: (دخل عليَّ رسول الله ﷺ، فدعا ببني جعفر)، فرأيته شمّهم، وذرفت عيناه، فقلت: (يا رسول الله ﷺ؛ أبلغك عن جعفر شيء؟) قال: ((نعم قتل اليوم))، فقمنا نبكي ورجَّعَ، فقال: ((اصنعوا لآل جعفر طعامًا، فقد شغلوا عن أنفسهم)).[2]

وعن عائشة ﵂ قالت: (لمّا جاءت وفاة جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحُزن)،[3] وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ((رأيت جعفر بن أبي

---

(١) انظر لهذه الأبيات في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، موضوع (غزوة مؤتة).

(٢) رواه أبو داود في سننه، ص ٢٦٥، ح برقم ٣١٣٢؛ والألباني في صحيح الجامع، ج١/٢٣٤، ح برقم ١٠١٥؛ وابن ماجه في سننه، ج١/٥١٤، ح برقم ١٦١٠ و ١٦١١.

(٣) انظر مزيدًا من التفصيلات في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، موضوع (غزوة مؤتة).

طالب ملكًا في الجنة، مضرجة قوادمه بالدماء، يطير في الجنة))،[١] وكان معروفًا بين الصحابة بذي الجناحين.[٢]

صفية بنت عبد المطلب ﵂:

عمة رسول الله ﷺ، وشقيقة حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء، وزوجة العوام بن خويلد أخي أم المؤمنين خديجة ﵂، وأم الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وزوج السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق.[٣]

أسلمت في مكة، وهاجرت مع ولدها الزبير بن العوام ﵁، وكانت من عشيرة الرسول ﷺ وأهله الذين أنذرهم حين نزل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]، فناداها باسمها: ((يا فاطمة بنت محمد يا صفية ...)).[٤] وكان ﷺ رحيمًا بها، داعيًا لها ولآلها إلى الخير والرحمة، مخصصًا لها باسمها؛ مما يدل على قربها من نفسه.

كانت تساعد جرحى المسلمين في غزوة أحد، وحين استشهد شقيقها حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، ومثلت به قريش أقبلت صفية لتنظر إلى أخيها الشهيد، فأدركها ابنها الزبير، وخشي عليها إن نظرت إليه وقد مُثل به، فقالت: إليك عني، وكانت امرأة جلدة شجاعة صابرة، وقالت: بلغني أنه مُثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأصبرن وأحتسبن إن شاء الله، فجاء الزبير، فأخبر النبي ﷺ، فقال: خل سبيلها،

---

(١) انظر مزيدًا من التفصيلات في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، الجزء الخاص بـ(المعايشون للمصطفى ﷺ) موضوع (جعفر بن أبي طالب).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب مناقب جعفر بن أبي طالب، ج٤/٢٠٩.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٨؛ وابن حبيب، المحبر، ص ١٧٢، ٤٠٦.

(٤) انظر: الزبيري، نسب قريش، ص ٢٣.

فأتت إليه، واستغفرت له،[١] وكانت عناية النبي ﷺ بعمته في هذا الموقف ورحمته وشفقته عليها واضحة جلية ﷺ.

وفي غزوة الأحزاب جعل رسول الله ﷺ النساء والصبيان في حصن فارع؛ لحمياتهم من اليهود والمنافقين، فمر رجل من اليهود بالحصن، فجعل يطيف بالحصن، فنزلت إليه صفية، فضربته بعمود فقتلته.[٢]

خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة خيبر، وشهدت مبارزة ابنها الزبير لفارس اليهود ياسر أخي مرحب، وخافت عليه، وقالت: يا رسول الله؛ أيقتل ابني؟ فطمأنها ﷺ، وقال: بل ابنك يقتله إن شاء الله، فتبارزا، فقتله الزبير.[٣]

كان ﷺ يتعامل معها رافعًا لمعنويتها مطمئنًا مشفقًا عليها رحيمًا بها.

وحينما توفي رسول الله ﷺ رثته صفية رضي الله عنها بأبيات من الشعر، وقد توفيت رضي الله عنها سنة عشرين من الهجرة بالمدينة المنورة، ودفنت في البقيع، ولها من العمر ثلاث وسبعون سنة.[٤]

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه:

عم النبي ﷺ، أسَنّ من النبي ﷺ بسنتين أو ثلاث،[٥] جمعت بينهما القرابة والصداقة في الصغر والشباب والتواد والتراحم، كانت فيه صفات حميدة زادت من حميته للنبي ﷺ، منها: صلة الرحم، والكرم، والخُلق الحسن،

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٩٧؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/١٨٠.
(٢) انظر: غزوة الأحزاب في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).
(٣) انظر غزوة خيبر، في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).
(٤) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٤٧؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٠٥.
(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٧٨؛ وابن سعد، الطبقات، ج٤/٥.

يُكنَّى بأبي الفضل. رأى الكثير من العلماء أنه قديم الإسلام، لم يُعرف إسلامه إلا يوم فتح مكة،[١] وكان يكتمه في وقت كان يخدم فيه النبيﷺ، ومواقفه شاهدة على ذلك، ومنها: أنه استوثق للنبي ﷺ من الأنصار في بيعة العقبة الثانية.[٢]

وقد بقي في مكة بعد الهجرة، وخرج في غزوة بدر مع قريش وهو مستكره، وقد قال الرسول ﷺ حينها: ((إني أعرف رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كرهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدًا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أُخرج مستكرهًا))،[٣] وهذا نص واضح في كرهه لقتال المسلمين، بل من الواضح دفاعه عن الرسول ﷺ، ودفاع الرسول عنه، ومحبته ورحمته له، بل لعله كان مسلمًا وعينًا للنبي ﷺ دون أن يعلم أحد.[٤]

وقد أُسر العباس في بدر، ودَفع الفدية للمسلمين ليُفك من الأسر.

وقد تزوج النبي بميمونة بنت الحارث، وهي أخت لأم الفضل زوجة العباس، وهو الذي زوجها للنبيﷺ،[٥] فكانت زيادة في الصلات بينهما وبين أبناء العباس وأم المؤمنين ميمونة، حيث كانوا يدخلون بيت النبي.

---

(١) انظر فتح مكة في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)؛ وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٧٨.

(٢) انظر بيعة العقبة الثانية في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٦٢٩؛ وانظر: غزوة بدر في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ج١/٨٥٥.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤١٢.

وبعد فتح مكة ظهر إسلام العباس ﷺ، وكان سببًا في إجارة أبي سفيان حتى إذا عُرض عليه الإسلام أسلم، مما يدل على معرفة المسلمين له، وأنه محسوب عليهم، فلم يتعرض لأي أذى.

وقد خرج مع الرسول ﷺ إلى حنين، وكان من القلائل الذين ثبتوا حول النبي ﷺ ومعه ابنه الفضل بن العباس،[١] وكان يصيح بأعلى صوته: يا معشر الأنصار، يا أصحاب البيعة، مُذكرًا إياهم ببيعة العقبة التي شهدها بنفسه. وقد ورد أن النبي ﷺ قال عنه: ((إنما العباس صنو أبي، فمن آذى العباس فقد آذاني)).[٢] هذا التعبير عن المحبة والدفاع عن العباس يبين مكانته من النبي ووقوفه معه ودفاعه عنه ورحمته به.

كان يخدم الحجاج بالسقاية والرفادة، وقد سقى النبي ﷺ في حجة الوداع،[٣] وشارك في تجهيز النبي ﷺ وتغسليه بعد وفاته.[٤]

عاش في المدينة بعد فتح مكة، وعاصر أبا بكر وعمر وعثمان، وكانت له مكانة خاصة في قلوب الأمة.[٥]

توفي ﷺ في يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رجب سنة ٣٢ من الهجرة.[٦]

---

(١) انظر غزوة حنين في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)؛ وابن سعد، الطبقات، ج٤/١٩.

(٢) انظر تخريجه عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٢/٩٠.

(٣) انظر حجة الوداع في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)؛ وابن سعد، الطبقات، ج٤/٢٥؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص ٣٢٩.

(٤) انظر وفاة النبي ﷺ من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/٥.

(٦) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٩٧.

الفضل بن عباس (الردِف) رضي الله عنه:[١]

ابن عم النبي ﷺ، وبه كان يُكنَّى، فهو أكبر أولاد العباس،[٢] أمه لبابة بنت الحارث التميمية، وبها يُكنَّى، وخالته ميمونة بنت الحارث.[٣]

شهد فتح مكة، وصحب الرسول ﷺ في غزوة حنين، وثبت مع والده العباس مع النبي ﷺ في حنين حين فرّ الناس.[٤]

كان رديف النبي ﷺ في حجة الوداع، وهذا دليل على مكانته من النبيﷺ وحسن تعامل ورحمة، وكان شابًّا جميلاً بدأ ينظر إلى امرأة، وتنظر إليه، فصرف النبي ﷺ وجهه والناس ينظرون إليه، في أدب ولطف.[٥]

وفي ذلك تربية مباشرة من النبي ﷺ، حيث أدبه بصمت بلا تعنيف أو تشهير أو توبيخ، وصرفه عن النظر إلى المرأة، في تطبيق عملي لغض البصر وحفظ النظر لدى شاب في مقتبل عمره.

هو الذي غسل إبراهيم بن النبي ﷺ عند موته،[٦] وشارك في تجهيز النبيﷺ مع والده العباس، وكان يصب الماء على عليٍّ رضي الله عنه،[٧] وكانت له بنت وحيدة هي أم كلثوم بنت الفضل، تزوجها الحسن بن علي رضي الله عنه، ثم

---

(١) انظر: وصف العلماء له بالردف، حيث ثبت أنه رديف رسول الله ﷺ في حجة الوداع، (ابن حبيب، المحبر، ص ٤٥٥)؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٤٤.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/٥٤؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٤٤.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/٥٤.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤/٥٤؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٤٤.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤/٥٥؛ وابن حبيب، المحبر، ص ١٠٧.

(٦) انظر: الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣/٣٩٥.

(٧) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤/٥٥؛ وانظر وفاة النبي ﷺ في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

فارقها، فتزوجها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.[١]

كان من المجاهدين في الفتوح أيام أبي بكر وعمر في فتوح الشام، واستشهد في طاعون عمواس في السنة الثامنة عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه.[٢]

عبد الله بن عباس (الحَبْرُ) رضي الله عنه:[٣]

حَبر الأمة وأعلمها بالتفسير، صحابي جليل، ابن عم النبي ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات،[٤] وهاجر إلى المدينة مع أبويه بعد فتح مكة، كان محبًّا للعلم منذ صغره، مقبلاً على حفظ القرآن الكريم وتعلمه، مما لفت نظر النبي ﷺ، فدعا له ﷺ: ((اللهم فقهه في الدين))، وفي رواية: ((وعلمه التأويل))،[٥] ولا شك أن هذه الدعوة رحمة من النبي ﷺ بابن عباس، لعلها لقيت القبول من الله ﷻ، فلازم النبي ﷺ بعد انتقاله مع والده العباس إلى المدينة، وكان يدخل كثيرًا على خالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، ويلتقي النبيَّ ﷺ، ويصلى معه ﷺ قيام الليل في منزلها.[٦] اشتهر في الأمة بعلم التفسير ومعرفة أسباب النزول، حتى أصبح رأيه مقدمًا على غيره في التأويل وأسباب النزول.[٧] استمر في التعلم من شيوخ الصحابة وملازمتهم بعد

---

(١) انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ٤٣٩.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤/٥٥؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٤٤.

(٣) هكذا وصفه الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٣/٣٣١.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/١٣٢.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، ج٧/٧٨؛ ورواه أحمد في المسند، ج١/٢٦٦، ٣١٤، ٣٣٥؛ وابن سعد في الطبقات، ج٢/٣٦٥.

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج١/٣٣؛ وابن سعد في الطبقات، ج٢/٣٦٥.

(٧) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/٣٦٦؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٤٤.

وفاة النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وغيرهم.[١]

أثنى على علمه كثير من الصحابة، ومنهم: عمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص،[٢] وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرص على مشاورته،[٣] ويدنيه من مجلسه، ويستأنس برأيه وعلمه.[٤]

كان من المقربين من عثمان رضي الله عنه، يفتي الناس في عهده،[٥] وكان عليٌّ رضي الله عنه يدنيه منه، ويعمل برأيه.[٦]

كان رضي الله عنه من أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ، بلغ مسنده ستين وستمائة وألف حديثٍ، وهذا دليل على متابعته لسنة النبي ﷺ، كما كان من أكثر الصحابة فقهًا. وله اجتهادات تميزه عن غيره من الصحابة.[٧]

توفي رضي الله عنه سنة ٦٨هـ بالطائف بعد أن فقد بصره عن إحدى وسبعين سنةً.[٨]

قثم بن العباس رضي الله عنه:

هو ابن عم النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب، وشقيق لعبد الله بن عباس، ولد في أواخر حياة النبي ﷺ، أمه لبابة بنت الحارث التميمية،[٩] أخت أم

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤/٣٦٧؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٣٤٣.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/٣٦٩.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/٣٦٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾، ج٥/٩٣.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/٣٦٦.

(٦) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٣٥٣.

(٧) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/٣٦٦؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٣٥٠.

(٨) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٣٥٩.

(٩) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٥٤٠.

المؤمنين ميمونة بنت الحارث، وهو أخٌ للحسين بن علي ﷺ من الرضاعة، ولذلك فإن سنهما متقاربة،[١] حيث أرضعت أمه الحسين بن علي لبنه.

كان يشبه النبي ﷺ في خَلقه وصورته،[٢] فقد رُوِيَ أن النبي ﷺ حمله بين يديه وهو صغير،[٣] كان صغير السن حين وفاة النبي ﷺ، ولذلك ورد أنه أصغر من شهد النبي ﷺ.[٤]

عاش زمن الراشدين، وكانوا يقدرونه لقرابته من رسول الله ﷺ.

استعمل عليٌّ ﷺ قثمًا أميرًا على مكة،[٥] وقد شهد معه الجمل وصفين.[٦]

وفي عصر معاوية خرج مجاهدًا في المشرق، واستشهد ﷺ في نواحي سمرقند سنة ٥٧ من الهجرة، ولم يكن له عقب من بعده.[٧]

عمه أبو طالب:

كفل النبي ﷺ بعد وفاة جده عبد المطلب، وكان يعطف عليه ويرعاه وينفق عليه مع أبنائه، وكان ﷺ يقدِّر ذلك لعمه ويرحمه، وفي شبابه ﷺ شعر بحاجة عمه للنفقة على عياله، فاشتغل في رعي الغنم؛ ليساعد عمه أبا

(١) انظر: الإمام أحمد، المسند، ج٦/٣٣٩؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٤٠.
(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧/٣٦٧.
(٣) الزبيري، نسب قريش، ص ٢٧.
(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٤١.
(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧/٣٦٧؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٤٠.
(٦) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٢٦٠ ـ ٢٧٣.
(٧) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٤١؛ وابن حبيب، المحبر، ص ١٠٧.

طالب في النفقة على عياله.[١]

وحينما بُعث ﷺ كانت علاقته بعمه أبي طالب حسنة، وعلى درجة عالية من الحمية، حيث كان أبو طالب يدافع عنه أمام قريش، رغم أنه كان على دين قريش، إلا أنه كان عضدًا للنبي ﷺ، وكثيرًا ما كان يحاور عمه، وينقل له رأي قريش ومحاولاتهم لإقناعه بالكف عن الدعوة إلى الله، في وقت كان يقف مع النبي ﷺ دون تردد، حاميًا له من قريش وأذاها، ومع ما لقي رسول الله ﷺ شخصيًّا من أذى قومه، فقد كان عمه أبو طالب يمنع عنه الأذى بما يستطيع، وكان لا يزال على دين قريش، يحسبون له حسابًا، وخصوصًا في بداية الدعوة، أملاً منهم أن يكون عونًا لهم على النبي ﷺ كحال أبي لهب، لكنه كان عونًا للنبي ﷺ، ومدافعًا عنه[٢] فوصله ﷺ من الأذى الشيء الكثير مع دفاع عمه عنه.

وفي مراحل متقدمة قرر المعاندون من قريش قتل النبي ﷺ، فسعى رجال منهم إلى أبي طالب، فيهم أبو جهل وغيره، وقالوا: يا أبا طالب؛ إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل أبناءنا، فإما أن تكفه عنّا، وإما أن تخلي بيننا وبينه على ما نحن عليه، فنكفيك. فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقًا وردهم.

واستمر رسول الله ﷺ في دعوته، محاولاً إقناعه بدين الله ورحمته، وقد جاءوا إلى أبي طالب مرة أخرى، وذكروه بتحذيرهم الأول، وشددوا عليه، وقالوا: يا أبا طالب؛ إن لك فينا سنًّا وشرفًا ومنزلة، وقد نبهناك عن ابن

---

(١) انظر رواية البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، ج٣/٤٨.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٦٥؛ وابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٠١؛ وابن كثير، السيرة النبوية، ج١/٤٦٤.

أخيك، فلم تنته، وإنا لا نصبر على شتم آلهتنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، فإما أن تكفه عنّا، أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين، وانصرفوا. فعظم الأمر على أبي طالب، وخشي من عدوان قومه عليه، ولم تطب نفسه أن يخذل النبي ﷺ، ومع ذلك فقد كلم رسول الله ﷺ، فقال له: يا ابن أخي؛ إن قومك قد جاءوني، فذكر له ما قالوا، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنه ربما خذله أو ضعف عن نصرته، فكان رد رسول الله ﷺ واضحًا في الثبات على دينه، فأظهر عمه الاستمرار في الدفاع عنه، وقال: يا ابن أخي؛ افعل ما أحببته، فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا.[1] ثم جاءت قريش مرة أخرى إلى أبي طالب، ومعهم (عمارة بن الوليد) أحد شباب قريش، فقالوا: يا أبا طالب؛ هذا عمارة بن الوليد أنهد ـ أشد وأقوى ـ فتى في قريش وأجمله؛ فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولدًا، فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامك، فنقتله، فقال أبو طالب: والله بئس ما سألتموني! أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله لن يكون أبدًا،[2] واشتدت القطيعة بين أبي طالب وقومه.

لقد لقيت مواقف أبي طالب من النبي ﷺ تقديرًا.

فكان ﷺ يبذل جهده في هداية عمه، وإرشاده إلى الحق، ودعوته إلى التوحيد، رحمة به، وشفقة عليه، فكان يواصل دعوته غير يائس؛ رحمة به حتى آخر لحظة من حياة أبي طالب.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٦٦.

(٢) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٠٢.

فقد ورد من رواية مسلم: لَمّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعبد اللَّهِ بْنَ أَبِى أُمَيّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يَا عَمِّ؛ قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ)). فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعبد اللَّهِ بْنُ أَبِى أُمَيّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ؛ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عبد الْمُطَّلِبِ؟. فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، حَتّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ هُوَ عَلَى مِلَّةِ عبد الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَمَا وَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ)). فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِى أَبِى طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص].(١)

سلمان الفارسي ﷺ:(٢)

أصله من (جي) من أهل أصفهان في بلاد فارس، وأرى أن من يكتب عن أهل البيت لا بد أن يدرج فيهم سلمان، وإن كان فارسيًّا؛ لقول النبي ﷺ عنه: ((سلمان منّا أهل البيت))،(٣) ونسبته لأهل البيت في الإيمان والصدق

---

(١) من رواية للإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب (أول الإيمان قول: لا إله إلا الله)، ج١/٤٠.

(٢) وضع كثير من العلماء السابقين أبوابًا خاصة في كتبهم لقصة سلمان وإسلامه؛ من هؤلاء: ابن أبي شيبة في المغازي (إسلام سلمان ﷺ)، ص ١٣٩؛ وكذلك البخاري في صحيحه، باب إسلام سلمان الفارسي ﷺ، ج٤/٢٧٠؛ وانظر: شرح ابن حجر في فتح الباري، ج١٥/١٣٨.

(٣) روى الترمذي أطرافًا منه، وحسنه؛ ورواه الطبراني؛ والحاكم في المستدرك، ج٨/١٩٨؛ وانظر كلام المحقق على تخريجه، وأورده ابن أبي شيبة في مصنفه، موقوفًا منسوبًا لعلي ابن أبي طالب ﷺ، برقم: ١٢٣٨٠، ج١٢/١٤٨.

والمحبة والطهر رضي الله عنه. وقد قالها ﷺ حينما قال الأنصار: سلمان منا؛ لأنه كان مقيمًا في المدينة قبل هجرة النبي ﷺ إليها، فعده الأنصار منهم، وقال المهاجرون: إنه منا؛ لأنه هاجر إلى المدينة، وقصدها قبل هجرة بقية الصحابة، وقبل الهجرة النبوية، وفي كلتا الجماعتين خير؛ فكل جماعة أرادت أن تفتخر بسلمان رضي الله عنه، فأعطاه الرسول ﷺ مفخرة لم تعط لأحد آخر، فقال: ((سلمان منا أهل البيت))،[1] وبذلك انتهى الخلاف بين المهاجرين والأنصار، ونال سلمان رضي الله عنه شرفًا أعظم بالانتساب لبيت النبوة، وهذا ما دفعني لإدراجه ضمن أهل البيت رضي الله عنهم.

وفي إسلامه قصة مشهورة، تواردها أهل الحديث والسير عن سلمان رضي الله عنه بأسناد صحيحة، تدل على بحثه عن الحق، ومحبته الوصول للرسول ﷺ وتضحيته في ذلك.

ونختصر مما أورده ابن شيبة في كتاب المغازي في قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، من حديثه، حيث يقول: (فسمعتهم يذكرون النبي ﷺ، فقال لمالكته: هبي لي يومًا، قالت: نعم؛ فانطلقت، فاحتطبت حطبًا، فبعته، وصنعت طعامًا، فأتيت به النبي ﷺ، وكان يسيرًا، فوضعته بين يديه، فقال: ما هذا؟، قلت: صدقة، قال: فقال لأصحابه: كلوا، ولم يأكل، قال: قلت: هذا من علامته، ثم مكثت ما شاء الله أن أمكث، ثم قلت لمولاتي: هبي لي يومًا، قالت نعم، فانطلقت فاحتطبت حطبًا، فبعت بأكثر من ذلك، وصنعت به طعامًا، فأتيت به النبي ﷺ وهو جالس بين أصحابه، فوضعته بين يديه، قال: ما هذا؟ قلت: هدية، فوضع يده، وقال لأصحابه: خذوا باسم الله، وقمت خلفه، فوضع رداءه، فإذا خاتم النبوة، فقلت: أشهد

(١) انظر: تخريجه عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٣/٥٤؛ وابن سعد في الطبقات، ج٤/٨٣.

أنك رسول الله، قال: وما ذاك؟ فحدثته...).[١]

وقد بقي سلمان رقيقًا ما يزيد على ثلاث سنوات بعد الهجرة النبوية، وكان يلتقي النبيَّ ﷺ، ويتعلم منه، وكان ﷺ يعلمه ويرحمه ويعطف عليه، ثم قال له ﷺ: كاتب يا سلمان، أي: أشتر نفسك من مالكك، وكان في نيته ﷺ إعانته على عتق نفسه. يقول سلمان رضي الله عنه: (فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير،[٢] وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين وديَة، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشرة، والرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان، ففقر لها ـ أي احفر لها ـ، فإذا فرغت أكون أنا أضعها بيدي، قال: ففقرت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي، ويضعه رسول الله ﷺ بيده فوالذي نفس سلمان بيده ما مات منها ودية واحدة، فأديت النخل، فبقي عليَّ المال، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ قال: فدُعِيتُ له، قال: فخذ هذه، فأد بها ما عليك يا سلمان، قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليَّ؟. قال: خذها، فإن الله عز وجل سيؤدي بها عنك، قال: فأخذتها، فوزنت لهم منها، فوالذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد).[٣]

---

(١) المغازي لإبن أبي شيبة، دراسة وتحقيق د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، ط٢ـ الرياض: دار إشبيلياء ١٤٤٢٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٤١.

(٢) الفقير: كل ملك به بئر، ويقال: فقير بني فلان، كما يطلق على الحفرة التي تحفر ليغرس فيها النخل (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/٢٦٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٥/٤٤١؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/٨٨؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٥٤٦.

وكان وجود سلمان بين صفوف المسلمين قبل غزوة الأحزاب إضافة خبرة جديدة للمسلمين، فقد كان حاضرًا أثناء التخطيط لمقاومة الأحزاب قبل هجومهم على المدينة، فاقترح على رسول الله ﷺ عمل الخندق حول المدينة، وشارك في الحفر مع المسلمين بعد أن خطه الرسول ﷺ.

فلما رأت الأحزاب الخندق قالوا: هذا عمل ما كانت العرب تعمله.[1] وقد آخى الرسول ﷺ بينه وبين أبي الدرداء،[2] وكان سلمان ينصحه كثيرًا، ويفقهه في أمور مختلفة، فقد ورد أن سلمان زار أبا الدرداء فرأى أم الدرداء، مبتذلة (في هيئة رثة)، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: إن أخاك أبا الدرداء ليست له حاجة في الدنيا، قال: فلما جاء أبو الدرداء قرب طعامًا، فقال أبو الدرداء: كل، فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان: نم، فنام، فلما كان من آخر الليل قال له سلمان: قم الآن، فقاما فصليا، فقال: إن لنفسك عليك حقًّا، ولربك عليك حقًّا، وإن لضيفك عليك حقًّا وإن لأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له، فصدق سلمان.[3]

---

(١) انظر: الواقدي، المغازي، ج٢/٤٤٥؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج٤/١٢٠٦؛ والصالحي الشامي، سبل الرشاد، ج٤/٥١٤.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/٨٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٥٤٦؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٥١٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ج٢/٢٤٣؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، ح برقم: ٢٤١٣، ج٤/٦٠٨؛ وأخرجه مسلم في صحيحه، ح برقم: ٢٥٤٦؛ وابن سعد في الطبقات، ج٤/٨٥؛ والذهبي في سير أعلام النبلاء، ج١/٢٤٢.

وكانت حِكم سلمان وفقهه كثيرة تناقلها التابعون رحمهم الله ـ تعالى ـ جميعًا، وقد عاش بقية حياة الرسول ﷺ في المدينة، وصحبه في كثير من غزواته ﷺ، وكان كبير السن.

بعد وفاة الرسول ﷺ كان عونًا لأبي بكر وعمر على الحق، فقد ورد أنه: (بعث إلى عمر بحلل، فقسمها، فأصاب كل رجل ثوبًا، ثم صعد المنبر وعليه حُلة، والحُلة ثوبان، فقال: أيها الناس؛ ألا تسمعون؟! فقال سلمان: لا نسمع، فقال عمر: لِمَ يا أبا عبد الله؟ قال: إنك قسمت علينا ثوبًا ثوبًا، وعليك حلة، فقال: لا تعجل يا أبا عبد الله، ثم نادى: يا عبد الله، فلم يجبه أحد، فقال: يا عبد الله بن عمر، فقال: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: نشدتك الله الثوب الذي ائتزرت به أهو ثوبك؟ قال: اللهم نعم، قال سلمان: فقل الآن نسمع).[1]

كما شارك جيوش الفتوح في المشرق، واشتهرت مشاركته في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، حيث كان داعية الجيش في القادسية، وكان أحد المفاوضين للفرس أثناء حصار عاصمتهم المدائن، ومن المترجمين بين الفرس والمسلمين.

وبعد إتمام فتح المدائن عينه عمر بن الخطاب أميرًا عليها، حيث كان له دور كبير في دعوتهم إلى الإسلام قبل القتال،[2] وقد ولاه عمر بن الخطاب على المدائن،[3] فسار في أهلها سيرة حسنة، وكان مثال المسلم الصالح في سماحته وتواضعه وزهده.

---

(١) انظر: ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن الخطاب، ص ١٤٠.

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ج١٧٣/٤؛ وابن سلام، الأموال، ص٣٣؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج٦٥/٧.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨٨/٤؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥٤٦/١.

وقد وردت العديد من الروايات التي تدل على تواضعه وزهده أثناء ولايته على المدائن، من ذلك: أن رجلاً غريبًا جاء إلى السوق، فاشترى شيئًا، ورأى سلمان وهو لا يعرفه، فسخَّره الرجل ليحمل له، فحمل سلمان للرجل، فمر بقوم، فقالوا: نحمل عنك يا أبا عبد الله؟ فقال الرجل: من هذا؟ قالوا: هذا سلمان صاحب رسول الله ﷺ. فقال الرجل: لم أعرفك، وطلب من سلمان أن يضع العلف؟ فأبى سلمان حتى أوصل علف الرجل إلى منزله.(١)

وقد اشتهر عن سلمان رضي الله عنه أنه كان يأكل من عمل يده، فقد كان يشتري الخوص، ثم يخصفه ويبيعه، ويأكل من ثمنه، ويتصدق بما كان يأتيه من بيت المال.(٢)

ولعل تولية سلمان رضي الله عنه على المدائن كانت رمزًا لمعانٍ عدةٍ، أدركها عمر رضي الله عنه قبل أن يوليه، فكان سلمان خير قدوة لقومه أهل فارس، دفعهم إلى الإسلام والرضا بهذا الدين، وقد ذكر أنه رضي الله عنه كان يرفض الولاية لولا أن عمر أجبره على قبولها، فكان يكتب إلى عمر يطلب الإعفاء، فيرفض عمر ذلك،(٣) وقد اشتهر عن سلمان رضي الله عنه زهده: (فكان يلبس الصوف، ويركب الحمار ببرذعته بغير إكاف، ويأكل خبز الشعير، وكان ناسكًا زاهدًا).(٤)

---

(١) انظر: عبد العزيز العُمري، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص ١٧٦.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/٨٨؛ وابن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر، ص ١٣٨؛ وأسد الغابة، ج٢/٣٢١؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٥٢٦، ٥٤٧؛ وابن حجر، الإصابة، ج٢/٦٣.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٥٤٧.

(٤) انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٢/٣٠٦، و(البَرْذَعَةُ: ما يوضع على الحمار أسفل الراكب، والإِكاف: المركب، والأقتاب التي توضع على الحمار للركوب) (ابن منظور: لسان، ج٨/٨، ج٩/٨).

وقبيل وفاة سلمان ﷺ دخل عليه سعد بن أبي وقّاص يعوده، فبكى سلمان، فقال له سعد: ما يبكيك يا سلمان؟ توفي رسول الله وهو عنك راض، وترد عليه الحوض؛ قال: فقال سلمان: أما إني ما أبكي جزعًا من الموت، ولا حرصًا على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهدًا، فقال: لتكن بلغة أحدكم مثل زاد الراكب، وحولي هذه الأساود، وإنما حوله إجانة أو جفنة أو مطهرة، قال: فقال له سعد: يا أبا عبد الله؛ اعهد إلينا بعهد فنأخذ به بعدك، فقال: يا سعد؛ اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند بَدْلك إذا قسمت.(١)

وقد توفي سلمان ﷺ بالمدائن في خلافة عثمان بن عفان ﷺ سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة.(٢)

* * * * *

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٥٥٢؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/٩١.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٥٥٥؛ وابن حجر، الإصابة، ج٢/٦٣؛ وابن سعد، الطبقات، ج٤/٩٣.

أمهات المؤمنين رضي الله عنهن:[١]

إن من سنن الله في البشر الزواج والذرية، وكان أنبياء الله عليهم السلام يتزوجون وينجبون الذرية، ويحيون الحياة الزوجية والاجتماعية كغيرهم من الناس. وقد ذكر الله ﷻ ذلك في كتابه العزيز، يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد].

وقد سار رسول الله ﷺ على سنن الأنبياء قبله، حيث أحل الله له الزواج كسائر الأنبياء الآخرين، يقول ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ [الأحزاب].

يطلق لفظ أمهات المؤمنين ويقصد به أزواج النبي اللاتي دخل بهن ﷺ،[٢] وقد كان لهن شرف خاص، ميزهن به الله ﷻ عن سائر النساء، يقول ﷻ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) انظر: ابن زبالة، محمد الحسن (ت، ١٩٩هـ)، منتخب من كتاب أزواج النبي، تحقيق د. أكرم العُمري، ط١. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٩٨١م؛ وإبراهيم محمد حسن الحسن، زوجات النبي ﷺ وأسرار الحكمة في تعددهن ـ القاهرة: مكتبة وهبة ١٩٨٣م.

(٢) السيوطي: الحافظ جلال الدين (ت، ٩١١هـ)، مسانيد أمهات المؤمنين، ص ١٥.

وقد سمَّاهن الله ﷻ في كتابه أمهات المؤمنين، وصفهنَّ الله بذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾ [الأحزاب].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الأحزاب]. ويعد تعامل النبي ﷺ مع نسائه وأزواجه أمهات المؤمنين، مثالاً يحتذى.

ويقال لهن: أمهات المؤمنين بالنسبة للرجال دون النساء،[1] ولذلك فقد روي عن أم المؤمنين عائشة ﵂ أنها ردت على امرأة نادتها بـ (يا أُمه) بقولها: لست لك بأم، إنما أنا أم رجالكم. ولذلك رأى العلماء أن المراد بالأمومة ـ تحريم نكاحهن على التأبيد كالأمهات ـ لا ما يرتبط بالأمومة من جواز وضع الحجاب، أو المخالطة أو ما يرتبط بذلك من الأحكام.[2]

وقد اختار الله لنبيه ﷺ أفضل النساء، فهو خير الرجال، وهنّ خير النساء، وأزواجه في الدنيا أزواجه في الآخرة، فقد ورد أن الرسول ﷺ قال: ((إن الله أبى لي أن أتزوج أو أزوَّج إلا أهل الجنة)).[3]

وقد عِشن مع الرسول ﷺ في داره، وصحبنه في تنقلاته وأسفاره، وأخذن

(١) الصالحي الشامي، أزواج النبي ﷺ، ص ٣٥.

(٢) الصالحي الشامي، أزواج النبي ﷺ، ص ٣٥ .

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، تراجم النساء، ص ٨٩؛ والصالحي الشامي، أزواج النبي ﷺ، ص ٢٥.

أخبار الرجال وأحكام النساء والرجال، ونزلت الملائكة في بيوتهن، وفي حضورهن.

وقد كان أمامهن الاختيار بين الدنيا والدار الآخرة، فاخترن الله والدار الآخرة، وذلك بعد نزول قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب].

ولذلك فقد وردت روايات في تخيير النبي ﷺ لأزواجه، منها: ما أورده البخاري في صحيحه، في باب طويل، هو باب قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحزاب].

والقرآن آيات الله، والحكمة السنة، قالت عائشة: ((لما أُمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال: إني ذاكر لك أمرًا، فلا عليك ألا تعجلي حتى تستأمري أبويك. قالت: وقد علم أن أبوي؟ لم يكونا يأمراني بفراقه. قالت: ثم قال: إن الله ـ جل ثناؤه ـ قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأحزاب]، قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت)).[1]

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب﴿ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ﴾، ج٦/٢٣.

لقد كانت جميع أمهات المؤمنين يردن الله والدار الآخرة، وبالتالي فإنهن جميعًا من أهل الجنة ـ كما يقول العلماء ـ بناء على هذا التخيير ونتيجة جوابهن له.[١]

كما أنهن نلن قدرًا من العلم لم ينلهُ أحد من الناس: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب]، فقد هيأهنَّ الله لذلك.

وكان لهنَّ شرف نقل كثير من أمور الشريعة للأمة بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ تنفيذًا لأمر الله في الآية، فكنَّ ينقلن ما يتلى في بيوتهنَّ من آيات الله وهي القرآن، ومن الحكمة وهي أحاديث رسول الله ﷺ وسنته.

وقد كان تعامل رسول الله ﷺ معهن تعامل الزوج السامي المعلم الميسر الرقيق.[٢] فقد روى مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتًا، ولا متعنتا ولكن بعثني معلمًا ميسرًا))،[٣] وقد رأين منه كل خير وبركة.

وكان ﷺ مثلاً للرجال في الخير مع نسائهم وأهلهم؛ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)).[٤]

---

(١) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ٢٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا، ج١٨٨/٤.

(٣) انظر: الهاشمي، عبد المنعم، النبي ﷺ والنساء، ط١ ـ الكويت: مكتبة المعارف المتحدة ١٤٢٩هـ، ص ١٢١.

(٤) الترمذي: الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب فضل أزواج النبي ﷺ، ج٧٠٩/٥.

وقد كان ﷺ يعطيهن أرزاقهن، وخصوصًا بعد أن وسع الله عليه بعد فتح خيبر، حيث خصص لكل منهن شيئًا من تمر ومن شعير كل عام.[١]

كان ﷺ يعدل بين نسائه في النفقة وفي المبيت.

وقد حملت أمهات المؤمنين من خير رسول الله ﷺ، وخير ما حمل من علم وخلق وبركة لسائر الأمة، طيلة حياتهن في أيام رسول الله ﷺ، وفي أيام الخلفاء الراشدين ومن بقي منهن بعد ذلك، فكن تاج المجتمع ومعلماته ومربياته، وقاداته في المجال العلمي والاجتماعي، قمن بدور عظيم في كل مجال، وقد زاد هذا الدور وتأصل بعد رسول الله ﷺ في عصر الراشدين وجزء من عصر بني أمية.

ومن المعلوم أن من بقي منهن بعد وفاته كن يعشن في المدينة المنورة ومجتمعها، فيؤثِّرن ويتأثَّرن به، يحرص الجميع عليهن بالرعاية والتكريم من أهل المدينة وروادها من ذوي الشأن في ذلك الزمان.

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:[٢]

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب،[٣] ولدت سنة ٦٨ قبل الهجرة النبوية تقريبًا، نشأت على الأخلاق الفاضلة، وعرفت بالعفة والصدق، وكانت في الجاهلية تسمى بالطاهرة تمييزًا لها، وعرفانًا بعفافها.

تزوجت قبل رسول الله ﷺ، وكانت تاجرة ذات مال، تبحث عمَّن

---

(١) انظر: حسن خان بهادر، حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة، ص ١٨١.

(٢) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، ج٤/٢٣٠؛ وانظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٨٢.

(٣) انظر: زواج الرسول ﷺ من خديجة رضي الله عنها في هذا الكتاب.

يضارب لها في مالها، فبلغها صدق الرسول ﷺ وأمانته وخُلقه، فطلبت منه أن يتاجر لها في مالها في أسواق العرب، فخرج في تجارتها إلى الشام، يرافقه غلامها ميسرة، الذي حدثها عن صدقه وأمانته وحسن خلقه، وقارنت ذلك بما رأت منه في تجارتها وتعامله معها.

فرغبت في الزواج منه، وحكت لإحدى صويحباتها تلك الرغبة الشريفة، فأخبرت النبي ﷺ، فخطبها لعمها وتزوجها، فكانت أولى زوجاته، وأم جميع أولاده، عدا إبراهيم. أنجبت منه القاسم، وبه كان يكنى ﷺ، وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن.[1] قال عنها ﷺ: ((خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة)).[2]

وبعد خمسة عشر عامًا من زواج رسول الله ﷺ نزل عليه الوحي، فكانت نعم المرأة، آمنت به وصدقته عن خِبْرَة ومعرفة وقرب، وطمأنته بقولها: ((والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)).[3]

كانت أول من آمن برسول الله ﷺ، سبقت بذلك الرجال.[4]

كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ في بيتها بمكة وهي التي زملته ودثرته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل] . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر]، كانت تحب النبي ﷺ ويحبها، لها منزلة خاصة عند رسول الله ﷺ في حياتها وبعد وفاتها.

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٨٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب تزويج النبي ﷺ خديجة رضي الله عنها وفضلها، ج٤/٢٣٠؛ وصحيح مسلم، ج٧/١٣٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، ح برقم: ٣؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٠٣.

(٤) انظر الوحي، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

وقد حفظ النبي ﷺ لها ذلك الفضل، فلم يتزوج عليها في حياتها إلى أن قضت نحبها، فحزن لفقدها حزنًا شديدًا، ولم يزل يذكرها، ويعترف بحبّها وفضلها على سائر أمهات المؤمنين، فيقول: ((إني قد رزقت حبّها))،[١] ويقول: ((آمنتْ بي إذ كفر بي الناس، وصدّقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ﷻ ولدها إذ حرمني أولاد النساء)).[٢]

كان ﷺ يصل صديقاتها بعد وفاتها، ويحسن إليهنّ، كان إذا ذبح الشاة، يقول: ((أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة)).[٣]

ففي الصحيحين من حديث عائشة ﵂ قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها؛ ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة.

وكان النبي ﷺ إذا سمع صوت هالة أخت خديجة تذكّر صوت زوجته، فيرتاح لذلك، كما ثبت في الصحيحين.[٤]

وقد توفيت ﵂ قبل الهجرة بثلاث سنين، وقبل حادثة الإسراء بالنبي ﷺ، ولها من العمر خمس وستون سنة، ودفنت بالحجُون.[٥]

ومهما كتبنا عن خديجة فلن نوفيها حقها، لكن ما ذكرناه هنا إشارات، والكتابة عنها تحتمل مجلدات متعددة.

---

(١) رواه الإمام مسلم، في صحيحه، (فضائل الصحابة)، ج٧/١٣٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٨٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري، ح برقم: ٣٨١٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، باب تزويج النبي ﷺ خديجة ﵂ وفضلها، ج٤/٢٣١.

(٥) انظر أحداث ما قبل الهجرة، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

سودة بنت زمعة ﵂:

هي سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية[١] ثانية أزواج النبي ﷺ، تزوجها بعد وفاة زوجها السكران بن عمرو، وكانت أسلمت معه، وهاجرت إلى الحبشة، وبعد عودتهما مات عنها،[٢] وهي أول امرأة تزوجها النبي ﷺ بعد خديجة ﵂، ولم يتزوج معها ﷺ نحوًا من ثلاث سنين أو أكثر، كانت خلالها ترعى بنات النبي ﷺ حتى دخل بعائشة ﵂.[٣]

كانت تحب المزاح فتلقي من الكلام ما تقصد به إضحاك النبي ﷺ.[٤]

كانت امرأة صوامة زاهدة رفيعة الخلق،[٥] وقد ورد أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ.[٦]

عن عائشة ﵂ قالت: (ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها ـ أي جلدها ـ من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حدة).[٧] ولما حجّت نساء النبي ﷺ في عهد عمر لم تحجّ معهن، وقالت: قد حججت واعتمرت مع رسول الله ﷺ، فأنا أقعد في بيتي كما أمرني الله، وظلت كذلك حتى توفيت[٨] في خلافة عمر بن الخطاب، فصلى عليها، ودفنت في البقيع.[٩]

---

(١) معمر بن المثنى، أزواج النبي ﷺ، ص ٦١.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/٥٤؛ وابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٣٨.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٦٥؛ وعبد المنعم الهاشمي، أزواج النبي ﷺ، ص١١٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٥٤.

(٥) العصامي، سمط النجوم العوالي، ج٧/١٤٤.

(٦) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٥٤.

(٧) رواه مسلم في صحيحه، ج٤/١٧٤؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٥٤.

(٨) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٥٥.

(٩) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١/١٨١؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٦٦.

كانت معطاءة تكثر من الصدقة، حتى إن عمر بن الخطاب ﷺ بعث إليها بغِرارة ـ وهو وعاء تُوضع فيه الأطعمة ـ من دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم، قالت: في غرارة مثل التمر؟ ففرقتها بين المساكين.[١] روى عنها عدد من الصحابة والتابعين، وهي قليلة الحديث ﷺ.

عائشة بنت أبي بكر الصديق ﷺ (٩ ق. هـ ـ ٥٨هـ):

أمها أم رومان بنت عمير بن عامر بن دهمان،[٢] ولدت في السنة الرابعة من البعثة النبوية،[٣] وكانت عائشة تكنى بأم عبد الله.[٤]

قال رسول الله ﷺ: ((أُريتك في المنام مرتين، أرى أنك في سَرَقَةٍ من حرير، ويقول: هذه امرأتك، فأكشف عنها فإذا هي أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه)).[٥] عقد عليها رسول الله ﷺ بمكة، وهاجرت مع والديها إلى المدينة، ودخل بها رسول الله ﷺ بعد الهجرة وعمرها تسع سنوات، وهى الوحيدة البكر من بين نسائه ﷺ،[٦] وكانت تفتخر على نسائه بذلك.[٧]

وهي الثالثة في ترتيب زواجه، عاشت مع رسول الله ﷺ في المدينة، وكانت تسافر معه في كثير من غزواته، وقد أحبها الرسول ﷺ، وبشرها بمرافقته في الجنة أكثر من مرة.[٨]

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٦٩؛ وابن سعد، الطبقات، ج٨/٥٦.
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/٥٨.
(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٥٩.
(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٦٣.
(٥) رواه البخاري في صحيحه، ح برقم: ٣٨٩٥.
(٦) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب نكاح الأبكار، ج٦/١١٩.
(٧) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ٩٨.
(٨) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٧٩.

وقد ورد في الحديث الشريف ((عن عمرو بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال، فقال: أبوها، .. الحديث)).[1]

وفي حادثة الأفك مؤشرات كثيرة على رحمة الرسول ﷺ بعائشة وشفقته عليها.

ففي رواية طويلة عن عروة بن الزبير ((عن عائشة ﷺ زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين أزواجه، فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب، فكنت أُحمل في هودجي، وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين آذن ليلةً بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه. قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أني فيه. وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم، وليس بها منهم داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليَّ. فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب أبي بكر الصدِّيق، ج٤/١٩٢.

ابن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها، فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول.

قالت: فهلك من هلك، وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أُبي بن سلول، قال عروة: أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده، فيقره ويستمعه ويستوشيه. وقال عروة أيضًا: لم يسم من أهل الإفك أيضًا إلا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، في ناس آخرين، لا علم لي بهم غير أنهم عصبة، كما قال الله ـ تعالى ـ وإن كِبر ذلك يقال له: عبد الله بن أُبي بن سلول. قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان، وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهرًا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ رسول الله ﷺ فيسلم، ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف، فذلك يريبني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت حين نقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع، وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل،

وذلك قبل أن نتخذ الكنف[1] قريبًا من بيوتنا. قالت: وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا. قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصدِّيق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد ابن المطلب. فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرًا، فقالت: أي هنتاه؛ ولم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت: ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك!! قالت: فازددت مرضًا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ، فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي: يا أمتاه؛ ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية؛ هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها، قالت: فقلت: سبحان الله؛ أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي. قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، حين استلبث الوحي، يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك، ولا نعلم إلا خيرًا، وأما عليٌّ فقال: يا رسول الله؛ لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك. قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: أي بريرة، هل

(١) الكنف: هو مكان لقضاء الحاجة، يكون في البيوت أو بجوارها، ولا زال معروفًا حتى اليوم في بعض القرى، وبنفس اسمه.

رأيت من شيء يريبك؟ قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرًا قط أغمصه، غير أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستعذر من عبد الله ابن أُبي وهو على المنبر، فقال: يا معشر المسلمين؛ من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي؟ والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرًا، وما يدخل على أهلي إلا معي. قالت: فقام سعد ابن معاذ أخو بني عبد الأشهل، فقال: أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه، وهو سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل. فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق، تجادل عن المنافقين. قالت: فثار الحيان: الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر. قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت. قالت: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم. قالت: وأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويومًا، لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي، فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليَّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي. قالت: فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺعلينا، فسلم ثم جلس. قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني بشيء. قالت: فتشهد رسول الله ﷺ

حين جلس، ثم قال: أما بعد يا عائشة؛ إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله، وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة. فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرًا: إني والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقُنِّي، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: "فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون"، ثم تحولت واضطجعت على فراشي، والله يعلم أني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يتلى لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان، وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي أنزل عليه. قالت: فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة؛ أما الله فقد برأك. قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، فإني لا أحمد إلا الله ﷻ. قالت: وأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ

مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور]. ثم أنزل الله هذا في براءتي. قال أبو بكر الصدِّيق، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: من الآية ٢٢] قال أبو بكر الصدِّيق: بلى والله؛ إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه. وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا)).(١)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا التي أسأم، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث الافك، ج٥/٥٥ ـ ٥٩.

وعن عائشة ﵂ قالت: كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد، كلانا جنب، وكان يأمرني فأتزر، فيباشرني وأنا حائض، وكان يخرج رأسه إليَّ وهو معتكف، فأغسله وأنا حائض.

عن عائشة ﵂ قالت: ((قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لُعَبٍ، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي، ورأى بينهن فرسًا له جناحان من رقاع، فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس له جناحان؟ قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟، قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه)).[1] رواه أبو داود، وله شواهد عند البخاري.

صحبت الرسول ﷺ في عدد من غزواته، وبرَّأها الله من الإفك الذي اتهمها به المنافقون، ومن سلك دربهم في آيات تتلى إلى يوم القيامة.[2]

روي عن النعمان بن بشير قال: ((اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِيًا، فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا لِيَلْطِمَهَا، وَقَالَ: أَلَا أَرَاكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْجِزُهُ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغْضَبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ: كَيْفَ رَأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَهُمَا قَدِ اصْطَلَحَا، فَقَالَ لَهُمَا: أَدْخِلانِي فِي سِلْمِكُمَا، كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ فَعَلْنَا، قَدْ فَعَلْنَا)).[3]

---

(١) أبو داود في سننه، باب اللعب بالبنات، ص ٨٩٢، ح رقم: ٤٩٣٢.

(٢) انظر حادثة الإفك في غزوة بني المصطلق، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، ص ٩٠٥، ح برقم: ٤٩٩٩.

فليس فيه إقرار لرفع صوت عائشة على سيد ولد آدم، لا سيما وقد أنكره عليها أبوها الصدِّيق بقوله: (ألا أراك ترفعين صوتك)؟

وكذلك استرضاؤه ﷺ لعائشة بعد خروج أبيها إنما كان إدلالًا بفضله عليها في استنقاذها من لطمة أبيها، كما دلت عليه رواية أبي داود المتقدم ذكرها.

مُرِّض رسول الله ﷺ في حجرتها، ومات في حجرها، وتوفي عنها رسول الله ﷺ ولها من العمر ثماني عشرة سنة، وكانت محل عناية المسلمين بعد رسول الله ﷺ، وكان أكثر الناس صلة بها وأخذًا للعلم عنها ابناء أختها أسماء، ومن أشهرهم في ذلك عبد الله بن الزبير وعروة بن الزبير وغيرهم،[١] وهي من أكثر من شهد نزول الوحي على الرسول ﷺ، روت ما يقرب من (٢٢٠٠) حديث عن رسول الله ﷺ.[٢] وكانت مرجعًا لأهل المدينة في الإفتاء بعد وفاة الرسول ﷺ، وقد قال رسول الله ﷺ لأم سلمة حينما عاتبته في عائشة: ((يا أم سلمة؛ لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها))،[٣] كما كانت كثيرة الصلة بالحسن والحسين سِبْطَيْ رسول الله ﷺ، بعد عودتهما من العراق، بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.[٤] توفيت ﷺ في المدينة في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين من الهجرة على الأرجح.[٥]

حفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ (١٨ ق. هـ ـ ٤٥هـ):

(١) انظر الرواة عن عائشة عند: جمعة أحمد خليل جمعة، نساء أهل البيت، ص ١٤٩.

(٢) انظر: الخزرجي، خلاصة تهذيب الكمال، ج١/٤٩٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، باب فضل عائشة، ح برقم: ٣٧٧٥.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩٢/٢؛ وابن سعد، الطبقات، ج٨١/٨؛ والصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٣٥.

(٥) لمزيد من التوسع حول حياة عائشة ﷺ بعد استشهاد عثمان بن عفان ﷺ انظر: سعيد الأفغاني، عائشة والسياسة، ط٢ـ القاهرة: لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٧م، ص ٦٠.

هي ابنة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، ولدت قبل البعثة بخمس سنين، وأمها زينب بنت مظعون،[١] تزوجها رسول الله ﷺ في السنة الثالثة من الهجرة،[٢] عاشت معه، ونهلت من علمه، وتأدبت بأدبه ﷺ، وعاشت بعد وفاته ﷺ، وشهدت عصر الراشدين الزاهر، وعاشت الفتن التي جرت بعد استشهاد عثمان ﷺ، كما عاشت فترة من خلافة معاوية. كان إخوتها من أبناء عمر، وعلى رأسهم عبد الله بن عمر ﷺ أكثر الناس التصاقًا بها وأخذًا للعلم منها، وتوفيت في شعبان سنة خمس وأربعين من الهجرة، وقد بلغت ستين سنة.[٣] وكانت حجرتها وحجرة عائشة وسودة متجاورات، والأرجح أنها جنوب حجرة عائشة، حيث يقف زوار القبر الشريف حاليًا.[٤]

أم سلمة ﷺ (١٤ ق. هـ - ٥٩هـ):

هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية،[٥] استشهد زوجها أبو سلمة بن عبد الأسد،[٦] فتزوجها من بعده رسول الله ﷺ في شوال من السنة الرابعة من الهجرة. كانت تشير على رسول الله ﷺ في كثير من المواقف،[٧] ولها منزلة خاصة عند رسول الله ﷺ، ورحلت معه في العديد من الغزوات. عاشت

---

(١) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٣٧.

(٢) الذهبي سير أعلام النبلاء، ج٢٧٧/٣؛ والصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٣٩.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨٦/٨؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢٩/٢؛ والصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٤٤.

(٤) انظر: السمهودي، وفاء الوفاء، ج٤٦٠/٢؛ والنجار، أخبار مدينة الرسول، ص ٧٣.

(٥) ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ط١- القاهرة: مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ، ج٤٥٨/٤؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠١/٢؛ ومعمر بن المثنى، أزواج النبي ﷺ، ص ٦٤.

(٦) انظر ترجمته عند: ابن حجر، الإصابة، ج٣٣٥/٢.

(٧) انظر رأيها في الحلق أثناء غزوة صلح الحديبية عند البخاري في صحيحه، باب الشروط في الجهاد، ج١٨٢/٣؛ وابن هشام في السيرة النبوية، ج٣١٩/٣، والصالحي الشامي في أزواج النبي، ص ١٥٧.

بعد رسول الله ﷺ وشهدت عصر الراشدين، وما جرى من فتن بعد استشهاد عثمان، وكانت تربطها علاقة خاصة بعلي بن أبي طالب وبنيه،[١] وتوفيت في أول عصر يزيد بن أبي سفيان، سنة إحدى وستين، وكانت آخر أمهات المؤمنين موتًا.[٢]

زينب بنت جحش ﵂:

زينب بنت جحش هي زينب بنت جحش بن رباب، أم المؤمنين، ابنة عمة رسول الله ﷺ أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، وخالها حمزة بن عبدالمطلب، وخالتها صفية بنت عبد المطلب قديمة الإسلام من المهاجرات الأوائل.[٣]

زوجها رسول الله ﷺ من زيد بن حارثة مولاه، وكان يشكوها لرسول الله ﷺ؛ لأنها تؤذيه بالترفع عليه بسبب النسب، فكان ﷺ يقول له: ((أمسك عليك زوجك))، لكنه طلقها.

وبعد أن انقضت عدتها تزوجها رسول اللّه ﷺ بأمر الله؛[٤] لإبطال عادة التبني ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب، من الآية: ٣٧]، وليؤكد أنه ليس ابنًا للنبي ﷺ، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى

---

(١) السيوطي، مسند أمهات المؤمنين، ص ٤٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٦٠؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٦٣؛ والصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٥٨.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣١٣؛ والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢/٢٥٦؛ وابن سعد، الطبقات، ج٨/١٨؛ والبلاذري، أنساب الأشراف، ج١/١٩١.

(٤) انظر: زاهر بن عواض الألمعي، مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش دراسة تحليلية، ط٤ ـ الرياض: مطابع الفرزدق ١٤٠٣هـ.

ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ [الأحزاب]، فكان يدعى بعد ذلك زيد بن حارثة: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب].

وأخبر اللّه تعالى رسوله ﷺ أن زيدًا سيطلق زوجته ليتزوجها النبي ﷺ من بعده، ومع ذلك قال لزيد: ((اتق اللّه وأمسك عليك زوجك))، فعاتبه اللّه على ذلك حيث قال: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب، من الآية: ٣٧].

ولعل من أهداف ذلك تثبيت المساواة بين الناس، فهو ﷺ يتزوج من مطلقة مولى له، والعرب كانت لا تزوج الموالي، عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب قال النبي ﷺ لزيد: ((اذهب فاذكرها علي)) ،[1] فانطلق حتى أتاها، وهي تخمر عجينها قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، أن رسول اللّه ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري، ونكصت على عقبي، وقلت: يا زينب؛ أبشري أرسلني رسول اللّه ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أُؤَمِّرَ ربي ﷻ.

ثم قامت إلى مسجدها، ونزل القرآن بقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب، من الآية: ٣٧]، فَعُدَّ ذلك عقدًا، وجاء رسول اللّه ﷺ فدخل عليها بغير إذن.[2]

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج٢/١٥٠٣.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول آية الحجاب وإثبات وليمة العرس، ج٤/١٤٨؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/١٠٣.

وقد أطعم النبي ﷺ الصحابة في يوم زواجه بها، وبقي بعضهم متأخرين لم ينصرفوا، وكان النبي ﷺ شديد الحياء، لم يصرفهم، فنزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ [الأحزاب][1] كانت تسامي عائشة بنت الصدِّيق في الجمال والحظوة، ديِّنة ورعة عابدة كثيرة الصدقة، تسمى أم المساكين، تعمل بالخرازة، وتتصدق من عمل يدها.[2]

وثبت في الصحيحين في حديث الإفك عن عائشة ﵂ أنها قالت: وسأل رسول الله ﷺ عني زينب بنت جحش، وهي التي كانت تساميني من نساء النبي ﷺ، فعصمها الله بالورع، فقالت: يا رسول الله؛ أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرًا.

قالت عائشة ﵂: ما رأيت امرأة قط خيرًا في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل رحمًا، وأعظم أمانة وصدقة، كانت زاهدة كثيرة الصدقة.[3]

أثنى الرسول ﷺ على كثرة تصدقها، وكنّى عن ذلك بطول يدها، روي عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: ((أسرعكن لحوقًا بي أطولكن يدًا، قالت: فكنَّ يتطاولن أيهن أطول يدًا، قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب؛ لأنها

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ج٥/٥٥، كتاب التفسير، باب قوله: (لا تدخلوا بيوت النبي)، ج٦/٢٤؛ وانظر: تفسير ابن كثير، ج٤/١٥١٣.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣١٣.

(٣) انظر حديث الإفك في غزوة بني المصطلق من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

كانت تعمل بيدها، وتتصدق)).[١]

ومن زهدها أنها لما خرج العطاء أرسل عمر ﷺ إلى زينب بالذي يخصها، فلما دخل عليها قالت: غفر اللّه لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني. فقالوا: هذا كله لك. قالت: سبحان اللّه واستترت منه بثوب. قالت: صبوه، واطرحوا عليه ثوبًا، ثم قالت لبرزة بنت رافع: أدخلي يدك، فاقبضي منه قبضة، فاذهبي بها إلى بني فلان من أهل رحمها وأيتامها، فقسمته حتى بقيت بقية تحت الثوب، فقالت لها برزة: غفر اللّه لك يا أم المؤمنين، واللّه لقد كان لنا في هذا حق. فقالت: فلكم ما تحت الثوب. قلت: فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهمًا، ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: ((اللَّهمَّ لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا))، فماتت.[٢] روت عن رسول اللّه ﷺ أحد عشر حديثًا.[٣]

قالت زينب بنت جحش حين حضرتها الوفاة: إني قد أعددت كفني، فإن بعث لي عمر بكفن فتصدقوا بأحدهما، وإن استطعتم إذ أدليتموني أن تصدقوا بحقوتي، فافعلوا. كانت أول أزواج النبي ﷺ وفاةً بعده، توفيت سنة عشرين، وصلَّى عليها عمر بن الخطَّاب، ودفنت بالبقيع.[٤]

جويرية بنت الحارث ﷺ (١٤ق. هـ ـ ٥٦هـ):

كان اسمها برّة، فسماها رسول اللّه ﷺ جويرية، وهي ابنة للحارث بن

---

(١) رواه مسلم، باب من فضائل زينب، ج١٤٤/٧؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج١٠٨/٨.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج١١٠/٨.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١٨/٢.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج١٠٩/٨؛ والبلاذري، أنساب الأشراف، ج١٩٢/١؛ وابن الأثير، أسد الغابة، ج١٤٠/٧.

أبي ضرار زعيم بني المصطلق، سُبيت في غزوة بني المصطلق، فوقعت في سهم رجل من الأنصار، فجاءت تشتكي لرسول الله ﷺ ومن رحمته بها اشتراها، فأعتقها، ثم تزوجها سنة خمس من الهجرة،[١] وعاشت بقية حياتها في كنف رسول الله ﷺ، وقد شهدت عصر الراشدين وما دار فيه، وتوفيت سنة ست وخمسين من الهجرة، ولها من العمر خمس وستون سنة.[٢]

أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها (٢٨ ق. هـ ـ ٤٤هـ):

اسمها رملة، وهي ابنة لأبي سفيان صخر بن حرب، زعيم قريش المشهور، وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية، كانت مؤمنة صالحة، هاجرت مع المسلمين إلى الحبشة بصحبة زوجها عبيدالله بن جحش، ثم تنصر، ومات عنها، وثبتت رضي الله عنها على إسلامها مع ردة زوجها، وخطبها النبي ﷺ، وبعث لها صداقًا وهي في الحبشة وتزوجها، ثم هاجرت إلى المدينة سنة ست من الهجرة. عاشت في بيت النبوة بعيدة عن أهلها من المشركين، وعلى رأسهم زعيم قريش أبو سفيان بن حرب (والدها)، حتى أسلموا يوم الفتح. نهلت من علم رسول الله ﷺ، وعاشت بعده عصر الراشدين، وجزءًا من خلافة معاوية رضي الله عنه، وهي أخت للخليفة،[٣] وكان لها هيبة وجلال. توفيت في المدينة سنة أربع وأربعين من الهجرة.[٤]

---

(١) انظر: غزوة بني المصطلق، من هذا الكتاب؛ وابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٦٥؛ والبيهقي، دلائل النبوة، ج٤/٤٧.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٦٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٦٣؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ٢١٠.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٢٢.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٠٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٢٢؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٦٤.

ميمونة بنت الحارث ﵂ (١٨ق هـ ـ ٥١هـ):

كان اسمها برّة، فسماها رسول الله ﷺ ميمونة، وهي بنت للحارث بن حزن الهلالي. تزوجها رسول الله ﷺ في عمرة القضاء سنة سبع من الهجرة،[١] وكانت خالة لعبد الله بن عباس، ولخالد بن الوليد،[٢] وأختًا لأسماء بنت عميس لأمها. عاشت في بيت رسول الله ﷺ ونهلت من علمه، وشملها عطفه ورحمته ﷺ، وعاشت بعده زمن الراشدين، وشهدت أحداثه، بقيت زمنًا من خلافة معاوية ﵁ حتى توفيت سنة إحدى وخمسين من الهجرة.[٣] ورد لها ما يزيد على سبعين حديثًا، روتها عن رسول الله ﷺ.[٤]

صفية بنت حيي ﵂ (١٠ق. هـ ـ ٥٢هـ):

وهي من سبط لاوي بن يعقوب من ذرية هارون بن عمران أخي موسى ﵇، كانت تحت سلام بن مشكم، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق، فقُتل كنانة يوم خيبر، فصارت صفية مع السبي، فأخذها دحية، ثم استعداها النبي ﷺ، فأعتقها وتزوجها.[٥] ثبت أنه لما فتح رسول الله ﷺ القموص حصن ابن أبي الحقيق أتى بصفية بنت حيي ومعها ابنة عم لها، جاء بهما بلال، فمر بهما على قتلى يهود، فلما رأتهم المرأة التي مع صفية صكت وجهها، وصاحت، وحثت التراب على وجهها، فقال رسول الله ﷺ: أغربوا هذه الشيطانة عني. وأمر بصفية، فجعلت خلفه، وغطى عليها ثوبه، فعرف

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣٧٢؛ وابن سعد، الطبقات، ج٨/١٣٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨/١٣٢؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣٧٢.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٧؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٤٥؛ والصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٦٤.

(٤) انظر: الخزرجي، خلاصة تهذيب الكمال، ج١/٤٩٦.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٦.

الناس أنه اصطفاها لنفسه، وقال لبلال: أنُزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما؟[١] وكانت صفية رأت قبل ذلك أن القمر وقع في حجرها، فذكرت ذلك لأمها، فلطمت وجهها، وقالت: إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب. فلم يزل الأثر في وجهها حتى أُتي بها رسول الله ﷺ، فسألها عنه. ولما طهرت صفية من حيضها حملها وراءه، فلما صار إلى منزل على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يعرس بها، فأبت عليه فوجد في نفسه، فلما كان بالصهباء، وهي على بريد من خيبر، نزل بها هناك، فمشطتها أم سليم، وعطرتها، فدخل على أهله، فلما أصبح سألتها عما قال لها، فقالت: قال لي: ما حملك على الامتناع من النزول أولا؟ فقلت: خشيت عليك من قرب اليهود، فزادها ذلك عنده. وقيل: لما نزل النبي ﷺ خيبر كانت صفية عروسًا في مجاسدها، فرأت في المنام أن الشمس نزلت حتى وقعت على صدرها، فقصت ذلك على زوجها، فقال: ما تمنين إلا هذا الملك الذي نزل بنا.[٢]

لما قدمت صفية من خيبر أنزلت في بيت لحارثة بن النعمان، فسمع نساء الأنصار، فجئن ينظرن إلى جمالها، وجاءت عائشة متنقبة، فلما خرجت خرج النبي ﷺ على أثرها، فقال: كيف رأيت يا عائشة؟ قالت: رأيت يهودية. فقال: لا تقولي ذلك، فإنها أسلمت، وحسن إسلامها.[٣]

عن صفية أنها قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ وقد بلغني عن عائشة وحفصة كلام، فذكرت له ذلك، فقال: ألا قلت: وكيف تكونان خيرًا مني

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٧.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٧.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٧.

وزوجي محمد، وأبي هارون، وعمي موسى؟ وكان بلغها أنهما قالتا: نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها، نحن أزواجه، وبنات عمه. وكانت صفية عاقلة حليمة فاضلة، روي أن جارية لها أتت عمر، فقالت: إن صفية تحب السبت، وتصل اليهود، فبعث إليها، فسألها عن ذلك، فقالت: أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً، فأنا أصلها، ثم قالت للجارية: ما حملك على هذا؟ قالت: الشيطان، قالت: اذهبي، فأنت حرة.(١)

((عن صفية أمّ المؤمنين أنها جاءتْ رسولَ الله ﷺ تزُورُه في اعتكافِه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدّثتْ عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺ يَقْلِبُها حتى إذا بلغت بابَ المسجد عند باب أمّ سلمة، مرّ رجلان من الأنصار فسلّمَا على رسول الله ﷺ، فقال لهما النبي ﷺ: على رِسْلِكُمَا، إنما هي صفية بنت حيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله؛ وكبُر عليهما، فقال النبي ﷺ: إنّ الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيتُ أن يقذِفَ في قلوبكما شيئًا)).(٢)

كان في تصرفه ﷺ ذاك رحمة لهؤلاء الرجال ولصفية، بل رحمة للأمة في سلوك طريقته ﷺ في الوضوح، وإبعاد الشبهة عن النفس ومنع الضرر عنها وعن الآخرين.

وقد اجتمع نساء النبي ﷺ في مرضه الذي توفى فيه، فقالت صفية بنت حيي: إني والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمزن أزواجُه ببصرهن،

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٧.

(٢) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد؟، ج٢/٢٥٧.

فقال: مضمضن. فقلن: من أي شيء؟ فقال: من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة.[١] أحبت رسول الله ﷺ رغم عدائه ليهود، وقتله لأبيها وزوجها، وهما من زعمائهم، حيث شرح الله صدرها للإسلام، ودعا لها ﷺ حتى ذهب ما كانت تجده عليه، ودافع عنها في مواقف متعددة، حيث أخبرها ﷺ أنها ابنة نبي، وعمها نبي، وزوجة نبي.

روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: ((بلغ صفية أنَّ حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: قالت لي حفصة: إني ابنة يهودي. فقال النبي ﷺ: وإنك لابنة نبي، وإنّ عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفتخر عليك؟ ثم قال: اتقي الله يا حفصة)).[٢]

وبذلك صدقها، وعزز من موقفها حين كانت بحاجة إلى ذلك، وهذا منتهى الرحمة بها والمساندة لها.

توفي عنها رسول الله ﷺ، فعاشت زمن الراشدين، وشهدت أحداثه، وبقيت زمنًا من خلافة معاوية رضي الله عنه، وتوفيت سنة اثنتين وخمسين من الهجرة الشريفة.[٣].

مارية القبطية رضي الله عنها:[٤]

هي أم إبراهيم ابن النبي، مؤمنة من أهل مصر، وهي مارية بنت شمعون،

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٦.

(٢) رواه الترمذي، في سننه، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، ج٥/٧٠٨.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٨؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٣٥؛ والصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ٢١٣.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٦.

من قرية حفن بمحافظة المنيا المصرية، كان والدها من زعماء القبط.[١]

وقد قدمت المدينة في السنة السابعة من الهجرة ضمن هدايا بعثها المقوقس أو (كيرس) حاكم مصر إلى النبي ﷺ مع أختها سيرين، وقد عرض الرسول ﷺ عليهما الإسلام، فأسلمتا، وحسن إسلامهما.[٢]

وهذا أعظم رحمة بهما رضي الله عنهما.

وقد وهب النبي ﷺ سيرين لحسان بن ثابت، واصطفى لنفسه مارية، كانت امرأة جميلة عاقلة، أثارت غيرة أم المؤمنين عائشة وغيرها من نساء النبي ﷺ.[٣]

وَلَدت مارية رضي الله عنها لرسول الله ﷺ في السنة الثامنة من الهجرة ابنه إبراهيم، وعاش في كنف الرسول ﷺ سنة وبضعة أشهر، حتى توفى في شهر ربيع الأول من السنة العاشرة من الهجرة، فحزن عليه الرسول ﷺ، وحزنت عليه مارية رضي الله عنها،[٤] وقد توفي الرسول الله ﷺ وهو راضٍ عنها.

وقد أوصى ﷺ بأهل مصر خيرًا في قوله: ((إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحمًا، أو قال: ذمة وصهرًا)).[٥] كانت مارية خالة لعبد الرحمن بن حسان ابن ثابت رضي الله عنه فهي أخت أمه سيرين.[٦]

---

(١) انظر لمزيد من التفصيل رسالة الرسول ﷺ في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/٢١٢، ٢١٤.
(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٢.
(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٦.
(٥) رواه مسلم، في صحيحه، كتاب الفضائل، باب وصية النبي بأهل مصر، ج٧/١٩٠.
(٦) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٥.

توفيت في السنة السادسة عشرة من الهجرة النبوية، وصلى عليها عمر بن الخطاب، ودفنت في البقيع.[١]

ويعُدها بعض العلماء من إماء الرسول ﷺ، وأنها مِلْكُ يمينه، وعلى كل حال فهي أم ولد لرسول الله ﷺ. وقد ذُكر عن ابن عباس أنه قال: (أعتقها ولدها)،[٢] يعني أنها عتقت في حياة النبي ﷺ بعد ولادتها لإبراهيم بن النبيﷺ، وبالتالي فهي ليست جارية. وكانت حسنة الدين والإسلام، ولها من المكانة عند الصحابة كما لغيرها من أمهات المؤمنين، وكان عمر حريصًا على أن يشهد الناس جنازتها، يدعوهم إلى ذلك بنفسه.[٣]

* * * * *

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٤؛ والطبري، تاريخه، ج٢/٤٧٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٦.

رحمة الرسول ﷺ بأصحابه:

أصحاب النبي ﷺ هم من لقي النبي ﷺ مؤمنًا، به ومات على ذلك، وقد أُلفت كتب متعددة في ذكرهم وطبقاتهم والترجمة لهم،[1] كما أشار المحدثون إلى فضائلهم في أبواب متفرقة من أبواب الفضائل والمناقب،[2] ولكل منهم مواقف مع النبي ﷺ تدل على رحمته بهم، يصعب حصرها.

وقد تفاوتوا في السبق والأفضلية وملازمة النبي ﷺ، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾[الحديد].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة] إنهم من كان ﷺ شهيدًا عليهم، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[البقرة].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ ـ المناقب، ج١٨٨/٤، وفيه ثلاثون بابًا، وكتاب مناقب الأنصار، ج٢٢١/٤، وفيه ٣٨ بابًا؛ والترمذي، كتاب المناقب، (مناقب الصحابة)، ج٦٠٦/٦، وقد أورد فيه ٥٣ بابًا؛ وابن سعد، الطبقات الكبرى؛ وابن عبد البر، الإصابة؛ وابن الأثير، أسد الغابة؛ وابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ ...، ج١٨٨/٤.

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج].

وكانت الرحمة متبادلة بينهم وبين رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله في قوله ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

حرص ﷺ على نشر الرحمة بين أصحابه؛ فعلمهم وعلم الأمة كلها السلام الذي فيه طلب الرحمة والبركة من الله (ورحمة الله وبركاته).

كان الصحابة من المهاجرين أو من الأنصار، بينهم رحمة وتآلف، كما وصفتهم بذلك الآيات الكريمة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].(١)

(١) وضع البخاري في صحيحه كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الأنصار وقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴿٩﴾﴾، ج٤/٢٢١، وباب حب الأنصار من الإيمان، وغيرها من أبواب في مناقب الأنصار، ج٤/٢٢١ ـ ٢٢٧.

وحينما قسَّم الرسول ﷺ غنائم حُنين أعطى منها القبائل والمؤلفة قلوبهم من مسلمي الفتح وغيرهم، ولم يعط الأنصار منها شيئً، فوجد بعضهم في نفسه، فجمعهم الرسول ﷺ منفردين، وخطب فيهم، وكان مما قال: ((يا معشر الأنصار؛ ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألَّفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟ كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ. قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله؟ قال: لو شئتم لقلتم كذا وكذا. ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديًا وسلكوا شعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار، والناس دثار،[1] فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: بلي رضينا برسول الله قسمًا وحظًا، وتفرقوا)).[2]

ظهرت محبته للأنصار، ودعاؤه بالرحمة لهم مشهور، حيث قال ناصًّا على الرحمة والدعاء بها لهم: ((... ولو سلك الناس شعبًا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار)).[3]

وكان الصحابة أقرب الناس إليه، وأكثرهم التصاقًا به، وجُلّ ما سنتحدث عنه من أخلاقه وشمائله ﷺ هي في الغالب تصرفات حدثت مع أصحابه ﷺ أو في حضورهم، وسنتحدث عنه في أبوابه، وسنذكر هنا شيئًا من الحوادث والمواقف ذات الخصوصية مع أفراد محددين من صحابته ﷺ.

---

(١) من رواية البخاري (فتح الباري)، ج ١٦/١٦٣ ـ ١٩٦؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص ٣٨٧.

(٢) انظر: البخاري (فتح الباري)، ج ١٦/١٧١، وشرح ابن حجر لما في الحديث؛ وابن الأثير، الكامل، ج ٤/٢٧٢.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/١٠٦.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: ((لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَإِنّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ)).[١]

كان ﷺ يحث على عيادة المرضى، ويطبق ذلك مع أصحابه، فكان يعود مرضاهم ويدعو لهم ويطلب الطبيب لبعضهم. فعن جابر بن عبد الله قال: ((عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة يمشيان، فوجدني لا أعقل، فدعا بماء، فتوضأ، ثم رش عليَّ منه، فأفقت، فقلت: كيف أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ [النساء: من الآية ١١])).[٢]

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: ((اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود ﷺ، فلما دخل عليه، فوجده في غاشية أهله، فقال: قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي، فلما رأى القوم بكاء النبي بكوا، فقال: ألا تسمعون: إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه)).[٣]

حدثنا يزيد بن أبي عبيد، قال: ((رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: ما هذه؟ قال: أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأُتِيَ بي رسولُ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذًا خليلاً)، ج٤/١٩٥.

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، ج٥/٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، ج٢/٨٥.

الله ﷺ، فنفث في ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة)).[١]

وكانوا يستشيرونه عند مرضهم، فيرشد بعضهم إلى العلاج الصحيح لأمراضهم.

وفي يوم خيبر استعصى حصن (القموص) على المسلمين، فبشر الرسول ﷺ بفتحه، في ما رُوي عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: ((لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل يا رسول الله؛ هو يشتكي عينيه. قال ﷺ: فأرسلوا إليه، فأُتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرئ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية)).[٢]

كان تفقده ﷺ لعلي ومعالجته بتلك المعجزة دليلاً على متابعته لأصحابه ﷺ، ومعرفة أحوالهم الصحية، ومساعدتهم لتجاوز ما يصيبهم من أذى أو مرض.

كما كان ﷺ حريصًا على أن يشهد جنائز أصحابه، ويصلي عليهم، ويدعو لهم، ويعزي أهلهم، كما ثبت في حوادث متعددة. كما يبشر بالخير والجنة بعضهم، ويسر أهلهم بما يسمعون منه ﷺ، ويأمر بالطعام لأهل الميت، كما فعل مع آل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ج٥/٧٥؛ ورواه أبو داود في سننه، ح برقم: ٣٨٩٤، ص ٦٩٨، وصححه الألباني.

(٢) انظر جزءًا من الرواية في: صحيح البخاري، (فتح الباري)، ج ١٦/٥٧ ـ ٥٨؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٣١.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: ((لما قدم المدينة رسول الله ﷺ كنا نؤذنه بمن حضر من موتانا، فيأتيه قبل أن يموت، فيحضره، ويستغفر له، وينتظر موته. قال: فكان ذلك ربما حبسه الحبس الطويل، فيشق عليه، قال: فقلنا: إنه أرفق برسول الله ﷺ ألا نؤذنه بالميت حتى يموت. قال: فكنا إذا مات الميت آذناه به، فجاء في أهله، فاستغفر له، وصلى عليه. ثم إن بدا له أن يشهده انتظر شهوده، وإن بدا له أن ينصرف انصرف، قال: فكنا على ذلك طبقة أخرى؟ قال: فقلنا: إنه أرفق برسول الله ﷺ أن نحمل موتانا إلى بيته، ولا نشخصه ولا ونتعبه، قال: ففعلنا ذلك، فكان الأمر)).[1]

وعن عكرمة قال: ((قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد، فاسمعا من حديثه، فانطلقنا، فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه، فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا، حتى أتى ذكر بناء المسجد، فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمَّارٌ لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ، فينفض التراب عنه، ويقول: "ويح عمّار؛ تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار". قال: يقول عمّار: أعوذ بالله من الفتن)).[2]

كان ﷺ يشارك أصحابه فيما يقدَّم له من طعام وشراب، فلا يستأثر بشيء لنفسه دونهم.

---

(١) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الجنائز، جماع أبواب البكاء على الميت، باب (من كره النعي والإيذان والقدر الذي لا يكره منه)؛ ورواه أحمد ورجاله ثقات، باقي مسند المكثرين، (مسند أبي سعيد الخدري ﷺ)، ج٣/٦٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، أبواب (استقبال القبلة)، باب (التعاون في بناء المساجد)، ج١/١١٥؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية ج١/٤٩٩؛ والصلابي، السيرة النبوية، ج١/٣٠١.

ويرى من يجتهد منهم في العمل، فيخصه بالحديث وبالدعاء وبما يعينه على ما هو فيه، ويرفع من معنوياته، كما حدث لآل عمّار بن ياسر، فقد ورد في حديث لعثمان بن عفان ﷺ قال: ((أقبلت مع رسول الله ﷺ آخذًا بيدي نتمشى بالبطحاء، حتى أتى على آل عمّار بن ياسر، فقال أبو عمّار: يا رسول الله؛ الدهر هكذا، فقال له النبي ﷺ: اصبر، اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت)).[١]

وهذا يتكرَّر مع عمّار بن ياسر، كما مر بنا سابقًا.

ودائمًا يعمل ﷺ مع أصحابه في السفر، فيحتطب، ويقوم بشيء من العمل كغيره من الناس، وقد شارك في بناء مسجده، كما شارك أهله في أعمالهم المنزلية: ((يكون في مهنة أهله)).[٢]

حبه ﷺ لصحابته:

إن المتتبع لفضائل الصحابة وأبوابها في السنة النبوية، وما خصص منها لصحابة معينين، يجدها مليئة بالشواهد من رحمته ﷺ بأصحابه، وثنائه عليهم، وتقديرهم واللطف بهم.[٣]

لقد كان ﷺ حريصًا على معرفة الصحابة لحبه لهم، ولذلك حدَّثَ معاذَ ابن جبل يومًا، وقال: ((يا معاذ؛ والله إني لأحبك، أوصيك يا معاذ؛ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن

---

(١) الصلابي، السيرة النبوية، ج١/٣٠١.

(٢) من حديث عائشة ﷺ عند البخاري، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله، ج٧/٨٣.

(٣) انظر: ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفضائل، ج١٢؛ والبخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي، ج٤/١٥٣، وكتاب المناقب، ج٤/١٥٣.

عبادتك))،[١] قال ﷺ: ((إذا أحب أحدكم أخاه فليُعلمه))،[٢] كما كان يحث على كل ما يشيع المحبة بين الناس، كالزيارة والهدية[٣] والابتسامة، وطبق ذلك، وعلمه الناس، وقد قال ﷺ: ((وتبسمك في وجه أخيك صدقة))،[٤] وعلمهم أن يحيّي بعضهم بعضًا بالأفضل، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء]. وقد وضع البخاري في صحيحه في كتاب (الاستئذان) باب (إفشاء السلام من الإسلام)،[٥] كما وضع في صحيحه في كتاب (الإيمان) باب (السلام من الإسلام)، ووضع الترمذي في صحيحه باب (ما ذكر في فضل السلام).[٦]

ولا شك أن كل هذه التعليمات والسنن الصادرة عن النبي ﷺ كان يطبقها بنفسه مع أصحابه، في وقت يحث الناس عليها ﷺ.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يبادلونه نفس العمل والشعور والرحمة، وفي القصة التالية نتبين الإيثار والرحمة المتبادلة:

روى أنس بن مالك: قال أبو طلحة لأم سُلَيم: ((لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فأخرجت أقراصًا

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد، ج٥/٢٤٥.

(٢) رواه الإمام أحمد، في مسنده، ج٤/٣٠.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب البر، باب ما جاء في قبول الهدية والإثابة عليها، ح برقم: ١٩٥٣، ج٤/٣٣٨.

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب البر، باب ما جاء في صنائع المعروف، من ح برقم: ١٩٥٦، ج٤/٣٤٠.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام، ج٧/١٢٨.

(٦) صحيح البخاري، ج١/١٢؛ وصحيح مسلم، ج٧/٢؛ وانظر: كتاب الاستئذان، ج٥/٥٢.

من شعير، ثم أخرجت خمارًا لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت ثوبي وردتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ. قال: فذهبت به، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم. فقال لي رسول الله ﷺ: أرسلك أبو طلحة. فقلت: نعم، قال: بطعام؟ قال: فقلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا. فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة، فقال أبو طلحة: يا أم سُلَيم قد جاء رسول ﷺ بالناس، وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل أبو طلحة ورسول الله ﷺ حتى دخلا. فقال رسول الله ﷺ: هلمي يا أم سُلَيم، ما عندك؟ فأتت بذلك الخبز، فأمر به فَفُتَّ، وعصرت أم سُلَيم عكة لها فأَدَمَتْهُ،[1] ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم فأكلوا، حتى شبعوا، ثم خرجوا. ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا. ثم قال: ائذن لعشرة فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا. ثم أذن لعشرة فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم ثمانون رجلاً)).[2]

كان ﷺ محبًّا لأصحابه بنفسه، عطوفًا عليهم، ومع ذلك فقد أوصى الآخرين بذلك، فنقلوا لنا وصية منه ﷺ إلى يوم القيامة، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند زيارته للشام أثناء الفتوح، يُذكر الناس بهذا الأمر في خطبة له. ولعل تأكيده على ذلك في هذا الموضع له أهميته، إذ إن هناك شعوبًا وأقوامًا جديدة دخلت في الإسلام من الشام وما حولها، فأراد تعليمهم وصية الرسول ﷺ بأصحابه.

---

(١) أي جعلت منه إدامًا.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حلف ألا يأتدم، ج٧/٢٣١.

وعن ابن عمر ﷺ قال: خطبنا عمر بالجابية، فقال: ((يا أيها الناس؛ إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا، فقال: أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ...الحديث)).[١]

وخص النبي ﷺ الأنصار ﷺ بمزيد من الحب والعطف والرحمة.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((الأنصار كرشي وعيبتي، وإن الناس سيكثرون ويقلون، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم)). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.[٢]

وروى مسلم عن عبيدالله بن أبي رافع قال: سمعت عليًّا ﷺ وهو يقول: ((بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال ائتوا روضة خاخ،[٣] فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، فإذا نحن بالمرأة، فقلنا: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب. فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب؛ ما هذا؟ قال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله، إني كنت امرءًا ملصقًا في قريش. قال سفيان: كان حليفًا لهم، ولم يكن من أنفسها، وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ح برقم: ٢١٦٥، ج٤/٤٦٥.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في فضل الأنصار وقريش، حديث حسن صحيح، رقم: ٣٩٠٧، ج٥/٧١٥.

(٣) روضة معروفة بين مكة والمدينة.

فيهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال النبي ﷺ: صدق. فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال: إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك؟ لعل الله اطَّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)).[1]

فقراء أهل الصفة:

هم ممن هاجر إلى المدينة؛ لحاقًا برسول الله ﷺ؛ وفرارًا بدينهم من أقوامهم، وكانوا بلا مال؛ إما لفقرهم، أو لمنع أقوامهم مالهم عنهم، وهم في الغالب من العزاب، وضع لهم ﷺ صفة في آخر مسجده، وكانوا يقيمون فيها، يزيدون وينقصون، ولعل بعضهم كان يتأهل ويجد سكنًا، فيترك الصفة. كانوا يمرون بحاجة وجوع وشدة فقر، فكانوا محل عناية الرسول ﷺ وعطفه ورحمته.[2]

روى عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما: ((أن أصحاب الصفة كانوا أناسًا فقراء، وأن النبي ﷺ قال مرة: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس، أو كما قال، وأن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق النبي ﷺ بعشرة، وأبو بكر ثلاثة، قال: فهو أنا وأبي وأمي، ولا أدري هل قال: امرأتي وخادمي بين بيتنا وبين بيت أبي

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، ج١٦٨/٧؛ ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، باب ما جاء في أهل بدر، ج١٥٤/١٢.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول أهل الصفة، انظر: كتاب (أهل الصفة وأحوالهم)، تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، الناشر دار الصحابة للتراث ـ مصر؛ وجمال فرحان الريمي، (أهل الصفة ـ دراسة تحليلية)؛ وكتاب (وسائل معالجة الفقر في العهد النبوي ـ أهل الصفة أنموذجًا)، ماجد بن صالح بن مشعان الموقد.

بكر، وأن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ، ثم لبث حتى صلى العشاء، ثم رجع، فلبث حتى تعشى رسول الله ﷺ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله. قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك أو ضيفك؟ قال: أو عشيتهم، قالت: أبوا حتى تجيء، قد عرضوا عليهم فغلبوهم، فذهبت فاختبأت، فقال: يا غنثر فجدَّع وسبَّ، وقال: كلوا، وقال: لا أطعمه أبدًا، قال: وايم الله؛ ما كنا نأخذ من اللقمة إلا رَبَا من أسفلها أكثر منها، حتى شبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل. فنظر أبو بكر فإذا شيء أو أكثر قال لامرأته: يا أخت بني فراس قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر مما قبل بثلاث مرات، فأكل منها أبو بكر، وقال: إنما كان الشيطان يعني يمينه، ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده، وكان بيننا وبين قوم عهد، فمضى الأجل فتفرقنا اثني عشر رجلاً مع كل رجل، منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجل؟ غير أنه بعث معهم قال: أكلوا منها أجمعون، أو كما قال، وغيره يقول فتفرقنا)).[1]

وفي قصته مع أبي سفيان عند إسلامه وعطفه عليه والتماسه الأسلوب الأمثل، ورد أنه قيل له: ائته من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف] فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه جوابًا، ففعل ذلك أبو سفيان فقال له رسول الله ﷺ: كما في قوله ـ تعالى ـ:﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف].[2]

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ج٤/١٧٣.

(٢) انظر القصة كاملة وتخريج الروايات ومصادرها في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، فتح مكة.

وعند الحديث عن رحمته ﷺ بأصحابه ندرك التفاضل بينهم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

وكثرت العلاقة بينه وبين بعضهم، ويتبادر للذهن أفضل أصحابه ﷺ وأكثرهم علاقة به وصحبة له ﷺ وتعرضا لرحمته:

أبو بكر الصدِّيق (ثاني اثنين) ﷺ:[1]

حيمنا أريد أن أكتب عن رحمة رسول الله ﷺ بأبي بكر الصدِّيق أجد الشواهد الكثيرة عن رحمة متبادلة بينهما، وعن رحمة أبي بكر ببقية الصحابة وبالأمة ﷺ.

وهو عبد الله بن عثمان بن عامر، من تيم مرة التميمي القرشي، يلتقي مع الرسول ﷺ في الجد السادس، كُنِّيَ بأبي بكر، ولُقّبَ بالصدِّيق، كما عُرف بعتيق، لقول الرسول الله ﷺ له: ((أنت عتيق الله من النار)).[2]

كانت هذه بشرى منه ﷺ لأبي بكر بأعظم رحمة، وهي النجاة من النار، وكانت له بشرى أخرى بدخول الجنة، فيعد أول العشرة المبشرين بالجنة من رسول الله ﷺ.

---

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب أصحاب النبي ﷺ بابًا بعنوان: (فضل أبي بكر الصدِّيق)، ج٤/١٩١، وقد أُلفت العديد من الكتب عن أبي بكر الصدِّيق ﷺ، راجعها في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، القسم الخامس منه.

(٢) رواه الترمذي في المناقب، ح برقم: ٣٦٧٩، ج٥/٦١٦؛ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٤/١٠٢، ح برقم: ١٥٧٤.

صحب رسول الله ﷺ قبل البعثة، وهو قريب منه في السن، حيث إنه أصغر من رسول الله ﷺ بسنتين. اشترك مع رسول الله ﷺ في خصال كثيرة، منها: الصدق والأمانة والمعرفة والمكانة العالية في قريش،[١] فكان بينهما التقاء خاص في العادات والنفسية، وكان بينهما رفقة خاصة، ومحبة متبادلة في وقت مبكر قبل البعثة، واشتركا في كُره الخمر، وكره الزنا، وكره الظلم، وكُره الشرك.

كان من أكثر قريش علمًا ومعرفة بالأنساب،[٢] كما كان صاحب تجارة، قاربت تجارته أربعين ألف درهم عند إسلامه.[٣]

أسلم على يد رسول الله ﷺ في الأيام الأولى للبعثة، وقد وضع البخاري في صحيحه باب (إسلام أبي بكر الصدِّيق).[٤]

لقد كانت المبادرة بدعوة الصدِّيق إلى الإسلام في حد ذاتها رحمة به ونعمة من الله ورسوله ﷺ.

وقد نال أبا بكر الأذى من قريش بسبب إسلامه، كما نال رسول الله ﷺ، وقد شارك قومه في الدفاع عنه.[٥]

وكان كل واحد منهما يتفقد الآخر، ويسأل عن حاله، خصوصًا حين تكون هناك مواقف مؤذية من قريش لأي منهما، فإن رحمتهما لبعضهما مشتركة تدفع كل واحد للدفاع عن الآخر، والسؤال عنه.

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج١٩/١٠.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٤٢.

(٣) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٢٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب إسلام أبي بكر الصدِّيق ﷺ، ج٤/ ٢٤٠.

(٥) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٢٦.

كان إسلام الصدِّيق ﷺ دون تردد، مما جعل الرسول ﷺ يشير إلى ذلك في قوله: ((إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟)).[١]

حدث هذا الموقف والثناء والرحمة والدفاع عن الصدِّيق في وقت تعرض الصدِّيق لشيء مما يضايقه، ففزع له الرسول ﷺ رحمة به وشفقة عليه.

كان إسلام أبي بكر بركة ورحمة على عدد من الناس، فبعد إسلامه كان الداعية الأول لرسول الله ﷺ، فأسلم على يديه الرعيل الأول من الصحابة، وفيهم معظم العشرة المبشرين بالجنة ﷺ.[٢]

لقد أحسن الصدِّيق اختيار الرجال الذين كانوا نواة أمة الإسلام، وحملة الرسالة إلى العالم، ولذلك كان ﷺ يقول عن الصدِّيق: ((أرحم أمتي بأمتي أبو بكر)).[٣]

وبالإضافة إلى هؤلاء فقد أسلم أهل بيت أبي بكر الصدِّيق: زوجته وبناته وأبناؤه وخادمه.[٤] وقد وضع البخاري في صحيحه بابًا بعنوان: (قول النبي ﷺ: لو كنت متخذًا خليلاً)، روى فيه عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((لو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي)).[٥]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر الصدِّيق، ج١٩٢/٥.

(٢) علي الصلابي، أبو بكر الصدِّيق، ص ٣٩.

(٣) صححه الألباني في صحيح الجامع الصحيح، ج٨/٢؛ (نقلاً عن الصلابي، أبو بكر الصدِّيق، ص ٣٧).

(٤) الصلابي، أبو بكر الصدِّيق، ص ٣٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي، ج١٩١/٤.

فخليل الرحمة بالناس هو رحمة مثله، وقد نفع الله الأمة بأبي بكر، ونفع الله المسلمين بماله منذ بداية الإسلام، حيث قام إنه اشترى المعذبين المسلمين من الجواري والموالي من حر ماله، وأعتقهم؛ رحمة بهم لوجه الله، وعلى رأس هؤلاء بلال بن رباح،(١) وفيه نزل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾[الليل].

وقد نال الصدِّيق الأذى مع رسول الله ﷺ، فكان يفديه بنفسه، روى البخاري عن عروة بن الزبير قال: (سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ﷺ، فقال مستشهدًا بالآية: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر، من الآية ٢٨]).(٢)

ولا شك أن الصدِّيق آثر أن يصاب دون رسول الله ﷺ؛ رحمة به ودفاعًا عنه، كما ورد عن ابن عباس قال: (إني لواقف في قوم، فدعوا الله لعمر بن الخطاب، وقد وُضِع على سريره، إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله، إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك؛ لأني كثيرًا ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما؛ فالتفتُّ فإذا هو علي بن أبي طالب).(٣)

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣١٨؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٥٣.

(٢) البخاري، صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر الصدِّيق، ج٤/١٩٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر الصدِّيق، ج٤/١٩٧.

وقد حاول الصدِّيق الهجرة إلى الحبشة، فرده ابن الدغنة، وأجاره، وهو من الزعماء بمكة أمام قريش، وقال: مثلك لا يخرج يا أبا بكر.

وكان أبو بكر يصلي بفناء داره، فيعلن قراءته، فيتأثر به شباب ونساء قريش، فطلب القوم من ابن الدغنة أن يمنعه من الجهر بقراءته أو يرد جواره، فقال أبو بكر: إني أرد جوارك، ورضي بجوار الله ﷻ، وتحمل ما أصابه من أذى.(١)

واستمر الصدِّيق ملازمًا لرسول الله ﷺ بمكة، وكان الرسول ﷺ يخرج إلى أسواق العرب المجاورة لمكة، يعرض الإسلام على الناس، وبصحبة الصدِّيق مشاركًا له في الدعوة معه، حاميًا له ومعينًا.(٢)

وكانت معرفته بالقبائل عونًا لهما.(٣)

عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: ((كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما محاورة، فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه عمر مغضبًا، فاتَّبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل، حتى أغلق بابه في وجهه. فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، فقال أبو الدَّرداء: ونحن عنده، وفي رواية: أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته، فقال النَّبي ﷺ: أما صاحبكم فقد غامر. فسلَّم، وقال: يا رسول الله! إنِّي كان بيني وبين ابن الخطَّاب شيء، فأسرعت إليه، ثمَّ ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى علي، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر (ثلاثًا)، ثمَّ إنَّ عمر ندم على ما كان منه، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى

(١) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٦٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٢٤.

(٣) انظر عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

النَّبي ﷺ، فجعل وجه النَّبي ﷺ يتمعَّر؛ حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، وقال: يا رسول الله! والله أنا كنت أَظْلَمَ (مرتين). فقال النَّبي ﷺ: إنَّ الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ (مرتين)، فما أوذي بعدها)).[١]

ولعل أشهر حدث شارك فيه الصدِّيق وحده مع رسول الله ﷺ الهجرة النبوية، ذلك الحدث الذي غيَّر مجرى التاريخ الإنساني، حتى اتخذه المسلمون للتأريخ للأحداث.[٢]

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

نعم كانت مواساة الرسول ﷺ لأبي بكر ومؤانسته وتثبيته وتخبيره بمعية الله لهما بابًا من أبواب رحمة المصطفى ﷺ لأبي بكر وتثبيته، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة.

وقبل السفر وفي الطريق كان الصدِّيق وأهل بيته نعم العون لرسول الله ﷺ في هجرته،[٣] وحين استقر رسول الله ﷺ في المدينة كان أبو بكر ملازمًا له، بل جعل داره جوار رسول الله ﷺ، وله خوخة إلى المسجد،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر الصدِّيق، ج٤/١٩٣.

(٢) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/٧٥٨.

(٣) انظر تفصيلات ذلك في موضوع الهجرة في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

أمر ﷺ أن تبقى عند وفاته، وأن تسد بقية الأبواب الشارعة في المسجد،[١] وفي ذلك مزيد من العناية والرحمة بالصدِّيق رضي الله عنه.

وقد تشرف الصدِّيق رضي الله عنه بعد الهجرة بزواج الرسول ﷺ من ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها،[٢] فتعمقت صلته برسول الله ﷺ، وحصوله على مزيد من العناية والرحمة من رسول الله ﷺ، فزاد دخوله على النبي ﷺ في حجرة عائشة، وكانت لهما مواقف مشتركة معها، وهي أحب نسائه إليه ﷺ، وهو أحب الرجال إلى الرسول ﷺ، فكان في ذلك مزيد رحمة بأبي بكر رضي الله عنه. وقد ورد في الحديث الشريف: ((عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها، .. الحديث)).[٣]

وحينما مرض أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه بحُمى المدينة، نقلت عائشة رضي الله عنها الخبر لرسول الله ﷺ، فأخذته ﷺ الرحمة بأبي بكر الصدِّيق وبغيره من المهاجرين، فدعا دعاءه المشهور: ((اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم وصححها، وبارك لنا في مُدها وصاعها، وانقل حماها واجعلها في الجحفة))،[٤] فكان هذا الدعاء رحمة لكل من سكن المدينة.

وحينما أُذن لرسول الله ﷺ بالقتال كان أبو بكر معه في كل الميادين دون استثناء، لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في أي موضع. فكانت مواضع

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: (سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر)، ج٤/١٩٠.

(٢) انظر زواج النبي ﷺ من عائشة في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب أبي بكر الصدِّيق، ج٤/١٩٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء يرفع الوباء والوجع، ج ٧/١٦٠.

الرحمة مشتركة بينهما، حيث كانت للصدِّيق مواقف خاصة في غزوة بدر،[1] حيث كان مع المصطفى ﷺ في صفوف القتال.

ويصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه شجاعة الصدِّيق في هذا الموقف بقوله: (إنه خطبهم فقال: يا أيها الناس؛ من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما أني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس. قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ، وأخذته قريش فهذا يحاده، وهذا يتلتله، ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهًا واحدًا؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم؛ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكى حتى أخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه. ثم قال البزار: لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه. فهذه خصوصية للصدِّيق، حيث هو مع الرسول في العريش، كما كان معه في الغار رضي الله عنه وأرضاه، ورسول الله ﷺ يكثر الابتهال والتضرع والدعاء، ويقول فيما يدعو به: "اللهم إنك إن تهلك هذا العصابة لا تعبد بعدها في الأرض". وجعل يهتف بربه عز وجل، ويقول: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك"، ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه، وجعل أبو بكر رضي الله عنه يلتزمه من ورائه، ويسوي عليه

(١) انظر غزوة بدر في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

رداءه، ويقول مشفقًا عليه من كثرة الابتهال: يا رسول الله؛ بعض مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك).[١] كانت رحمة الصدِّيق لرسول الله ﷺ وشفقته عليه واضحة جلية.

ولذلك كان الصدِّيق رضي الله عنه أول من تلقى البشارة من رسول الله ﷺ بالنصر، والنصر رحمة من الله، وبشرى رسول الله ﷺ رحمة، أول من أفرحه بها هو الصدِّيق رضي الله عنه، حيث قال له: ((أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ براية بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع)).[٢]

كما شارك الصدِّيق برأيه في أسرى بدر، وكان رحيمًا بقومه، حيث كان ممن رأى فداء الأسرى، لعل الله أن يهديهم،[٣] فأخذ الرسول ﷺ برأيه رضي الله عنه.

وقد أشار الرسول ﷺ إلى لين قلب أبي بكر فيما رواه ابن مسعود قال: ((لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟ قال أبو بكر: يا رسول الله! قومك وأصلك، استبقهم واستتبهم، لعل الله أن يتوب عليهم. وقال عمر: يا رسول الله: كذبوك وأخرجوك، قدمهم نضرب أعناقهم. وقال عبد الله بن رواحة: ايا رسول الله؛ أنت في واد كثير الحطب، فأضرم الوادي عليهم نارًا، ثم ألقهم فيه. فقال العباس: قطع الله رحمك، قال: فسكت رسول الله ﷺ فلم يرد عليهم، ثم قام فدخل، فقال أناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال أناس: يأخذ بقول عمر، وقال أناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. ثم خرج رسول الله ﷺ فقال: إن الله ليلين قلوب رجال

---

(١) انظر غزوة بدر في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٦٢٤. والنقع: الغبار.

(٣) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٩٥.

فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم، من الآية: ٣٦]، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى، قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة من الآية: ١١٨]، وإن مثلك يا عمر مثل موسى، قال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس، من الآية: ٨٨]، وإن مثلك يا عمر مثل نوح قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح، من الآية: ٢٦]. أنتم عالة، فلا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق).[1]

وكانت له ﷺ مواقف في أُحُد وبني قريظة والخندق والحديبية وفتح مكة، ظهر فيها رأي أبي بكر المباشر في هذه الغزوات وغيرها.[2]

فعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ، فَقَالَ: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ)). قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ. قَالَ: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ)). فَعَادَتْ فَقَالَ: ((مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ))، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ)).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المغازي، ص ١٩٥، ١٩٦؛ ورواه مسلم، في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، ص١٧٦٣.

(٢) تابع كل غزوة في موضعها من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعْ النَّاسَ مِنْ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ. فَقَالَ: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ)). فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعْ النَّاسَ مِنْ الْبُكَاء، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ)).

فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا.(١)

وحينما مرض رسول الله ﷺ لازمه الصدِّيق، وكان رقيقًا لينًا رحيمًا برسول الله ﷺ، وقد ساعده في ذلك أن تمريض المصطفى قبيل وفاته كان في منزل عائشة بنت الصدِّيق، وليس لها حجاب عنه، ولم يتركه ﷺ إلا في اليوم الذي توفى فيه، حينما رآه قد نشط، فاستأذن من الرسول ﷺ في أن يزور بيته الآخر في السُّنح في أطراف المدينة، فأذن له المصطفى ﷺ، وقبض رسول الله ﷺ فجر ذلك اليوم.

أسرع الناس إلى استدعاء أبي بكر الصدِّيق ﷺ، فهو رجل الموقف ثباتًا ورأيًا وإيمانًا واستحضارًا لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وكأنه أعد لهذا الموقف وتلك المقولة، وذلك الفقه العظيم مع الرحمة بالأمة، حيث قال للناس: ((من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)).(٢)

وكان همه ﷺ والأمة كلها قيام الدين واستمرار الدولة والنظام وحفظ الحقوق، وهدف الرسول ﷺ امتداد الرحمة إلى أنحاء العالم المختلفة بتبليغ

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم ... ، ج١٤٥/٨ ـ ١٤٦.

(٢) راجع تفاصيل في موضوع وفاة الرسول ﷺ من كتابي (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

الرسالة، وضمان العدل والأمن للناس كافة، ومع ذلك فإنه ﷺ لم يوص لأحد بعينه، وكانت هناك إشارات يتضح منها ترجيحه لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه لهذا الأمر.(١)

كان واضحًا للجميع ما تنزَّل من آيات تأمر بالاستمرار وحمل الدين، وما يطلبه من نظام وعدم الرجوع إلى الوراء بعد موت الرسول ﷺ(٢) كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]. واتضح معنى الآية في ذلك الموقف بالحفاظ على القوة والنظام، والاستعداد للدفاع عن دولة الرسول ﷺ، فقيَّض الله لهم أبا بكر وأعوانه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فكان في ذلك رحمة للجميع.

وقد وضع البخاري (باب قول النبي ﷺ: سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر...).(٣)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس، وقال: ((إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله. قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّرَ، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: إن من أمنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا

(١) انظر مجموعة أحاديث عند البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، وفيه عدة أبواب ومجموعة أحاديث خاصة بأبي بكر الصدِّيق، ج٤/١٨٩ ـ ١٩٨؛
وانظر وفاة الرسول ﷺ من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).
(٢) انظر تفاصيل في موضوع وفاة الرسول ﷺ من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).
(٣) البخاري، صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: (سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر)، ج٤/١٩٠.

خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر)).[١]

تمت بيعة الصدِّيق في يوم الاثنين الذى توفي فيه رسول الله ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم بفئتيهم اللتين وصفهما الله ﷻ بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]. وهم الذين وصفهم الله ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

ولما تمت بيعة الصدِّيق رضي الله عنه خطب خطبة الخلافة في الناس، وهي بمثابة إعلان رسمي عن توجهاته وسياسته القادمة في الأمة، والتي محورها الرحمة والتواضع والعدل، وكان مما قال رضي الله عنه بعد أن حمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله: ((أما بعد؛ أيها الناس، فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني. الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)).[٢] وروى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((لما دخل رسول الله ﷺ بيتي قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت: فقلت: يا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: (سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر)، ج٤/١٩٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٦١؛ والطبري، تاريخه، ج٢/٢٣٨؛ وابن كثير، تاريخه، ج٥/٢٤٨؛

ومن أفضل من حلل الخطبة التي قالها الصدِّيق رضي الله عنه، د. علي محمد الصلابي، سيرة أبي بكر الصدِّيق، من ص ١٦٨ ـ ١٧٨.

رسول الله ﷺ؛ إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، فلو أمرت غير أبي بكر.. فراجعته مرتين أو ثلاثًا، فقال: ليصل بالناس أبو بكر، فإنكن صواحب يوسف)).[١]

كما روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((خطب رسول الله ﷺ الناس، وقال: إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله، قال: فبكى أبوبكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّرَ، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذًا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر،[٢] ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر)).[٣]

كان بكاء الصدِّيق رحمة برسول الله ﷺ وشفقة على نفسه وعلى الأمة بعد فراقه، وكانت نظرة الرسول ﷺ للصديق وتعبيره له عن حبه ومنّته وشفقته أيضًا من باب رحمة الرسول ﷺ بالصدِّيق والشفقة عليه.

وصدق في أبي بكر وبقية الصحابة قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾[المائدة].

---

(١) رواه مسلم، في صحيحه، باب (استخلاف الإمام إذا عرض له عذر)، ج٢/٢٢؛ انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٢؛ رواه الإمام أحمد، في مسنده، ج٦/٣٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذًا خليلاً)، ج٤/١٩١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: (سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر)، ج٤/١٩٠.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه:[١]

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، من بني عدي من قريش قبيلة النبي ﷺ، يكنى أبا حفص، ولُقِّبَ بالفاروق.

ولد قبل البعثة بقرابة سبع وعشرين سنة.

كان في بداية الإسلام قويًّا يستعمل قوته ضد المسلمين، بعيدًا عن الرحمة، شديد التمسك بعادات قريش وجاهليتها، كثير الأذى للمسلمين، وخصوصًا المستضعفين منهم، قاسيًا عليهم، حتى هداه الله للإسلام.[٢]

حرص بعد إسلامه على الصدع بالدعوة، والدفاع عن الإسلام والمسلمين، وتحمل الأذى في سبيل ذلك. لَقَّبَهُ رسول الله ﷺ بالفاروق، أعز الله به الإسلام، حتى قال ابن مسعود ((ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر)).[٣]

هاجر إلى المدينة قبل الرسول ﷺ، ومعه عشرون من أصحاب رسول الله ﷺ،[٤] فكانوا ممن مهد لوصول رسول الله ﷺ إلى المدينة.

وبعد الهجرة كثرت مشاركاته لرسول الله ﷺ في الأحداث المختلفة، وشهد المشاهد معه ﷺ،[٥] وظهرت مظاهر الرحمة المتبادلة بينهما، شهد له

---

(١) أُلفت العديد من الكتب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، راجعها في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، القسم الخامس (المعايشون للمصطفى ﷺ).

(٢) انظر إسلام عمر بن الخطاب في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ) (المعايشون للمصطفى ﷺ).

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٢٦٩؛ وانظر: حديث ابن مسعود عند البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج٤/١٩٩.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٤٧٢.

(٥) وضع البخاري في صحيحه في كتاب أصحاب النبي ﷺ باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي، ج٤/١٩٨.

الرسول ﷺ بالجنة في أكثر من موضع،[١] وقال عنه ﷺ: ((يا ابن الخطاب؛ والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا قط إلا سلك فجًّا غير فجك)).[٢]

كما امتدحه ﷺ في أكثر من حديث.[٣]

وقد وافق القرآن عمر بن الخطاب في أكثر من موضوع، من ذلك: موافقة رأيه في أسرى بدر[٤] في قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال].

وموافقته في ترك الصلاة على المنافقين في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة]. حيث أشار عمر على رسول الله ﷺ بعدم الصلاة على عبد الله بن أُبَيٍّ زعيم المنافقين.[٥]

وحينما سأل الله: اللهم بيَّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، نزل على الرسول ﷺ قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ

---

(١) انظر: صحيح البخاري، ج٤/١٩٨ ـ ٢٠٢.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج٤/١٩٨.

(٣) انظر روايات البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج٤/١٩٨ ـ ٢٠١.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٥٣.

(٥) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا... ، ج٥/٢٠٧؛ وتفسير ابن كثير، ج١/٨٩٩.

﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة].(١)

وفي الحجاب حين أشار على النبي ﷺ أن يأمر نساءه بالحجاب.(٢)

صاهر عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ في ابنته حفصة بنت عمر، ولعل زواج رسول الله ﷺ منها أكبر دليل على المحبة المتبادلة بين الرسول ﷺ وعمر بن الخطاب.(٣)

كان هذا الزواج مدعاة لمزيد من التعامل المباشر بين رسول الله ﷺ وبين آل عمر بنفسه وأبنائه، ولذلك كانا كثيرًا ما يلتقيان عند حفصة في حجرتها، وقد كان عمر يلاحظ على حفصة مراجعتها لرسول الله ﷺ أحيانًا، ويحذرها من غضب الله ورسوله؛ رحمة بها وخوفًا عليها، يقول عمر في ذلك: ((لما قدمنا المدينة كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهم من عوالي المدينة. وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ، فينزل يومًا، وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك. وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصخبت على امرأتي فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني، قالت: ولِمَ تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني ذلك، وقلت لها: قد خاب من فعل ذلك

(١) ابن كثير، تفسيره، ج١/٦٥٠.

(٢) ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٥٢٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، ج٦/١٣٠.

منهن، ثم جمعتُ عليَّ ثيابي، فنزلت فدخلت على حفصة، فقلت لها: أَيْ حفصة؛ أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم، فقلت: قد خبت وخسرت، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكي؟ لا تستكثري النبي ﷺ، ولا تراجعيه في شيء، ولا تهجريه، وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك أنْ كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ، يريد عائشة. قال عمر: وكنا قد تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لغزونا، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فرجع إلينا عشاء، فضرب بابي ضربًا شديدًا، وقال: أثم هو؟ ففزعت، فخرجت إليه، فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم، قلت: ما هو؟ أجاء غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأهول، طلق النبي ﷺ نساءه. وقال عبيد ابن حنين: سمع ابن عباس عن عمر فقال: اعتزل النبي ﷺ أزواجه. فقلت: خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون، فجمعت علي ثيابي، فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ، فدخل النبي ﷺ مشربة له، فاعتزل فيها، ودخلت على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ ألم أكن حذرتك هذا؟ أطلقكن النبي ﷺ؟، قالت: لا أدري، ها هو ذا معتزل في المشربة، فخرجت، فجئت إلى المنبر، فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلاً، ثم غلبني ما أجد، فجئت المشربة التي فيها النبي ﷺ، فقلت لغلام له أسود: استأذِنْ لعمر، فدخل الغلام، فكلم النبي ﷺ، ثم رجع فقال: كلمت النبي ﷺ وذكرتك له فصمت. فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت فقلت للغلام: استأذن لعمر فدخل، ثم رجع، فقال: قد ذكرتك له فصمت، فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت الغلام فقلت: استأذن لعمر: فدخل، ثم رجع إلي فقال: قد ذكرتك له

فصمت. فلما وليت منصرفًا قال: إذا الغلام يدعوني، فقال: قد أذن لك النبي ﷺ، فدخلت على رسول الله ﷺ، فإذا هو مضطجع على رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئًا على وسادة من أَدَمٍ، حشوها ليف، فسلمت عليه، ثم قلت وأنا قائم: يا رسول الله؛ أطلقت نساءك؟ فرفع إليَّ بصره، فقال: لا، فقلت: الله أكبر، ثم قلت وأنا قائم أَسْتَأْنِسُ: يا رسول الله؛ لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبي ﷺ. ثم قلت: يا رسول الله؛ لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها: لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ، يريد عائشة، فتبسم النبي ﷺ تبسمة أخرى. فجلست حين رأيته تبسم، فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت في بيته شيئًا يرد البصر غير أَهَبَةٍ ثلاثة، فقلت: يا رسول الله؛ ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم قد وسع عليهم، وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، فجلس النبي ﷺ وكان متكئًا فقال: أو في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا، فقلت: يا رسول الله؛ استغفر لي، فاعتزل النبي ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعًا وعشرين ليلة. وكان قال: ما أنا بداخل عليهن شهرًا، من شدة ماوجده عليهن حين عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة، فبدأ بها، فقالت له عائشة: يا رسول الله؛ إنك كنت قد أقسمت ألا تدخل علينا شهرًا، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدًّا، فقال: الشهر تسع وعشرون ليلة، فكان ذلك الشهر تسعًا وعشرين ليلة. قالت

عائشة: ثم أنزل الله تعالى آية التخيير، فبدأ بي أول امرأة من نسائه، فاخترته، ثم خير نساءه كلهن، فقلن مثل ما قالت عائشة)).[١]

إن هذه القصة بين رسول الله ﷺ ونسائه وعمر، يتضح فيها رحمة عمر برسول الله ﷺ، ورحمته بنساء النبي ﷺ ومنهن ابنته حفصة رضي الله عنها، وفزعه من الخوف عليها وعلى بقية نسائه.

وآية التخيير التي أشارت إليها عائشة هي قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[الأحزاب].

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه محبًّا لرسول الله ﷺ حبًّا عظيمًا، متعلقًا به أشد التعلق، غير مصدق فراقه، ولذلك صدم صدمة عظيمة حين رأى رسول الله ﷺ قد توفى، فلم يصدق ذلك، وهدد وتوعد، وأرعد وأزبد لهول الصدمة، فقال: لا أسمع أحدًا يقول: مات رسول الله ﷺ إلا ضربت عنقه.[٢]

وأخذ رضي الله عنه يصول ويجول في مسجد رسول الله ﷺ، حتى جاء أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر! فأبى أن يجلس، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد؛ من كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، ج٦/١٤٨ ـ ١٥٠.

(٢) انظر وفاة النبي ﷺ في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران].

وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها، فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعَقِرْتُ حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي ﷺ قد مات.(١)

عثمان بن عفان (ذو النورين) رضي الله عنه:(٢)

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، قرشيّ أمويّ. أمه أروى بنت كريز، وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ،(٣) ولد بعد النبي ﷺ بقرابة ست سنين.(٤)

عاش في مكة ميسور الحال تاجرًا منذ شبابه، منعمًا موسعًا على نفسه.

أسلم مبكرًا على يد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وتزوج من رقية بنت رسول الله ﷺ.

كان شديد الالتصاق ببيت النبوة، كثير الاحتكاك برسول الله ﷺ وبأم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٣.

(٢) وضع البخاري في صحيحه في كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان، ج٤/٢٠٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٣.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٧.

كان مع زوجته رقية ﷺ من أوائل المهاجرين إلى الحبشة في الهجرتين،[١] كما هاجر عثمان ﷺ ورقية بنت رسول الله ﷺ إلى المدينة مبكرين.

وقد خط له رسول الله ﷺ دار عثمان المجاورة لحجرات النبي ﷺ، فكانت له خوخة تجاه باب النبي ﷺ، فيدخل ﷺ بيت عثمان منها.[٢]

استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في بعض أسفاره.[٣]

مرضت زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، ثم توفيت أثناء غزوة بدر، وقد تخلف عثمان ﷺ لتمريضها بأمر رسول الله ﷺ.

فلما عاد رسول الله ﷺ زار قبرها،[٤] وقد ضرب له رسول الله ﷺ بسهم وأجرة في غزوة بدر.[٥]

وزوَّج رسول الله ﷺ عثمان بن عفان بعد رقية بأم كلثوم ﷺ، فماتت عنده سنة ٨ هـ، فقال ﷺ: ((لو كان عندي ثالثة زوجتها عثمان)).[٦]

لقد كانت مصاهرة رسول الله لعثمان بتزويجه برقية ثم بأم كلثوم محبة لعثمان ورحمة به، ونتجت عن ذلك مواقف متعددة كشفت هذه الرحمة والمودة.

---

(١) انظر الهجرة إلى الحبشة في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣/٥٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٦ ـ ٥٧.

(٤) انظر ترجمة رقية بنت الرسول ﷺ في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، القسم الخامس (المعايشون للمصطفى ﷺ).

(٥) انظر رواية البخاري في صحيحه، عن ابن عمر، في كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان، ج٤/٢٠٢.

(٦) انظر ترجمة أم كلثوم ﷺ في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

اشتهر عثمان بحيائه، حتى قال عنه رسول الله ﷺ: ((ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟)).[١]

إن تقدير رسول الله لعثمان ولحيائه نوع من الرحمة، وإحقاق للحقيقة التي يستحقها، وثناء في موضعه.

بعثه النبي ﷺ يوم الحديبية مندوبًا عنه لمفاوضة زعماء قريش، فاحتبس عثمان، وشاع الخبر أنه قد قُتل، فاجتمع أصحاب رسول الله ﷺ، وبايعوا النبي فيما عرف ببيعة الرضوان، أو بيعة الشجرة، وهي الواردة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح].

فقال ﷺ: ((إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله، فضرب بإحدى يديه على الأخرى عن عثمان، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرًا من أيديهم عن أنفسهم))،[٢] إن هذا الموقف يُعد أقوى أشكال النصرة والرحمة والشفقة.

شارك بماله في حاجة الإسلام، ولبّى نداء رسول الله ﷺ في أكثر من موضع، فمن ذلك: تجهيزه لجيش العسرة المتوجه إلى تبوك، حيث جَهَّزَ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، حتى قال عنه الرسول ﷺ:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب (من فضائل عثمان بن عفان ﷺ)، ج ١١٧/٧؛ وورد جزء منه في رواية البخاري في صحيحه، في كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان، ج٢٠٢/٤.

(٢) انظر رواية البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان، ج٢٠٤/٤.

((ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه))[١] إن هذا الثناء وهذه البشارة تعد مظهرًا واضحًا للرحمة والتقدير من المصطفى ﷺ لعثمان بن عفان.

كما شهد له رسول الله ﷺ بالجنة في أكثر من موضع.[٢]

وقد ساهم في توفير الماء للمسلمين في المدينة، بشرائه لبئر رومة، بناءً على طلب رسول الله ﷺ، حين قال: من يشتري بئر رومة، فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له في الجنة؟[٣] فلما بلغ عثمان ذلك اشتراها، وجعلها للمسلمين.[٤] كان ذلك العمل بتشجيع من رسول الله ﷺ؛ رحمة بالمسلمين، وتوفيرًا لحاجتهم من الماء، وفي الوقت نفسه كانت بشرى رسول الله ﷺ لعثمان بالجنة؛ نتيجة لهذا العمل ولغيره؛ رحمة بعثمان من الله ﷻ على لسان نبيه ﷺ.

لقد علم رسول الله ﷺ بما أطلعه الله عليه من الغيب بما سيصيب عثمان من بلوى وقتل،[٥] فأوصاه قائلاً: ((يا عثمان؛ إن الله ﷻ عسى أن يلبسك

---

(١) انظر غزوة تبوك في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٢) انظر رواية البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان، ج٤/٢٠٢.

(٣) انظر بابًا خاصًّا في ذلك عند البخاري في صحيحه بعنوان: باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي ﷺ، وقال النبي ﷺ: (من يحفر بئر رومة فله الجنة)، كتاب أصحاب النبي ﷺ، ج٤/٢٠٢؛
وانظر تخريجه عند: علي محمد الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٤٨.

(٤) انظر: فتح الباري، ج٥/٤٠١، الحكمة في الدعوة إلى الله.

(٥) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٥١.

قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاثًا)).[١] ولعل ذلك الخبر عزاء لعثمان، ورحمة به، ودعوة له للثبات حتى يلقاه ﷺ.

حزن كغيره من الصحابة لموت رسول الله ﷺ حتى قيل: إنه كان يدخل ويخرج، ولا يعلم ما يفعل.[٢]

زيد بن حارثة رضي الله عنه (الحِبّ مولى رسول الله ﷺ):[٣]

هو الوحيد الذي ورد اسمه صريحًا في القرآن الكريم دون سائر الصحابة.

وهو زيد بن حارثة بن شراحيل، سُبِيَ من أهله صغيرًا، واستُرِقَّ، اشتراه حكيم بن حزام بن خويلد لعمته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، فوهبته للنبي ﷺ،[٤] فأحسن إليه، ورفق به، وعامله أسمى وأرقى معاملة، كلها رحمة وعطف ثم جاء أهله إلى مكة، واتصلوا بالنبي ﷺ، وطلبوا أن يفدوه بالمال من الرق فأجابهم ﷺ: ((ادعوا زيدًا، وخيِّروه، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني)). فجاء زيد، فخيره النبي ﷺ أمام أهله وقومه، فقال زيد رضي الله عنه: (ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا).[٥]

---

(١) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة برقم: ٨١٥، ج١/٥٠٠؛ ورواه في مسنده عن عائشة رضي الله عنها في عدة مواضع، ج٦/٧٥؛ ورواه الحاكم في المستدرك بلفظ آخر، برقم: ٤٥٩٤، ج٦/٨١؛ وانظر: الطبقات الكبرى، ج٣/٦٦.

(٢) انظر وفاة رسول الله ﷺ في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٣) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب أصحاب النبي ﷺ باب مناقب زيد مولى النبي ﷺ، ج٤/٢١٣، وسمَّاه ابن سعد في الطبقات بـ(الحِب)، ج٣/٤٠.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣/٤١.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣/٤٢.

وهكذا اختار زيد رسول الله ﷺ على أهله؛ لما أراد الله به من الخير، وكان قد خَبِرَ النبيَّ ﷺ وعايَشَه، عَرف منه رحمة وحسن معاملة لا يجدها الإنسان عند أهله، ولا عند أحد آخر من الناس، ولذلك فإن الرسول ﷺ أعتقه، ونادى في قريش والناس يسمعون: ((اشهدوا أن زيدًا ابني، يرثني وأرثه))، فسُرَّ أهله بذلك، وأدركوا أن اختياره للرسول ﷺ كان عن دراية وإرادة منه، وأنه عند من هو أفضل له من والديه، وقالوا للرسول ﷺ خيرًا، وأثنوا عليه، وفرحوا بحرية ابنهم، وتبني الرسول ﷺ له.[١]

وقد عاش زيد في كنف الرسول ﷺ وأم المؤمنين خديجة ﵂، وقد زوجه الرسول ﷺ من حاضنته ومولاته أم أيمن، فكانا زوجين متصلين مقربين من بيت النبوة،[٢] وحينما بُعث النبي ﷺ كان زيد من أول المصدقين برسول الله ﷺ، حتى قيل: إنه ثاني المسلمين، وإن إسلامه جاء بعد إسلام خديجة ﵂.[٣]

وقد صبر على إسلامه في مكة، رغم ما لقي من أذى قريش كغيره من المسلمين، ولما أذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة كان من أوائل المهاجرين إلى المدينة.

وقد آخى الرسول ﷺ بينه وبين أُسيد بن الحضير الأنصاري ﵁.[٤]

شهد غزوة بدر مع رسول الله ﷺ، وبعثه ﷺ ببشرى الانتصار إلى المدينة.[٥]

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣/٤٢.

(٢) انظر ترجمة أم أيمن ﵂ في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، القسم الخامس (المعايشون للمصطفى ﷺ).

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣/٤٥؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٢٢٤.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣/٤٤.

(٥) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٩٢.

وقد زوجه الرسول ﷺ من زينب بنت جحش، وهي قرشية شريفة بنت عمة رسول الله ﷺ، ولم يستمر الزواج طويلاً، حيث رأى زيد من زينب حدةً لم يصبر عليها، فأراد طلاقها، فحاول الرسول ﷺ من زيد أن يمسكها، وذلك ما ورد في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب].

ثم بعد طلاقها تزوجها الرسول ﷺ بأمر من الله ﷻ في الآية التي ورد فيها ذكر زيد رضي الله عنه، وقد نزلت فيه خاصة وفي سائر الناس: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾ [الأحزاب]،[1] وقد أصبحت مطلقة زيد رضي الله عنه زوجة الرسول ﷺ وأمًّا للمؤمنين، ونالت هذا الشرف العظيم.[2]

كانت محبة رسول الله ﷺ لزيد عظيمة، وتزداد يومًا بعد يوم، وكان من أعلم الصحابة وأحبهم إلى رسول الله ﷺ، وكان يعتمد عليه كثيرًا،

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، (تفسير سورة الأحزاب)، ج٦/٢٢.

(٢) انظر ترجمتها في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، القسم الخامس (المعايشون للمصطفى ﷺ).

حتى إن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: (ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمّره عليهم، ولو بقي حيًّا بعد الرسول ﷺ لاستخلفه).[١]

وحين انتقد الناس الرسول ﷺ في توليته لأسامة بن زيد أشار ﷺ إلى فضل زيد في قوله: ((إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقًا بالإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعد أبيه)).[٢]

وشارك مع الرسول ﷺ في بدر وأُحُد والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، وقاد سبعًا من سرايا رسول الله ﷺ، وقد بعثه الرسول ﷺ في جمادى الأولى من السنة الثامنة من الهجرة على رأس جيش مؤتة المتوجه إلى البلقاء في نواحي الأردن، واستشهد هناك، فحزن عليه رسول الله ﷺ وعلى بقية شهداء مؤتة، وقد بشر ﷺ بدخول زيد وبقية القواد الشهداء الجنة.[٣]

أسامة بن زيد بن حارثة (الحِب) ﵁:[٤]

والده زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وحِبه، وأمه أم أيمن بركة الحبشية حاضنة رسول ﷺ ومولاته، ولد ﵁ قبل الهجرة بقرابة سبع سنوات.[٥]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/٢٢٦؛ والذهبي في سير أعلام النبلاء، ج١/٢٢٨.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب زيد بن حارثة، ج٤/٢١٣.

(٣) انظر غزوة مؤتة من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)؛ وابن سعد، الطبقات، ج٣/٤٦.

(٤) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أسامة بن زيد، ج٤/٢١٣.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/٦١ ـ ٧٢؛ وابن حجر، الإصابة، ج١/٣١.

وقد رباه الرسول ﷺ، حيث كان والده زيد أقرب الناس لرسول الله ﷺ، كان أسامة شديد السواد شبهًا بأمه،[١] وكان ﷺ يحبه حبًّا شديدًا، ويعلن ذلك للناس، ويقدمه في كثير من الأمور رغم صغر سنه، وكان يسمى (الحِبّ بن الحِبّ).[٢]

عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: أراد النبي ﷺ أن ينحي مخاط أسامة. قالت عائشة: دعني حتى أكون أنا الذي أفعل. قال: يا عائشة أحبيه، فإني أحبه،[٣] وكثيرًا ما كان يردفه النبي ﷺ، فقد دخل ﷺ الكعبة عام الفتح بعد تطهيرها من الصور والأصنام ومعه أسامة بن زيد وبلال بن رباح.[٤] ولشدة حب الرسول ﷺ لأسامة ظنت قريش بعد الفتح أن الرسول ﷺ يشفعه في كل شيء، حتى إنه لما سرقت المرأة المخزومية، وأراد الرسول ﷺ أن يقطع يدها التمست قريش من يشفع لها عند رسول الله ﷺ، فتوجهوا إلى أسامة ابن زيد، فشفع لها، فقال له ﷺ في الحديث المشهور: ((يا أسامة؛ أتشفع في حد من حدود الله؟، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها)).[٥]

أدّبه الرسول ﷺ في مواقف مختلفة، ومن ذلك ما ورد عن أسامة قال: (بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٧٩١.

(٢) انظر: صحيح البخاري، ج٤/٢١٣.

(٣) رواه الترمذي في كِتَاب الدَّعَوَاتِ، (أبوابِ الْمَنَاقِبِ)، بَاب مَنَاقِبِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ، ج٥/٦٧٧، ح برقم: ٣٨١٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، باب مقام النبي ﷺ بمكة بعد الفتح، حديث ج٥/٩٦.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أسامة بن زيد، ج٤/٢١٣؛ وانظر حجة الوداع في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

الأنصاري فطعنته برمح حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ، فقال: "أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟" قلت: كان متعوذًا، فما زال يكررها الرسول ﷺ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم، ثم قال أسامة للرسول ﷺ: إني أعطي الله عهدًا ألا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله أبدًا، فقال النبي ﷺ: "بعدي يا أسامة"؟ قال: بعدك).[١]

وحينما جهز الرسول ﷺ جيشًا قبيل وفاته لغزو أطراف الشام وتأديب القبائل التي أعانت الروم في مؤتة وغيرها، وهو آخر جيش جهّزه النبي ﷺ، جعل قيادة ذلك الجيش لأسامة بن زيد رضي الله عنه، فطعن بعض الناس في إمارته، وتكلموا في ذلك، ولما علم النبي ﷺ صعد المنبر، وحمد الله، ثم أثنى عليه، وقال: ((إن تطعنوا في إمارته ـ أي إمارة أسامة ـ فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل. وايم الله؛ إن كان لخليقًا بالإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده)).[٢]

ويموت النبي ﷺ قبل أن يتحرك جيش أسامة إلى غايته التي حددها الرسول ـ وهي قتال الروم ـ، وقبل أن يموت النبي ﷺ أوصى أصحابه أن يسارعوا بتحريك جيش أسامة، فقال لهم: ((أنفذوا بعث أسامة، أنفذوا بعث أسامة)).[٣]

ولما استقرت الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه أصر على تسيير ذلك الجيش، رغم أن بعض الصحابة طلبوا إبقاء الجيش في المدينة لمواجهة المرتدين الذين

---

(١) انظر تخريجه عند: الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٢/٤٩٩.

(٢) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنه في مرضه الذي توفى فيه، ج٥/١٤٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنه في مرضه الذي توفى فيه، ج٥/١٤٥.

كانوا يهددونها، فقال أبو بكر ﷺ: (والذي نفسي بيده؛ لو ظننت أن السباع تخطفني أو لو ظننت أن السباع تأخذ بأرجل أمهات المؤمنين لأنفذت جيش أسامة. كيف أحل عقد لواء عقده رسول الله ﷺ قبل أن يكمل مهمته؟).[١] واقترح بعض الصحابة تغيير أسامة عن القيادة؛ لصغر سنه، ومنهم عمر بن الخطاب ﷺ، فرد عليه الصدِّيق: (ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه).[٢]

وحين خرج أسامة بالجيش خرج الصدِّيق على قدميه يودعه مع الجيش ويوصيه، فيصر أسامة على الصدِّيق أن يركب أو أن ينزل أسامة عن فرسه، فيصر الصدِّيق: (والله لا نزلت، ووالله لا ركبت، وما عليَّ أن أُغبر قدمي ساعة في سبيل الله)، ثم يستأذن الصدِّيق من أسامة في إبقاء عمر في المدينة ليعينه على شؤون الدولة، وكان عمر أحد جنود أسامة في ذلك الجيش،[٣] وقد نَفَّذَ أسامة وجيشه المهمة خير تنفيذ، متمثلاً الرحمة في تصرفاته وجيشه، وأرعب أعداء الإسلام والمرتدين، وعاد ظافرًا غانمًا بعد أن أوجد هيبة في قلوب الأعداء للإسلام ودولته وقوته.[٤]

وقد كانت له إسهامات في الفتوح الإسلامية طيلة عصر الراشدين، كما كان محل احترام الخلفاء وتقديرهم، يقدمونه على غيره، حتى إن عمر بن الخطاب كان يقدمه ويفضله على ابنه عبد الله بن عمر، ويقول: كان أحب إلى رسول الله ﷺ من ابن عمر. وحين نظر ابن عمر إلى محمد بن أسامة،

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج٣/٣١؛ والذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص ٢٠.
(٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج٣/٢١٢؛ والذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص ٢٠.
(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٤٩٧.
(٤) انظر: تاريخ الطبري، ج٣/٢١٣.

قال: لو رآه رسول الله ﷺ لأحبه،[١] متذكرًا حب رسول الله ﷺ لأسامة أبيه ولزيد جَدِّهِ.

وحينما نشب القتال بين علي ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما كان قلب أسامة مع علي رضي الله عنه، لكنه تذكر حواره مع الرسول ﷺ والرجل الذي قتله بعد أن قال: لا إله إلا الله، فاعتزل، ولم يقاتل؛ التزامًا بعهده مع النبي ﷺ. وقال: لا أقاتل أحدًا يقول: لا إله إلا الله، مع أنه بيَّنَ موقفه الداعم لعلي في رسالة بعثها إليه، قال فيها: (إنك لو كنت في شدق السد لأحببت أن أدخله معك، ولكن هذا أمر لم أره). وحينما نوقش رضي الله عنه قال: (لا أقاتل أحدًا يقول: لا إله إلا الله أبدًا)، فرد عليه أحدهم: ألم يقل الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال]، فأجاب رضي الله عنه: (أولئك المشركون، ولقد قاتلناهم حتى لم تكن فتنة، وكان الدين لله).[٢]

كان أسامة رضي الله عنه كثير العبادة والصيام، متأسيًا برسول الله ﷺ، لزم داره بعد استشهاد علي رضي الله عنه، حتى توفي في المدينة سنة (٥٤هـ) في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكان عمره رضي الله عنه خمسًا وسبعين سنة.[٣]

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

الزهريّ المكيّ، أحد العشرة المبشرين بالجنة، والسابقين الأولين، وممن شهد بدرًا والحديبية، ومن الستة أهل الشورى. قال سعد: ما جمع رسول ﷺ

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أسامة بن زيد، ج٤/٢١٤.

(٢) ابن كثير: تفسيره، ج١/٨٤٠.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٤٩٦؛ وابن سعد، الطبقات، ج٤/٦١.

أبويه لأحد قبلي، ولقد رأيته يقول لي: ((ارم يا سعد، فداك أبي وأمي))،[١] وإني لأول المسلمين رمى المشركين بسهم، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ سابع سبعة ما لنا طعام إلا ورق السمر، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاء.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: ليت رجلاً صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة، قالت: فسمعنا صوت السلاح، فقال رسول الله ﷺ: من هذا؟ قال سعد بن أبي وقاص: أنا يا رسول الله، جئت أحرسك، فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه)).[٢]

وعن أبي عثمان أن سعدًا قال: نزلت هذه الآية في ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ [لقمان، من الآية: ١٥]. قال سعد: كنت برًّا بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد؛ ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت، فتعير بي، فيقال: يا قاتل أمه، قلت: لا تفعلي يا أمه؛ إني لا أدع ديني هذا لشيء، فمكثت يومًا لا تأكل ولا تشرب وليلة، وأصبحت وقد جهدت، فلما رأيت ذلك قلت: يا أمه؛ تعلمين والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني، إن شئت فكلي أو لا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت.[٣]

كان ﷺ يعلن محبته لسعد وفخره به، وهذا منطلق من رحمته له.

عن جابر قال: كنا مع رسول الله ﷺ، إذ أقبل سعد بن أبي وقاص، فقال

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب إذا همت طائفتان، ج٥/٣٢.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، ج٣/٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/١٠٩.

رسول الله ﷺ: ((هذا خالي، فليرني امرؤٌ خالَه))،[١] وأم النبي زهرية، وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابنة عم أبي وقاص والد سعد.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: (مرضت عام الفتح مرضًا أشفيت منه، فأتاني رسول الله ﷺ يعودني، فقلت: يا رسول الله، إن لي مالاً كثيرًا، وليس لي إلا ابنة، أفأوصي بمالي كله؟ قال: لا، قلت: فالشطر؟ قال: لا، قلت: فالثلث؟ قال: والثلث كثير؛ إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس، لعلك أن تؤخر على جميع أصحابك، وإنك لن تنفق نفقة تريد بها وجه الله إلا أجرت فيها، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك، قلت: يا رسول الله، إني أرهب أن أموت بأرض هاجرت منها، قال: لعلك أن تبقى حتى ينتفع بك أقوام، ويضر بك آخرون، اللهم أَمْضِ لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم، لكن البائس سعد بن خولة). (يرثي له أنه مات بمكة).[٢]

وروي أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم استجب لسعد إذا دعاك)).[٣]

ولمعظم الصحابة قصص مختلفة في تعامل النبي ﷺ معهم بالعطف والرحمة والفرح بما يسرهم، ومنهم:

---

(١) رواه الترمذي في سننه، برقم: ٣٧٥٢، ج٥/٦٤٩.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة، ج٢/٨٢.

(٣) رواه الترمذي في صحيحه، ح برقم، ٣٧٥١، ج٥/٦٤٩.

كعب بن مالك وصاحباه ﷺ:

مرارة بن الربيعة العامري وهلال بن أمية الواقفي:

أورد الرواة قصة طويلة[1] انتهت بمغفرة الله لكعب وصاحبيه، تخللتها مواقف رحمة من النبي ﷺ بهم، وانتهت بفرحه ﷺ، حاولت الاختصار منها، فوجدت في ذكر معظمها هنا فوائد متعددة.

قال كعب بن مالك: (وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أَيْسَرَ مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا، واستقبل عدوًّا كثيرًا، فجلا للمسلمين أمرهم ...

... وطفقتُ أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئًا، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غاديًا، والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئًا، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئًا، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا، وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأُدركهم، فيا ليتني فعلت، ثم لم يُقدر ذلك لي، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصًا عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء.

ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم

---

(١) انظر حول القصة رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، باب حديث كعب بن مالك وقول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، ج٥/ ١٣٠.

بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله؛ حبسه بُرْدَاهُ والنظر في عطفيه، فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا. فسكت رسول الله ﷺ، فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضًّا يزول به السراب، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري.... قال كعب: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بثي، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بم أخرج من سخطه غدًا؟ وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادمًا زاح عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدًا، فأجمعت صدقه، وصبح رسول الله ﷺ قادمًا، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت، فلما سلمت تبسَّم تبسُّم المغضب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خَلَّفَكَ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ قال: قلت: يا رسول الله؛ إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبى الله، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. قال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك. فقمت.

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف

عنه. قال: فاجتنَبَنَا الناسُ. وقال: تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف.

فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا، وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أَشَبَّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول اللهﷺ، فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني.

حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين... فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ قال: فطفق الناس يشيرون له إلي، حتى جاءني فدفع إليَّ كتابًا من ملك غسان، وكنت كاتبًا، فقرأته، فإذا فيه: أما بعد؛ فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. قال: فقلت حين قرأتها: وهذه أيضًا من البلاء، فتيممت بها التنور، فسجرتها بها.

حتى إذا مضت أربعون من الخمسين، واستلبث الوحي، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك....، فأرسل إلى صاحبيَّ بمثل ذلك. .... فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا. قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا. فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله ﷻ منا، قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوْفى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك؛ أبشر؛ قال: فخررت ساجدًا، وعرفت أن قد

جاء فرج. قال: فآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر.

فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبَلَ صاحبيَّ مبشرون، وركض رجل إليَّ فرسًا، وسعى ساع من أسلم قبلي، وأوفى الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني فنزعت له ثوبيَّ، فكسوتهما إياه ببشارته. والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجًا فوجًا، يهنئوني بالتوبة، ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد، وحوله الناس، فقام طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهنأني. والله ما قام رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور ويقول: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قال: فقلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال: لا، بل من عند الله. وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمر. قال: وكنا نعرف ذلك. قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله؛ إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أمسك بعض مالك، فهو خير لك. قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، قال: وقلت يا رسول الله: إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدِّث إلا صدقًا ما بقيت. قال: فوالله ما علمت أن أحدًا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا أحسن مما أبلاني الله به. والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي. قال:

فأنزل الله ﷻ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة، من الآيتين]، حتى بلغ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة].

قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ ألا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد وقال الله: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة]).[1]

كان ﷺ يسترق النظر لكعب عاطفًا عليه، رحيمًا به رغم المقاطعة، وقد فرح رسول الله ﷺ بتوبة الله على كعب وصاحبيه، حتى استنار وجهه ﷺ، وذلك فرحًا بتوبة الله عليهم، ورحمته لهم، وهكذا كان ﷺ مع أصحابه، بل مع سائر خلق الله، يفرح برضا الله عن عباده، وتوبته عليهم؛ بالمؤمنين رؤوف رحيم.

* * * * *

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، باب حديث كعب بن مالك وقول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، ج٥/١٣٠.

الصحابيات رضي الله عنهن:[١]

اعتنى الإسلام بالمرأة أيما عناية، وجاءت سورة من سوره باسم النساء، عالجت آياتها وغيرها من السور حقوقهن، وأوصى بهن ﷺ خيرًا في مرات متعددة.

وما ورد حول ذلك كان ينطبق على الصحابيات رضي الله عنهن، حيث عايش النبي ﷺ عددًا من الصحابيات ممن آمنَّ به، وصدقنه قبل الهجرة وبعدها، منهن المهاجرات، ومنهن الأنصاريات، وهن طبقات في السبق إلى الإسلام.

وكان لبعضهن حوادث خاصة، نزلت فيها سور أو آيات من كتاب الله، أو نقل لنا فيها حديث عن رسول الله.[٢]

من ذلك ما نزل في سورة الممتحنة في قولة ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[الممتحنة].

وفي ذلك رحمة لهن، ومنع الظلم عنهن من أهلهن الكفار، بعد إسلامهن ومبايعتهن على ذلك.

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، كتاب النساء، ج٤/٢٢٤؛
وقد اخترت نماذج من الصحابيات باجتهادي المتواضع، ورتبتهن كذلك.

(٢) انظر: صحيح، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي ﷺ للنساء وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن، ج٧/٧٨.

وكذلك المجادلة خولة بنت ثعلب ﵂، وهي صحابية سميت بحادثتها سورة من سور القرآن، ونزل فيها قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة].

وتتُّبع من نزل بشأنهن آيات من كتاب الله من الصحابيات في قضايا مختلفة يأخذ مساحة كبيرة، ولعل من يطالع في كتب أسباب النزول، أو تراجم الصحابيات في الكتب المتخصصة، يقف على شواهد متعددة في ذلك.(١)

كان ﷺ يراعي أحوالهن وقدرتهن وطاقتهن، ويتحدثن عن رحمته بهن بكل وضوح.

فقد روي عن أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ، تَقُولُ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ، فَلَقَّنَنَا: ((فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ)). قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ بَايِعْنَا. قَالَ: ((إِنِّي لا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لامْرَأَةٍ قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ)).(٢)

وقد نقلت لنا النصوص مبايعة أخريات منهن لرسول الله ﷺ، ومواقف محددة لبعض منهن.(٣)

وقد سطرت كتب السير الكثير من المواقف التي يمكن الاستشهاد بها في عناية الرسول ﷺ بالصحابيات عمومًا، ورحمتهن وحسن التعامل معهن،

---

(١) انظر: الحاكم في المستدرك، ج٨/٣٩٦ ـ ٤٩١.

(٢) رواه الترمذي في صحيحه، باب ما جاء في بيعة النساء، ج٤/١٥١، ح برقم: ١٥٩٧؛ ورواه الحاكم في المستدرك، ج٨/٤٦٩، ح برقم: ٧١٢٣؛ ورواه الإمام مالك في الموطأ؛ ورواه الإمام أحمد في مسندة من عدة طرق.

(٣) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)، بيعة العقبة الثانية، وفتح مكة.

وكنَّ زوجاتٍ وأمهاتٍ وأخواتٍ وبناتٍ لعدد من أصحابه ﷺ، كما تفاوتن في السن، فمنهن الصغيرات والشابات، ومنهن العجائز كبيرات السن، ومنهن بين ذلك.

فكان تعامله معهن وتوجيهه لهن، وللرجال ذوي العلاقة بهن، مصدرًا تشريعيًّا للأمة تتأسى به إلى يوم القيامة.

بعضهن نساء لأصحابه، وأخريات بنات لهم، وغيرهن أخوات لهم، شاركن معه ﷺ ومعهم في بعض الغزوات، وشاركن الأحداث النبوية في مكة وفي المدينة. كُنَّ فيهن داعيات إلى الإسلام، وشهيدات ومجاهدات. تعلمن منه مباشرة، ونقلن الأحاديث عنه للأمة.

كان حريصًا عليهن وعلى مشاعرهن وإحساسهن والرفق بهن، وهو القائل ﷺ: ((استوصوا بالنساء خيرًا)).(١)

عن أبي قلابة عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وغلام أسود يقال له: أنجشة يحدو، فقال له رسول الله ﷺ: ((يا أنجشة؛ رويدك سوقًا بالقوارير)).(٢)

ومن المعروف أن النساء عمومًا في مجتمع الجاهلية كن محتَقَرات، يتعرضن لأنواع شتى من الظلم الذي كان يشبه العرف غير المستنكر في كثير من قبائل العرب، وكانت كثير من تلك الأعراف سائدة في الزواج

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج، ح برقم: ١٨٥٠، ج١/٥٩٣؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، ج٥/٣٧٣، ح برقم: ٣٠٨٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي ﷺ للنساء وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن، ج٧/٧٨.

وما يرتبط به: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النحل].

والمرأة بطبيعتها ضعيفة، لا تقدر على ما يقدر عليه الرجال.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزخرف].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران].

وصدر عنه ما يؤكد الرحمة بهن وبالنساء عامة إلى يوم القيامة، وتقديرهن وإعطاءَهنَّ حقوقهن، وخصوصًا ما نزل من تشريعات ترفع الظلم عنهن، وتأمر بالرحمة بهن وإعطائهن حقوقهن المالية والأدبية، وما يرتبط بذلك في شتى الجوانب.

ومن ذلك الرفع من شأن المرأة وبيان شراكتها للرجال في الأعمال الصالحة والثواب عليها.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [غافر].

كما ضرب أمثلة لنساء صالحات فُقن أزواجهن في الإيمان والخيرية، وكُن مضرب مثل للإنسانية، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ

وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم].

كما بيَّن أن أصل العلاقة مع الزوجة هي المودة والرحمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم].

وقد مر أنه حينما شاهد النبي بكاء نساء الأنصار على شهدائهن قال: ((لكنَّ حمزة لا بواكي له))، فبكته نساء الأنصار حتى قال لهن النبي ﷺ: ((ارجعن يرحمكن الله، فقد آسيتن بأنفسكن)).(١)

ولعل تعليم النبي ﷺ للرجال والنساء مما علمه الله من الرحمة والعطف والسماحة وعموم الشريعة، هو من أهم أسباب تطبيقهن لها في حياتهن، وقد طلبن ذلك.

عن أبي سعيد رضي الله عنه: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله؛ ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله. فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا. فاجتمعن، فأتاهن رسول الله ﷺ، فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: ((ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجابًا من النار)). فقالت امرأة منهن: يا رسول الله؛ أو اثنين؟ قال: فأعادتها مرتين، ثم قال: ((واثنين واثنين واثنين)).(٢)

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، ج٦/٢٨٥، ح برقم: ٤٩٤٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل، ج٨/١٤٩.

وقد تدخَّل ﷺ في حفظ حقوق النساء من الزوج، وخصوصًا الإرث أو عامة الحقوق في حوادث متفرقة، من ذلك: ميراث بنات ثابت بن قيس بن الشماس وغيرهن.

(حاضنة الرسول ﷺ) أم أيمن رضي الله عنها:

بركة بنت ثعلبة بن عمر الحبشية، كانت مولاة لعبد الله والد النبي ﷺ، وقد ورثها بعد وفاة والده، وعرفت النبي ﷺ منذ ولادته، ورقت له ورحمته وعطفت عليه، وكانت مع أمه آمنة حينما سافرت بالنبي ﷺ إلى المدينة، وهو طفل صغير، وحين توفيت آمنة أم النبي ﷺ بالأبواء في طريق العودة من المدينة، حملته أم أيمن، واهتمت به، وقدمت به إلى مكة،[1] وفرَّغت نفسها لرعايته والعناية به، وغمرته بعطفها وحنانها، في وقت غمره جده عبد المطلب بالحب والرعاية، وكان عبد المطلب يتابع أم أيمن، ويوصيها بالنبي ﷺ خيرًا، ويوجهها دائمًا: يا بركة؛ لا تغفلي عن ابني هذا.

كان ﷺ يتيمًا، واستمرت أم أيمن ترعاه، وتعطف عليه، وتقوم على شؤونه حتى بلغ ﷺ سن الرجال. ولما بلغ وفى معها ﷺ، فكان رحيمًا بها، ورأت منه ﷺ خيرًا كثيرًا، كان يقول عنها: ((هي أُمي بعد أُمي))،[2] وهذا منتهى التقدير والاحترام والرحمة؛ إذ جعلها بمنزلة الأم.

وحين تزوج ﷺ من خديجة رضي الله عنها أعتق أم أيمن، وزوجها من عبيد بن زيد الخزرجي، فولدت ابنها الأول أيمن الذي استشهد معه ﷺ في غزوة حنين.

وحينما توفي زوجها زوَّجها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة مولى رسول

---

(١) انظر موضوع (يتيمًا آواه) من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٣٢.

اللّه ﷺ، فولدت له أسامة بن زيد حِب رسول اللّه ﷺ.[١]

كانت من أوائل المؤمنات برسول اللّه ﷺ، وتعلمت منه دين الرحمة وحسن الخلق، كان رحيمًا بها وبأولادها، عطوفًا عليها.

وقد هاجرت مبكرة إلى المدينة مع زوجها زيد بن حارثة وابنها الصغير أسامة بن زيد، فكان بيتهم من أقرب البيوت منزلة لرسول اللّه ﷺ، وكان يزورهم، ويتعهدهم، ويدعو لهم، وقد خبروا صدقه ﷺ وبره قبل الهجرة وبعدها.[٢]

كانت حريصة مع زوجها زيد بن حارثة على المشاركة مع رسول اللّه ﷺ في جهاده، فشاركت مع نساء المسلمين في أُحد، تسقي العطشى، وتداوي الجرحى، وقد أصيبت يوم أحد بجرح من سهم رماها به أحد المشركين، فوقعت، فسخر منها ذلك المشرك، فضربه سعد بن أبي وقاص فوقع، فسخر منه المسلمون.[٣]

أصبحت قلقة يوم أُحد بما أشاعه المشركون من إصابة رسول اللّه ﷺ، وأخذت تستطلع الأخبار بنفسها حتى اطمأنت عليه ﷺ وعلى سلامته.

كانت ضمن النساء اللائي صحبن رسول اللّه ﷺ في غزوة خيبر.

استُشهد زوجها زيد بن حارثة في غزوة مؤتة، فكان ﷺ رحيماً بها، مواسيًا لها، فصبرت واحتسبت، ثم استشهد ابنها أيمن في غزوة حنين، فصبرت، وكان رسول اللّه ﷺ يواسيها ويزورها بنفسه في بيتها، ويدعوها:

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٤٩٩.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٢٤.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٣٣.

يا أُمَّهْ ويقول: هذه بقية أهل بيتي.[١]

كان يأنس بها، وتنبسط معه بطريقة تثير استغراب الآخرين، فقد طلبت أن يسقيها في أحد المرات، ففعل ﷺ بكل أدب وتواضع وعطف، واستغربت أمهات المؤمنين ذلك. وكثيرًا ما كانت تمازح الرسول ﷺ. وكانت ﵂ قوية الصلة ببنات النبي ﷺ وبنسائه في حياته وبعد مماته ﷺ، وهي ممن جهز بنات النبي ﷺ عند زواجهن، وآخرهن فاطمة ﵂ عند زواجها بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁.[٢]

كانت قوية الصلة بأمهات المؤمنين، حيث كانت بمثابة الأم الحاضنة للنبي ﷺ.[٣]

وقد شهدت اختيار رسول الله ﷺ لابنها أسامة بن زيد لقيادة آخر جيش أعده الرسول ﷺ، ولا شك أنها فرحت بذلك، ووجهته ونصحته، وهي أم شهيد، وزوج شهيد.

حينما توفي الرسول ﷺ حرص أبو بكر وعمر وعلي على زيارتها، تقليدًا لرسول ﷺ،حيث كان يزورها، ومواساة لها، فلما رأتهما بكت رسول الله ﷺ، فقالا لها: ما يبكيك؟ فقالت: (ما أبكي أني لأعلم أن الرسول ﷺ إلى خير مما كان فيه، ولكن أبكى أن وحي السماء انقطع عنا، فجعلا يبكيان معها)،[٤] كان حديثها يدل على علم واسع ووعي وإدراك لحال الإنسانية كلها بعد انقطاع الوحي.

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٣٢.

(٢) انظر زواج فاطمة ﵂ من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٤٩؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٢٣.

(٤) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٣.

توفيت ﵂ في المدينة المنورة سنة ٢٤ من الهجرة في خلافة عثمان، بعد وفاة عمر بعشرين يومًا.(١)

سمية أم عمّار ﵂:

كانت أمةً في بني مخزوم، فتزوجها ياسر بن عامر العنسي، والد عمّار ابن ياسر، فولدت له عمّارًا. كانت سمية ممن عذبت في الله، وصبرت على الأذى في الله، وكانت من المبايعات الخيرات الفاضلات ﵂، وهي أول شهيدة في الإسلام.

آذاها وزوجها وابنها المشركون، وعلى رأسهم أبو جهل، فقال عمّار: يا رسول الله؛ بلغ منا العذاب كل مبلغ، وكان ﷺ رحيمًا بهم، لا يستطيع دفع الأذى عنهم.

فكان ﷺ رحيمًا يتألم لألمهم، يُسليهم ويصبرهم ويخبرهم بموعود الله لهم في الجنة؛ ليكون في ذلك عزاءٌ وتقوية على ما أصابهم، فيمر عليهم ﷺ، ويقول: ((صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة)).(٢)

كان أبو جهل يشتم سمية ويرفث، ثم طعنها في موضع عفتها فقتلها، فهي أول من استشهد في الإسلام، فماتت ﵂ شهيدة.(٣)

فاطمة بنت الخطاب ﵂:(٤)

أخت عمر ﵁ وسبب إسلامه.

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٣٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٢٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٢٠؛
العُمري، رسول الله وخاتم النبيين، ج٢/٢٩٩.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٣٤.

(٤) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٨١.

صحابية جليلة، لها السبق إلى الإسلام مع زوجها سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ، حيث أسلما مبكرين.

يروى أن المشركين هاجموا المسلمين ذات يوم، وكان فيهم الرسول وأبو بكر، وضُرب أبو بكر ضربًا شديدًا، ثم حُمل إلى داره، فلما أفاق سأل أمه (أم الخير): ما فعل رسول اللَّه؟ فقالت: واللَّه ما لي علم بصاحبك! فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب ـ يقصد فاطمة أخت عمر بن الخطاب ﷺ ـ، فاسأليها عنه.

فخرجَتْ حتى جاءت أمّ جميل، فقالتْ: إن أبا بكر يسألكِ عن محمد بن عبد اللَّه، فقالت أم جميل: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد اللَّه، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك. قالتْ: نعم. فمضتْ معها حتى وجدتْ أبا بكر صريعًا، فاقتربتْ منه، وصاحت: واللَّه إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإنى لأرجو أن ينتقم اللَّه منهم. قال: فما فعل رسول اللَّه؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها. قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم. قال: فإن للَّه عليَّ لا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى آتى رسول اللَّه (فأمهلتاه حتى سكن الناس، ثم خرجتا به يتكئ عليهما؛ حتى أدخلتاه على رسول الله).[1]

يحكِي عمر بن الخطاب ﷺ قصة إسلامه على يديها، فيقول: خرجتُ بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام، فإذا بنعيم بن عبد الله المخزومي، فقلتُ له: أرَغِبْتَ عن دين آبائك إلى دين محمد؟ قال: قد فعل ذلك من هو أعظم عليكَ حقًّا مني. فقلتُ: ومَنْ هو؟ قال: أختك فاطمة وخَتنُك زوجها.

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٨١.

فانطلقتُ فوجدتُ الباب مغلقًا، وسمعتُ هَمْهَمَة، ولما فُتِح الباب دخلتُ، فقلتُ: ما هذا الذي أسمعُ؟ قالتْ فاطمة: ما سمعت شيئًا. فما زال الكلام بيننا حتى أخذتُ برأسها، فقالتْ: قد كان ذلك على رغم أنفك، فاستحييتُ حين رأيت الدم.

وقلت: أروني الكتاب الذي سمعتكم تقرؤون آنفًا. فقالت: إنا نخشاك عليه، فقلتُ: لا تخافى، وحلفت بالآلهة لأردّنه ـ إذا قرأتُه ـ إليهم، فقالت: إنه لا يمسه إلا المطهرون، فاغتسلتُ، فقرأتُ: بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

فقلتُ: ما أحسنَ هذا الكلام وأكرمَه!، فلما سمع منى خَبّاب بن الأَرَتّ هذا الكلام خرج من مخبئه، حيث كان يُقْرِئها وزوجَها القرآن، فلما سمعني ـ أَطْرُق على الباب ـ خشي وتخفّى فيه، فقال: يا عمر، إنى لأرجو اللّه أن يكون قد خصّك بدعوة نبيه، فإنّى سمعتُه أمس وهو يقول: ((اللهم أيّد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب))، (وفى رواية: بأحد العُمَرَيْن) فاللّهَ اللّهَ يا عمر.

فقلتُ لخباب: دلني على محمد؛ حتى آتيه فأُسلِم. فأخذني إلى بيت الأرقم ابن أبى الأرقم (على الصفا).[1]

وقد روت ﵂ عن النبي بعض الأحاديث الشريفة.[2]

من ذلك: أنها سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: لا تزال أمتي بخير ما لم يظهر

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٨١.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٨١.

فيهم حب الدنيا في علماء فساق وقراء جهال وجبابرة، فإذا ظهرت خشيت أن يعمهم الله بعقاب.[١]

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما:[٢]

والدة عبد الله بن الزبير، وأخت أم المؤمنين عائشة، وتعرف بذات النطاقين، أم عبد الله وعروة ابني الزبير، وكانت أسن من عائشة ببضع عشرة سنة. شهدت اليرموك مع زوجها الزبير بن العوام.

عن أسماء قالت: صنعت سفرة النبي ﷺ في بيت أبي حين أراد أن يهاجر، فلم أجد لسفرته ولا لسقائه ما أربطهما، فقلت لأبي: ما أجد إلا نطاقي، قال: شقيه باثنين، فاربطي بهما، قال: فلذلك سميت: ذات النطاقين.[٣]

روى ابن إسحاق: حدثت عن أسماء، قالت: أتى أبو جهل في نفر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك؟ قلت: لا أدري ـ والله ـ أين هو؟، فرفع أبو جهل يده، ولطم خدي لطمة خر منها قرطي.

قالت أسماء: تزوجني الزبير وما له شيء غير فرسه، فكنت أسوسه وأعلفه، وأدق لناضحه النوى، وأستقي وأعجن، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي ـ وهي على ثلثي فرسخ ـ فجئت يومًا والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر، فدعاني، فقال: إخ، إخ.[٤] ليحملني خلفه، فاستحييت، وذكرت الزبير وغيرته.[٥]

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٨١.
(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٢٩؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٨٧.
(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٣٠؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٩٠.
(٤) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٣٠؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٩٠.
(٥) لينيخ الناقة.

قالت: فمضى. فلما أتيت، أخبرت الزبير، فقال: والله لحملك النوى كان أشد عليّ من ركوبك معه. لقد أحس ﷺ بعنائها وتعبها، فرحمها وأراد أن يخفف عنها، لكن منعها من ذلك الحياء.

قالت أسماء: يا رسول الله؛ إن أمي قدمت، وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: نعم، صلي أمك. كان توجيهه ﷺ لها بصلة أمها رغم كونها غير مسلمة واضحًا في تلقيها من رسول الله ﷺ ما أشكل عليها، وفي رحمته ﷺ بها وبأمها.

كانت رضي الله عنها سخية النفس، فكانت لا تدخر شيئًا، فتعتق كل مملوك لها. توفيت سنة ثلاث وسبعين من الهجرة.[١]

أسماء بنت عميس رضي الله عنها:[٢]

الخثعمية، من المهاجرات الأول إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فولدت له هناك عبد الله ومحمدًا وعونًا، ثم هاجرت معه إلى المدينة سنة سبع، واستشهد يوم مؤتة، فتزوجها أبو بكر الصدِّيق، فولدت له محمدًا، ثم توفي الصدِّيق رضي الله عنه، فغسلته، ثم تزوجها علي بن أبي طالب، فولدت له يحيى وعونًا،[٣] فصار لها محمدان من الولد وعونان من الولد.

لما قدمت أسماء من الحبشة قال لها عمر: يا حبشية، سبقناكم بالهجرة. فقالت: لعمري، لقد صدقت، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم،

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٢٩؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٩٦.
(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٣١؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٨٢.
(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٣١؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٨٦.

ويعلم جاهلكم، وكنا البعداء الطرداء، أما والله لأذكرن ذلك لرسول الله، فأتته، فقال: للناس هجرة واحدة، ولكم هجرتان.(١)

وفي رواية أنها قالت: يا رسول الله، إن هؤلاء يزعمون أنَّا لسنا من المهاجرين. قال: كذب من يقول ذلك، لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إليَّ. كان هذا العطف والرحمة والمواساة من رسول اللهﷺ مهمًّا في رفع روحها المعنوية.

كان لهذا الحوار معها في رد حق أسماء ومهاجري الحبشة رحمة بها وبمن معها، وكانت صراحتها في عرض الحوار على رسول الله ﷺ سببًا في بيان فضلها وفضل المهاجرين إلى الحبشة.

تفاخر ابناها محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، فقال كل منهما: أنا أكرم منك، وأبي خير من أبيك.

فقال علي لأسماء: اقضي بينهما، قالت: ما رأيت شابًّا من العرب خيرًا من جعفر، ولا رأيت كهلاً خيرًا من أبي بكر.(٢)

أم هانئ ﵂:

فاختة بنت أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم، ابنة عم النبي ﷺ، وأخت على بن أبي طالب ﵁، كانت قبل إسلامها تدفع عن النبي ﷺ أذى المشركين، وقد أسلمت ﵂ يوم فتح مكة، وكان لها فيه موقف مع النبيﷺ سجلته كتب السنة والسيرة النبوية.(٣)

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٣١؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٨٣.
(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٣١؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٨٦.
(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٥٠٣.

في رمضان من السنة الثامنة من الهجرة فتح الله ﷻ لرسوله ﷺ مكة المكرمة، وهو الفتح الأعظم، الذي أعز الله به دينه ورسوله، ودخل به الناس في دين الله أفواجًا، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ [الفتح]. وفي أثناء هذا الفتح والنصر المبين فرَّ بعض المشركين إلى بيت أم هانئ بنت أبي طالب ﵂، ولحقهم أخوها عليٌّ ﵁ ليقتلهم، وسألوها أن تجيرهم ففعلت، وذهبت إلى النبي ﷺ لتخبره بما حدث بينها وبين عليٍّ ﵁، وتروي ذلك، فتقول:

((لما كان عام يوم الفتح فرّ إليَّ رجلان من بني مخزوم، فأجَرْتُهُما. قالت: فدخل عليَّ عليٌّ، فقال: أقتلهما، قالت: فلما سمعته يقول ذلك أتيت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فلما رآني رسول الله ﷺ رحّب، وقال: ما جاء بك يا أم هانئ؟ قالت: قلت: يا رسول الله؛ كنت أمّنت رجلين من أحمائي، فأراد عليٌّ قتلهما، فقال رسول الله ﷺ: قد أجرنا من أجرت. ثم قام رسول الله ﷺ إلى غسله، فسترته فاطمة. ثم أخذ ثوبًا فالتحف به، ثم صلى رسول الله ﷺ ثماني ركعات سبحة الضّحى)). رواه مسلم، وفي رواية البخاري قال النبي ﷺ لها: ((مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ .. قدْ أَجَرنَا مَنْ أَجَرتِ يَا أُمَّ هَانِئ)). وفي رواية أحمد: أنهما رجلان من أحمائها،[1] فقال لها النبي ﷺ: ((قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ)).[2]

وقد بوَّب البخاري على هذا، فقال: ((باب أمان النساء وجوارهن)).[3]

لقد كان في ذلك تقديرٌ لها ووفاءٌ ورحمةٌ بها.

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد، ج٦/٣٤٣.

(٢) اللفظ للبخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب أمان النساء وجوارهن، ج٤/٦٧.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب أمان النساء وجوارهن، ج٤/٦٧.

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية ﵂:

والدة عليٍّ وإخوته. هاجرت وماتت بالمدينة. عن علي ﵁ أن النبي ﷺ كفن فاطمة بنت أسد في قميصه، وقال: لم نلق بعد أبي طالب أبر بنا منها. وقال الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي: قلت لأمي: اكفي فاطمة سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك الطحن والعجن.

كانت امرأة صالحة، وكان النبي ﷺ يزورها، ويقيل في بيتها،[١] ولا شك أن هذا التقدير والثناء على هذه الصحابية الخيرة يُعَدُّ رحمة لها ولطفًا بها وعناية خاصة منه ﷺ بهذه الأم الصالحة لعلي ﵁ ابن عم رسول الله ﷺ وصهره.

أم رومان بنت عامر ﵂:

امرأة أبي بكر الصدِّيق ﵁، ووالدة عبد الرحمن وعائشة، اسمها زينب بنت عبد بن دهمان. أسلمت وبايعت وهاجرت.[٢]

توفيت في عهد النبي ﷺ في ذي الحجة سنة ست من الهجرة، وقيل: بعد ذلك، فنزل النبي ﷺ قبرها، واستغفر ودعا لها، وقال: ((اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك))، ودُليت أم رومان في قبرها، قال رسول الله ﷺ: ((من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى هذه)).[٣]

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٨٠؛ وانظر: صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب أمان النساء وجوارهن، ج٤/٦٧.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٥١.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٥١.

أم سليم الرميصاء أو الغميصاء الأنصارية ﵂:[١]

من المبشرات بالجنة، قال رسول الله ﷺ: ((أريت أني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة)). وعن أنس ﵁((أن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتًا بالمدينة غير بيت أم سليم إلا على أزواجه، فقيل له، فقال: إني أرحمها، قُتل أخوها معي)).[٢]

وفي الحديث تصريح واضح منه ﷺ برحمتها، وأن ذلك هو سبب زيارتها ودخوله عليها. كما عرفت بدعوتها إلى الإسلام، فقد ورد عن أنس بن مالك أن أبا طلحة خطب أم سليم يعني قبل أن يسلم، فقالت: يا أبا طلحة؛ ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض؟ قال: بلى، قلت: أفلا تستحي تعبد شجرة؟ إن أسلمت فإني لا أريد منك صداقًا غيره، قال: حتى أنظر في أمري، فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فقالت: يا أنس زوِّج أبا طلحة فزوجها. يقول أنس ﵁: جزى الله أمي عني خيرًا لقد أحسنت ولايتي. فقال لها أبو طلحة: فقد جلس أنس وتكلم. وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يزور أم سليم، فتتحفه بالشيء تصنعه.[٣]

كانت تغزو مع رسول الله ﷺ، ولها قصص مشهورة، منها: أن أم سليم اتخذت خنجرًا يوم حنين. فقال أبو طلحة: يا رسول الله؛ هذه أم سليم معها خنجر. فقالت: (اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه).

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٦١.

(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﵁، ج٤/١٩٨، ولعل المقصود هو تكرار الدخول وكثرته.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٦١؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٤٢٧.

وفي الصحيح: لما مات ولدها ابن أبي طلحة قالت: لما يدخل، لا يذكر أحد ذلك لأبي طلحة قبلي، فلما جاء وسأل عن ولده قالت هو أسكن ما كان. فظن أنه عوفي، وقام فأكل، ثم تزينت له، وتطيبت، فنام معها، وأصاب منها. فلما أصبح قالت له: احتسب ولدك. فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: ((بارك الله لكما في ليلتكما)). فجاءت بولد وهو عبد الله بن أبي طلحة، فأنجب ورزق أولادًا، قرأ القرآن منهم عشرة كملاً.(١)

وعن أنس أن أم سليم لما قدم النبي ﷺ قالت: يا رسول الله؛ هذا أنس يخدمك. وكان حينئذ ابن عشر سنين، فخدم النبي ﷺ منذ قدم المدينة حتى مات، فاشتهر بخادم النبي ﷺ، وروت عنه، وروت عن النبي ﷺ عدة أحاديث.(٢)

أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما:(٣)

اسمها لبابة بنت الحارث الهلالية. قيل: إنها أول امرأة آمنت بعد خديجة، وروت عن النبي ﷺ، وروى عنها ابناها عبد الله وتمام.

وحين ولدت فاطمة رضي الله عنها حسينًا أرضعته أم الفضل، فجاءت به النبي ﷺ، فأجلسه في حجره، فبال فضربته بين كتفيه، فقال: ((أوجعتِ ابني، رحمك الله، الحديث)).(٤)

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٦١.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب العقيقة، باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه، ج٦/٢١٦.

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه، ج٧/١٤٥.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٨٣.

(٤) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٨٤.

وفي الصحيح أن الناس شكوا في صيام النبي ﷺ يوم عرفة، فأرسلت إليه أم الفضل بقدح لبن، فشرب وهو بالموقف، فعرفوا أنه لم يكن صائمًا.[١] ماتت في خلافة عثمان قبل زوجها العباس رضي الله عنهما.[٢]

أم أبي هريرة رضي الله عنه:

حدَّث أبو هريرة قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام، وهي مشركة، فدعوتها يومًا، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت: يا رسول الله؛ إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام، فتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ: اللهم اهد أم أبي هريرة، فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجافًى، فسمعَتْ أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلتْ، ولبستْ، درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة؛ أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح. قال: قلت: يا رسول الله؛ أبشر، قد استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبي هريرة. فحمد الله، وأثنى عليه، وقال خيرًا. قال: قلت: يا رسول الله؛ ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا. قال: فقال رسول الله ﷺ: اللهم حبب عُبَيدك هذا يعني أبا هريرة وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين، فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني.[٣]

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٦١.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صوم يوم عرفة، ج٢/٢٤٨.

(٣) من رواية مسلم، في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، ج٧/١٦٥؛ انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٣.

نسيبة بنت كعب الأنصارية ﵂:

أم عمارة، مشهورة بكنيتها، وهي من المبايعات في العقبة الثانية.

شهدت أُحدًا مع زوجها زيد بن عاصم. قالت: خرجت يعني يوم أحد، ومعي سقاء وفيه ماء، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدُّولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ، فكنت أباشر القتال، وأذب عنهم بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خلصت الجراح، فكان على عاتقها جرح أجوف له غور أصابها ابن قميئة. وشهدت بيعة الرضوان، ثم شهدت اليمامة لما بلغها قتل ابنها حبيب، حيث عاهدت الله أن تموت دون مسيلمة أو تقتل، فشهدت اليمامة مع خالد بن الوليد، ومعها ابنها عبد الله، فقتل مسيلمة، فقاتلت حتى قطعت يدها، وجرحت اثني عشر جرحًا، وروت عن النبي ﷺ.

أم حرام بنت ملحان ﵂:

خالة أنس بن مالك، وعنه أن النبي ﷺ كان إذا ذهب إلى قباء دخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، فدخل عليها فأطعمته، وجلست تفلي رأسه، فنام، ثم استيقظ وهو يضحك. الحديث في شهداء البحر، وفي آخره قال: فركبت أم حرام البحر في زمن معاوية، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فماتت. وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال في بيتها، فاستيقظ وهو يضحك، وقال: ((عُرض عليَّ أناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأَسِرَّة)). قالت: فقلت: يا رسول الله؛ ادع الله أن يجعلني منهم. ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقلت: يا رسول الله؛ ما يضحكك؟ فقال: ((عُرض عليَّ ناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على

الأَسِرَّة)). قلت: يا رسول الله؛ ادع الله أن يجعلني منهم، قال: ((أنت من الأولين)).[١]

وقد تزوجها عبادة بن الصامت، فأخرجها معه، فلما جاز البحر ركبت دابة، فصرعتها فقتلتها. وتلك الغزوة غزوة قبرص، فدفنت فيها.

فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب ﵂:

تكنَّى أم الفضل، زوَّجها النبي ﷺ سلمة بن أم سلمة. عن علي ﵁ قال: أُهدي إلى رسول الله ﷺ حلة إستبرق، فقال: اجعلها خمرًا بين الفواطم، وقد شقها، خمارًا لفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وخمارًا لفاطمة بنت أسد، وخمارًا لفاطمة بنت حمزة، ولم يذكر الرابعة.[٢]

قتيلة بنت النضر بن الحارث القرشية ﵂:

قالت أبياتًا في رسول الله ﷺ لما قتل أباها النضر بن الحارث يوم بدر. فلما بلغ رسول الله ﷺ رق ودمعت عيناه، وقال لأبي بكر: يا أبا بكر؛ لو سمعت شعرها لم أقتل أباها، وإن كانت عاشت إلى الفتح فهي من جملة الصحابيات.

ولو صحت الرواية فلا شك أن هذا العطف والرقة من رسول الله ﷺ لهذه المرأة المستعطفة علامة رحمة بها، رغم كبر جرم أبيها الذي استحق بسببه القتل بعد أن قبض عليه.

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٤١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم لبس الحرير وغير ذلك للرجال، ج٦/١٤٢؛
انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب هدية ما يكره لبسها، ج٣/١٤١؛
ابن حجر، فتح الباري، ج٢٢/٥٤.

عن عائشة بنت قدامة قالت: (كنت مع أمي رائطة بنت سفيان والنبي ﷺ يبايع النساء يقول: أبايعكن على ألا تشركن بالله شيئًا ... الحديث. وفيه: ولا تعصينني في معروف، فأطرقن، فقال: قلن: نعم فيما استعطتن، فكن يقلن، وأقول معهن، وأمي تلقنني، فكنت أقول كما يقلن).[1]

كان يجلس للنساء يعلمهن ويعظهن ويستشرنه ويشكين له؛ فعَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: ((اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ. فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قُمْنَ فَبَادَرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ عُمَرُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاءِ اللاتِي كُنَّ عِنْدِي. فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ فَقَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ؛ أَتَهَبْنَنِي وَلا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقُلْنَ: نَعَمْ؛ أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِيهًا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ)).[2]

ومن حديث ابن عباس أن امرأة يقال لها: رعلة القشيرية وفدت على النبي ﷺ، وكانت امرأة ذات لسان وفصاحة، فقالت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، إنا ذوات الخدور، ومحل أزر البعول، ومربيات الأولاد، ولا حظَّ لنا في الجيش، فعلمنا شيئًا يقربنا إلى الله ﷻ. فقال:

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، (مسند النساء)، حَدِيث رَائِطَةَ بِنْتِ سُفْيَانَ، ج٦/٣٦٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، ج٤/١٩٩؛ ومسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عمر بن الخطاب، ج٧/١١٥.

((عليكن بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، وغض البصر، وخفض الصوت)).[١]

ولعل أولاهن بالحديث عن رحمته وحسن تعامله أكثرهن معايشة له ﷺ منذ ولادته حتى وفاته، وهي:

حبيبة بنت سهل بن ثعلبة رضي الله عنها:

أنصارية من بني النجار، تزوجها ثابت بن قيس، وقد ضربها، وقد خرج ﷺ فرآها، فقال: من هذا؟ قالت: أنا حبيبة بنت سهل. قال ما شأنك؟ قالت: لا أنا ولا ثابت. فأتى ثابت النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: خذ منها، وخل سبيلها. فقالت: يا رسول الله، عندي والله كل شيء أعطانيه، فردت عليه حديقته. وكان ذلك أول خلع في الإسلام. كانت هذه الرحمة في ظاهرة عطف على هذه المرأة المظلومة والمعنفة، وفتح لأبواب الخلع لعامة النساء في حكم شرعي استقر إلى يوم القيامة؛ رحمةً بالنساء، وحماية لهن من اضطهاد الأزواج، في حال وجوده.[٢]

الحولاء بنت تويت القرشية الأسدية رضي الله عنها:[٣]

أسلمت وبايعت، وثبت في الصحيحين عن عائشة أن الحولاء بنت تويت مرت بها وعندها رسول الله ﷺ، فقالت: هذه الحولاء بنت تويت، يزعمون أنها لا تنام الليل، فقال النبي ﷺ: ((خذوا من العمل ما تطيقون)).[٤]

---

(١) انظر: ابن حجر، الاصابة ج٤/٤٤٩؛ وابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٥٦٧.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٧٠.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٩٠.

(٤) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٧٨.

كانت هذه رحمة من الرسول ﷺ لهذه الصحابية ولسائر الأمة بالعمل، حسب الطاقة، وعدم الشدة على النفس وإرهاقها فيما لا تطيق.

خولة بنت مالك بن ثعلبة رضي الله عنها:

امرأة أوس بن الصامت، أخي عبادة. قالت: ((فيَّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله ﷻ صدر سورة المجادلة. قالت: كنت عنده، وكان شيخًا كبيرًا قد ساء خلقه وضجر. قالت فدخل عليَّ يومًا، فراجعته بشيء، فغضب وقال: أنت عليَّ كظهر أمي، ثم خرج، فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليَّ فإذا هو يريدني. قالت: فقلت: كلا والذي نفسي بيده، لا تخلص إليَّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا. قالت: فواثبني، فامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ، فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، فجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه. قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا خويلة؛ ابن عمك شيخ كبير، فاتقي الله فيه، قالت: فوالله ما برحت حتى نزل فيّ القرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه، ثم سري عنه، فقال: يا خويلة؛ قد أنزل الله فيك وفي صاحبك، ثم قرأ عليَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة، من الآية: ١] إلى قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ [المجادلة]. قال: فقال رسول الله ﷺ: مريه فليعتق رقبة. قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: فليصم شهرين متتابعين. قالت: فقلت: والله إنه لشيخ كبير، ما به من طاقة. قال: فليطعم ستين مسكينًا وِسْقًا من تمر. قالت: فقلت: يا رسول الله؛ ما ذاك

عنده. قالت: فقال رسول الله ﷺ: فإنا سنعينك بعذق من تمر. قالت: فقلت: يا رسول الله؛ وأنا سأعينه بعذق آخر. فقال: قد أصبت وأحسنت)).[١]

كان ﷺ رحيمًا بها، عطوفًا عليها يعرف من حالها وحال زوجها ما دعاه إلى وصيتها به. كانت حادثتها مع زوجها سببًا في نزول آيات المجادلة، التي أصبحت حكما شرعيًّا في الظهار رحمة بها وبنساء الأمة إلى يوم القيامة.[٢]

خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال السلمية رضي الله عنها:[٣]

امرأة عثمان بن مظعون. وكانت صالحة فاضلة، روت عن النبي ﷺ، وهي من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ.

وهي التي قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله؛ إن فتح الله عليك الطائف فأعطني حلي بادية بنت غيلان أبي سلامة، أو حلي الفارعة بنت عقيل. وكانت من أحلى نساء ثقيف. فقال: "وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة"؛ لقد كان ردًّا لطيفًا رقيقًا.

أخرج أحمد عن عائشة قالت: دخلت عليَّ خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية، فقال النبي ﷺ: ((ما أبذ هيئة خويلة! فقلت: امرأة لا زوج لها تصوم النهار وتقوم الليل، فهي طمرور لا زوج لها، الحديث)). فأنكر على عثمان بن مظعون تقصيره بحقها، وقد توفي عنها رضي الله عنه.[٤]

---

(١) ابن كثير، تفسيره، ج١/١٨٣٦؛
ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٩٠.
(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٩٠.
(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٩١.
(٤) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٩١.

رُفيدة الأنصارية أو الأسلمية ﵂:

لما أصيب أكحل سعد يوم الخندق قيل: حولوه عند امرأة يقال لها: رفيدة، وكانت تداوي الجرحى، وكان رسول الله ﷺ إذا مر به يقول: كيف أمسيت؟ وإذا أصبح قال: كيف أصبحت؟ فيخبره.(١) وقد ثبتت خدمتها لأصحاب النبي ﷺ عند حاجتهم للتمريض، ولا شك أنها كانت تجد من الرسول ﷺ ما يعينها على ذلك.

الربيع بنت النضر الأنصارية ﵂:

أخت أنس بن النضر، وعمة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، من بني عدي بن النجار، وهي والدة حارثة بن سراقة الذي استشهد، وفيه قولها عن حارثة: فإن يكن في الجنة صبرت واحتسبت، وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء، فقال لها النبي ﷺ: ((إنه أصاب الفردوس)).(٢)

عن أنس أن الربيع بنت النضر عمته لطمت إنسانًا، فكسرت سنَّه، فطلبوا العفو فأبوا، فطلبوا الأرش فأبوا. فقال رسول الله ﷺ: كتاب الله القصاص. فقال أنس بن النضر: أيكسر سن الربيع؟ لا والذي بعثك بالحق، لا يكسر سنها. فرضوا بالأرش. فقال رسول الله ﷺ: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره، منهم أنس بن النضر. وفي قصة قتل أخيها أنس بن

---

(١) انظر: البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من غزوة الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة؛ ج٥/٥١؛ وابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٠٢؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٢٨٢.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٠١.

النضر لما استشهد بأُحد قال أنس: فقالت أخته الربيع عمتي بنت النضر: ما عرفت أخي إلا ببنانه.[١]

كانت مواقفه ﷺ معها متعددة، كلها تنم عن الرحمة والعطف.

سَفَّانة بنت حاتم الطائي رضي الله عنها:

أخت عدي بن حاتم، أصابتها خيل رسول الله ﷺ في سبايا طيِّئٍ، فقدمت بها على رسول الله ﷺ، فجعلت في حظيرة بباب المسجد، فمر بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله؛ هلك الوالد، وغاب الوافد. فقال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم. قال: الفار من الله ورسوله؟، ومضى حتى مر ثلاثًا. قالت: فأشار إليَّ رجل من خلفه أن قومي فكلميه. قالت: يا رسول الله؛ هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ منَّ الله عليك. قال: قد فعلت، فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك، ثم آذنيني. فسألت عن الرجل الذي أشار إليَّ فقيل: علي بن أبي طالب، وقدم ركب من بِلِي، فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: قدم رهط من قومي، قالت: وكساني رسول الله ﷺ، وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت حتى قدمت على أخي. فقال: ما ترين في هذا الرجل؟. فقلت: أرى أن نلحق به، قال: وكانت أسلمت، وحسن إسلامها.[٢]

سلمى بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها:

أخت أسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبي طالب. قال فيهن النبي ﷺ:

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٠١؛ وانظر، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، (غزوة الأحزاب)، باب فمنهم من قضى نحبه، ج٦/٢٢.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٢٩.

الأخوات مؤمنات. كانت تحت حمزة، فولدت له أمة الله بنت حمزة. وفي قصة بنت حمزة لما اختصم فيها عليٌّ وجعفر وزيد بن حارثة، فقال جعفر: أنا أحق بها، وخالتها تحتي. وقال ابن سعد: زوجها حمزة، وكانت أسلمت قديمًا مع أختها أسماء، فولدت لحمزة ابنته عمارة، وهي التي اختُصم فيها، فقضى بها النبي ﷺ لجعفر، وقال: الخالة بمنزلة الأم. وكانت أسماء تحت جعفر، فتعيَّن أن أمها سلمى، وقد بالغ ابن الأثير في الرد على من زعم أن أسماء كانت تحت حمزة.(١)

سلمى بنت قيس الأنصارية النجارية من عدي بن النجار رضي الله عنها:

تُكنَّى أم المنذر، وهي بكنيتها أشهر، وهي أخت سليط بن قيس. وأخرج ابن إسحاق: سلمى بنت قيس أم المنذر إحدى خالات النبي ﷺ، وقد صلَّت معه إلى القبلتين. قالت: بايعت النبي ﷺ فيمن بايعه من النساء، على ألا يشركن بالله شيئًا، الحديث، وفيه: ولا نغش أزواجنا، فبايعناه، فلما انصرفنا قلت لامرأة ممن معي: ارجعي فاسأليه ما غش أزواجنا؟ فسألته فقال: تأخذ ماله، فتحابى به غيره.(٢)

الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس القرشية العدوية رضي الله عنها:

أسلمت الشفاء قبل الهجرة، وهي من المهاجرات الأول، وبايعت النبي ﷺ، وكانت من عاقلات النساء وفضلائهن، وكان رسول الله ﷺ يزورها، ويقيل عندها في بيتها، وكانت قد اتخذت له فراشًا وإزارًا ينام فيه. قال لها رسول الله ﷺ: علمي حفصة رُقْيةَ النملة، كما علمتها الكتابة. وأقطعها

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٣٢.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٣٢.

رسول الله ﷺ دارًا بالمدينة، فنزلتها مع ابنها. روت أن رسول الله ﷺ سئل عن أفضل الأعمال، فقال: ((إيمان بالله، وجهاد في سبيله، وحج)).[١]

قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا قاعدة عند حفصة، فقال: ((ما عليك أن تعلمي هذه رُقْيَةَ النملة؟)).[٢] وورد عنها قالت: أتيت النبي ﷺ أسأله، فجعل يعتذر إليَّ، وأنا ألومه، فحضرت الصلاة، فخرجت، فدخلت على ابنتي وهي تحت شرحبيل بن حسنة، فوجدت شرحبيل في البيت، فجعلت أقول: قد حضرت الصلاة وأنت في البيت؟ وجعلت ألومه، فقال: يا خالتي؛ لا تلوميني، فإنه كان لنا ثوب فاستعاره رسول الله ﷺ. فقلت: بأبي وأمي، إني كنت ألومه، وهذه حاله ولا أشعر.[٣]

الشيماء بنت حليمة السعدية ﵂:

ورد أنها لما انتهت إلى رسول الله ﷺ قالت: ((يا رسول الله؛ إني لأختك من الرضاعة،[٤] قال: وما علامة ذلك؟ قالت: عضة عضضتها في ظهري وأنا متوركتك، فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فبسط لها رداءه، ثم قال لها: هاهنا، فأجلسها عليه، وخيرها، فقال: إن أحببت فأقيمي عندي محببة مكرمة، وإن أحببت أن أمتعك[٥] فارجعي إلى قومك، فقالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي، فمتعها وردها إلى قومها)).[٦]

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٢.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٢.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤١.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٧٥.

(٥) أي: يجهزها بالمتاع.

(٦) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٤.

وقيل: أغارت خيل رسول الله ﷺ على هوازن، فأخذوها فيما أخذوا من السبي، فقالت لهم: أنا أخت صاحبكم. فلما قدموا بها قالت: يا محمد؛ أنا أختك، وعرفته بعلامة عرفها، فرحب بها، وبسط رداءه، فأجلسها عليه، ودمعت عيناه، فقال لها: إن أحببت أن ترجعي إلى قومك أوصلتك، وإن أحببت فأقيمي مكرمة محببة. فقالت: بل أرجع، فأسلمت، وأعطاها رسول الله ﷺ نعمًا وشاء وثلاثة أعبد.(١)

عمرة بنت مسعود بن قيس بن عمرو بن زيد ﵂:

من بني النجار، والدة سعد بن عبادة، ماتت في حياة النبي ﷺ سنة خمس. قال ابن سعد: ماتت والنبي ﷺ في غزوة، فلما جاء ﷺ المدينة أتى قبرها، فصلى عليها، فسأل ولدها النبي ﷺ عن الصدقة عنها.(٢) ولا شك أنه دله على ما ينفعها بعد موتها، وفي ذلك رحمة لها ﵂، ولعل هذه الحادثة التي فيها أوصى رسول الله ﷺ بسقيا الماء.

عميرة بنت أبي الحكم ﵂:

روي أن أبا الحكم أسلم، ولم تسلم امرأته، فأتت النبي ﷺ فقالت: إن أبا الحكم أخذ ابنتي ومنعنيها، فأمر أبا الحكم، فجلس ناحية، وأمر المرأة، فجلست ناحية، ووضع الجارية بينهما، ثم قال: ادعواها، فدعواها فمالت إلى أمها، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اهدها، فمالت إلى أبيها، فأخذها. ولعل ذلك قبل إسلام أمها، وقد أسلمت بعد ذلك، وبايعت.(٣)

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٤؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٧٥.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٦٧.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٦٨.

نزل فيها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء].

عميرة بنت مسعود الأنصارية ﵂:

ورد عن عميرة بنت مسعود أنها دخلت على رسول الله ﷺ هي وأخواتها وهن خمس.[١]

فارعة بنت أبي أمامة ﵂:

عند وفاة أسعد بن زرارة أبي أمامة بعد الهجرة بتسعة أشهر أوصى ببناته فارعة وحبيبة وكبشة إلى النبي ﷺ،[٢] فزوَّج النبي ﷺ الفارعة نبيط بن جابر من بني مالك، فلما كانت الليلة التي زفت فيها قال لهم النبي ﷺ: قولوا: أتيناكم أتيناكم، فحيونا نحييكم، فولدت لنبيط عبد الملك، فسماه رسول الله ﷺ، وبرك فيه. وجاءت إلى النبي ﷺ رعاث من ذهب، فحلى أختيها: حبيبة وكبشة منها، فلم يؤخذ منها صدقة. وكانت الفريعة أكبر بنات أسعد بن زرارة من المبايعات.

عن عائشة قالت: أُهدينا يتيمة من الأنصار، فلما رجعنا قال رسول الله ﷺ: ما قلتم؟ قلنا: سلمنا وانصرفنا. قال: إن الأنصار قوم يعجبهم الغزل،

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٧٠.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج١/٣٧٤.

ألا قلت يا عائشة: أتيناكم أتيناكم، فحيونا نحييكم، وهذه اليتيمة هي الفارعة بنت أسعد بن زرارة.(١)

فاضلة امرأة عبد الله بن أنيس ﷺ:

قالت: خطبنا رسول الله ﷺ، فحث على الصدقة، فبعثت إليه بحلي لي، وقلت: هو صدقة لله ﷻ، فرده، وقال: إني لا أقبل صدقة من امرأة إلا بإذن زوجها، فبعثت إليه به مع زوجي، فقال: هو لها يا رسول الله؛ ورثته من أبيها، فقبله.(٢)

ولا شك أن هذا التصرف فيه تطييب لخاطر الزوج، ويولد قناعة عنده في إمضاء صدقتها وقبول ذلك، وإن كانت تملك ذلك دون إذنه، وهذا يؤدي لمزيد من الوفاق والتراحم بين الزوجين، ولعل هذا ما هدف له النبي ﷺ.

ليلى الغفارية ﷺ:

كانت تخرج مع النبي ﷺ في مغازيه، تداوي الجرحى، وتقوم على المرضى.

حدثت ليلى الغفارية قالت: كنت أغزو مع النبي ﷺ، فأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى.(٣)

جميلة بنت أبي الأقلح ﷺ:

أخت عاصم بن أبي الأقلح، زوج عمر، تكنَّى أم عاصم (نسبة إلى عاصم ابن عمر ﷺ). تزوجها عمر سنة سبع، فولدت له عاصمًا، كان اسمها عاصية، فأسلمت، فأتت عمر، فقالت: قد كرهت اسمي، فسمني، فقال:

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٧٤؛ وللروايات شواهد عند الحاكم في المستدرك وغيره.
(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٧٦.
(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٠٢.

أنت جميلة، فغضبت، وقالت: ما وجدت اسما تسميني به إلا اسم أمة، فأتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله؛ إني كرهت اسمي، فقال: أنت جميلة، فغضبت، وذكرت قول عمر، فقال: أما علمت أن الله عند لسان عمر.

أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها:

وأمها رقيقة بنت خويلد بن أسد، أخت خديجة، روت أنها بايعت النبي ﷺ في نسوة،[١] فقال لنا: فيما استطعتن وأطقتن، قلنا: الله ورسوله أرحم منا بأنفسنا. ولفظه: (أتيت رسول الله ﷺ في نسوة يبايعنه، فقلن: يا رسول الله؛ على ألا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف. فقال رسول الله ﷺ: "فيما استطعتن وأطقتن"، فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هلم نبايعك يا رسول الله، فقال: "إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة").[٢]

أم رعلة رضي الله عنها:

في حديث ابن عباس ((أن امرأة يقال لها: رعلة القشيرية وفدت على النبي ﷺ، وكانت امرأة ذات لسان وفصاحة، فقالت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، إنا ذوات الخدور، ومحل أزر البعول، ومربيات الأولاد، ولا حظَّ لنا في الجيش، فعلمنا شيئًا يقربنا إلى الله ﷻ، فقال:

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الجامع، باب ما جاء في البيعة، ص ٨٣٧؛ ورواه الترمذي في صحيحه، باب ما جاء في بيعة النساء، ج١٥١/٤، ح برقم: ١٥٩٧؛
ورواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي، جماع أبواب الرعاة، باب كيف يبايع النساء؛ وانظر: ابن حجر، الإصابة، ج٢٤٠/٤.

(٢) رواه الترمذي في صحيحه، باب ما جاء في بيعة النساء، ج١٥١/٤، ح برقم: ١٥٩٧؛
وانظر: ابن حجر، الإصابة، ج٢٤٠/٤.

عليكن بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، وغض البصر، وخفض الصوت. الحديث. وفيه: قالت: يا رسول الله؛ إني امرأة مقينة أقين النساء، وأزينهن لأزواجهن، فهل هو حَوب فأثبط عنه؟. فقال لها: يا أم رعلة؛ قينيهن وزينيهن إذا كسدن)).[1] كانت هذه التعليمات والتوجيهات رحمة لعامة النساء، وليست لأم رعلة وحدها.

أم زفر الحبشية (السوداء الطويلة) ﵂:

ثبت ذكرها في صحيح البخاري عن عطاء قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ، فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك. فقالت: أصبر، وإني أتكشف، فادع الله ألا أتكشف، فدعا.[2]

كان ﷺ بها رحيمًا، وهي التي وقف على قبرها حين علم بوفاتها بالليل، وأنها دفنت دون أن يشعروه ﷺ.

* * * * *

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٥٠.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٥٣؛
محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج٣/١٠ ـ ١١؛
العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز في العصر النبوي، ص ٢٦١.

رحمته ﷺ بالضعفاء:

الضعفاء أو المستضعفون في المجتمعات فئات مختلفة، يتقوى عليهم ويستضعفهم الناس، والضعف ينتج عن عدة عوامل، إما دائمة أو مؤقتة، وقد وجدت تشريعات إسلامية مختلفة لحفظ حقوق هذه الفئات من المجتمع، طبقها الرسول ﷺ، وأخذتها الأمة من بعد عملاً وتطبيقًا إلى يومنا الحاضر.(١)

ومن أسباب الضعف: صغر السن، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ [البقرة].

وقد جمعت آية النساء الرجال والنساء والولدان في الضعف، في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء].

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النساء].

ولعل من يُستضعف من الرجال هم فئة معينة، ممن لا حيلة لهم بسبب الحرب أو الرق أو الفقر أو المرض، أو غير ذلك، وقد جمعت آية كريمة عددًا من المستضعفين مع غيرهم في قوله ـ تعالى ـ:﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى

(١) انظر: سلامة الهريفي البلوي، رعاية الضعفاء في الحضارة الإسلامية، الشارقة: المنتدى الإسلامي ١٤٣٥هـ.

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [النساء].

وقد كان في المجتمع الذي عايشه الرسول ﷺ في مكة وفي المدينة من يحكم عليه بالضعف، ومنهم: الأرقاء والخدم وصغار السن والنساء والعجائز والشيوخ، وقد يكون منهم الوالدان والفقراء والمساكين والأيتام والأسرى، وغيرهم، ولكل من هؤلاء الفئات من المجتمع مواقف رحمة وعطف من النبي ﷺ، يُستأنس بها، ويُقتدى به.

وكان مبدؤه ﷺ العطف والرحمة وعدم الإيذاء لأحد في مبدأ عام، قالت عائشة رضي الله عنها: ((ما ضرب شيئًا قط، ولا ضرب امرأة ولا خادمًا)).(١)

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلاةَ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ، وَلا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ)).(٢)

كما كان يدعو إلى احترام حقوق الضعفاء العاجزين عن أخذها أحيانًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((اللهم إني أحرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة)).(٣)

---

(١) من رواية مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباعدة النبي ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، ج٧/٨٠.

(٢) رواه النسائي في سننه، في كِتَاب الْجُمُعَةِ، بَاب مَا يُسْتَحَبُّ مِنْ تَقْصِيرِ الْخُطْبَةِ، ج٣/١٠٨؛ ورواه الدارمي في سننه، باب في تواضع رسول الله ﷺ، ج١/٣٥.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ج٢/٢٣٩؛ وابن ماجه في مسنده، ج٢/١٢١٣، ح برقم: ٣٦٧٨.

((كان رحيمًا، وكان لا يأتيه أحد إلا وعده وأنجز له)).[١] وفي الغالب هؤلاء من المحتاجين.

وقد يكون الضعف مؤقتًا ومرحليًّا، ((كان ﷺ يتخلف في المسير، فيزُجي الضعيف ويُردف، ويدعو لهم)).[٢]

وعن ابن عباس ﷺ قال: (لما قدم النبي ﷺ مكة استقبلته أغيلمة بني عبد المطلب، فحمل واحدًا بين يديه، وآخر خلفه).[٣] ولذلك فقد كان ﷺ واسع الرحمة بالأطفال والنساء والضعفاء، وسيأتي أمثلة تفصيلية عن ذلك.

رحمته ﷺ بالصغار:

كان ﷺ أرحم الناس بالصبيان والعيال،[٤] فعن أبي هريرة ﷺ قال: ((قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد، ما قبلت منهم أحدًا. فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: من لا يرحم لا يرحم)).[٥]

وروى عن عبد اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ

(١) انظر: الألبانى، صحيح الجامع، ج٢/٨٧٢، ح برقم: ٤٨٢٥.

(٢) رواه أبو داود في سننه، باب في لزوم الساقة، ح برقم: ٢٦٣٩، ص ٤٦٣، وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العمرة، باب استقبال الحاج القادمين والثلاثة على الدابة، ج٢/٢٠٤.

(٤) انظر: مجموعة من الأحاديث عند مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب قرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به، ج٧/٧٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج٧/٧٤.

شُجْنَةٌ[١] مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ)).[٢]

سمع بكاء صبي وهو في الصلاة، فخفف صلاته، كيلا تفتن أمه التي كانت تصلي وراءه. فقد ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أنه قال: ((ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي ﷺ، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه)).[٣]

ويتجلى في هذا رحمة النبي ﷺ، وخاصة بالضعفة من النساء الأمهات اللاتي تحترق قلوبهن على أطفالهن، وكذلك بهؤلاء البكَّائين من الصغار، وملاحظته ومراعاته ﷺ للجميع؛ رحمة بهم. إنه إحساس مرهف، وقلب مفعم بالحب والرأفة والشفقة.

كما أن هناك مواقف متعددة أبكت النبي ﷺ على هؤلاء الصغار، واستدرت عطفه ورحمته، روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((دخلنا مع رسول اللهﷺ على أبي سيف القين، وكان ظئرًا لإبراهيم، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم، فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان. فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟! فقال: "يا ابن عوف؛ إنها رحمة"، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ:

---

(١) الشجنة: عروق الشجر، وقيل: الأغصان المتشابكة، وقيل: الطرق والأودية التى يدخل بعضها في بعضها، ومنه قولهم: الحديث ذو شجون، أي: متداخل بعضها في بعض (ابن منظور، لسان العرب، ج١٣/٢٣٢).

(٢) رواه الترمذى في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، ح برقم: ١٩٢٤، ج٤/٣٢٣، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، أبواب: (صلاة الجماعة والإمامة)، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ج١/١٧٣.

إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)).[١]

كان ﷺ يُقعد أسامة بن زيد على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما، ويقول: ((اللهم ارحمهما، فإني أرحمهما)).[٢] إن في هذا تصريحاً واضحًا بالرحمة، ومحبة مفعمة لهما.

وقد بكى ﷺ، وعُرِف بكاؤه لموت ابن ابنته زينب. فعن أسامة قال: كان ابن لبعض بنات النبي ﷺ يقضي، فأرسلتْ إليه أن يأتيها، فأرسل: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل إلى أجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب. فأرسلت إليه، فأقسمت عليه، فقام رسول الله ﷺ، وقمت معه ومعاذ بن جبل وأُبي بن كعب وعبادة بن الصامت. فلما دخلنا ناولوا رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تقلقل في صدره، حسبته قال: كأنها شنة، فبكى رسول اللهﷺ، فقال سعد بن عبادة: أتبكي؟ فقال: ((إنما يرحم الله من عباده الرحماء)).[٣]

وعن ابن عباس ﷺ قال: أخذ رسول الله ﷺ ابنة له تقضي، فاحتضنها، فوضعها بين يديه، فماتت وهي بين يديه، وصاحت أم أيمن. فقال يعني النبيﷺ: ((أتبكين عند رسول الله؟ فقالت: ألست أراك تبكي. قال: إني

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قوله ﷺ إنا بك لمحزونون، ج٢/٨٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب وضع الصبى على الفخذ، ج٧/٧٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ج٧/١٨٦؛ وانظر رواية مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب (البكاء على الميت)، ج٣/٤٥.

لست أبكي، إنما هي رحمة، إن المؤمن بكل خير على كل حال، إن نفسه تنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله ﷻ)).[١]

وقد أشارت بعض الروايات إلى أنه لما أصيب زيد بن حارثة ﷺ،أتى النبي ﷺ داره، فجهشت زينب بنت زيد في وجهه بالبكاء، فبكى.[٢]

كانت الصلاة، والخشوع فيها وتأديتها على التمام دون شاغل، من أكثر ما يهم النبي ﷺ والمسجد واحترامه. وقد منع البيع والشراء أو إنشاد الضالة فيه، ومع ذلك فللأطفال وضعهم الخاص مع النبي ﷺ، حتى في صلاته ومسجده، فقد ورد عن أبي قتادة الأنصاري ﷺ: ((أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن الربيع بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها)).[٣]

كما روى عبد اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلاتَي الْعِشَاءِ، وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَضَعَهُ ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلاةِ، فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ

---

(١) رواه الترمذى في مختصر الشمائل، وصححه الألبانى في تحقيقه؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، (مُسْنَد الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ)، مُسْنَد الْمَكِّيِّينَ، مسند ابن عباس، ج١/٢٦٨.

(٢) انظر: تخريج الروايات عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج١/٢٣٠.

(٣) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب الصلاة، أبواب (سترة المصلي)، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، ج١/١٣١.

أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: ((كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي[١]، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ)).[٢]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((رأيت النبي ﷺ حاملاً الحسن بن عليٍّ على عاتقه، ولعابه يسيل عليه)).[٣]

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: ((كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقَّي بصبيان أهل بيته. قال: وإنه قدم من سفر، فسبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة، فأردفه خلفه. قال: فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة)).[٤]

كان ﷺ يداعب الصبيان، ويدخل السرور عليهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله ﷺ يدخل علينا ولي أخ صغير يُكنى أبا عُمير، وكان له نغر[٥] يلعب به، فمات، فدخل عليه النبي ﷺ ذات يوم، فرآه حزينًا، فقال: "ما شأنه؟" قالوا: مات نغره، فقال: "يا أبا عمير ما فعل النغير")).[٦]

---

(١) أي: ركب على ظهري.

(٢) رواه النسائي في سننه، كِتَاب التَّطْبِيق، بَاب هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ سَجْدَةٌ أَطْوَلَ مِنْ سجدة؟، ج٢/٢٢٩؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، حديث شداد بن أوس، ج ٣/٤٩٣.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة وسننها، أبواب التيمم: (باب اللعاب يصيب الثوب)، ح برقم: ٦٥٨، ج١/٢١٦؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة، ج٢/٤٤٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، ج٧/١٣٢.

(٥) النغر: وهو ما يعرف عند الناس بالتغري، وهو البلبل عند أهل المدينة، (ابن منظور، لسان العرب، ج٥/٢٢٣).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، ج٧/١١٩.

وتروي زينب بنت أبي سلمة ربيبة رسول الله ﷺ، وأمها أم سلمة بنت أبي أمية، ولدت بأرض الحبشة، تزوج النبي ﷺ أمها وهي ترضعها، وقد تزوجها وكانت ترضع زينب، كان اسمها برة، فغيره النبي ﷺ. ذكرت أنه كان رسول الله ﷺ إذا دخل يغتسل تقول أمي: ادخلي عليه، فإذا دخلت نضح في وجهي من الماء، ويقول: ارجعي. قالت: فرأيت زينب وهي عجوز كبيرة ما نقص من وجهها شيء. وفي رواية ذكرها أبو عمر: فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وعمرت.[١]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال له: ((يا ذا الأذنين))[٢] بضم الذال، ويسكن، وهذا القول من جملة مداعباته ﷺ ولطيف أخلاقه، فمزاحه معه لكونه صغيرًا.

روى الزهري عن محمود بن الربيع قال: (عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو).[٣]

ولفقه البخاري، فقد وضع في صحيحه باب (التسليم على الصبيان)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مر على صبيان، فسلم عليهم، وقال: (كان النبي ﷺ يفعله).[٤]

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣١٧.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، ص ٩٠٤، برقم: ٥٠٠٢؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في المزاح، ج٥/٦٨١، ح برقم: ٣٨٢٨، ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، ص ٩٠٥، ح برقم: ٥٠٠٢.

(٣) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب العلم، باب متى يصح سماع الصغير، ج١/٢٧؛ ورواه ابن ماجه، في سننه، كتاب الطهارة وسننها، أبواب (التيمم)، باب المج في الإناء، ج١/٢١٦، ح برقم: ٦٦٠.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم على الصبيان، ج٧/١٣١.

وكان ﷺ يهتم بحديثي الولادة، وينالون من رحمته وعطفه ودعائه، وكان ذلك يدخل السرور على والديهم.

فعن أنس بن مالك قال: ((ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة الأنصاري إلى رسول الله ﷺ حين ولد، ورسول الله ﷺ في عباءة يهنأ بعيرًا له، فقال: هل معك تمر؟ فقلت: نعم، فناولته تمرات، فألقاهن في فيه، فلاكهن، ثم فغر فا الصبي، فمجَّه في فيه، فجعل الصبي يتلمظه. فقال رسول الله ﷺ: حب الأنصار التمر، وسماه عبد الله)).[1]

وقد كان من يعي من صغار الفتيان والفتيات محل عناية خاصة منه ﷺ، روى سهل بن سعد الساعدي: ((أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء"؟. فقال الغلام: لا والله، لا أوثر بنصيبي منك أحدًا. قال: فتله رسول الله ﷺ في يده)).[2]

وهذا الغلام هو عبد الله بن عباس ﷺ، وكان فتى صغيرًا، لكنه يفقه ويعرف فضل أثر النبي ﷺ في الإناء وغيره.

عن أم خالد بنت خالد: أُتيَ النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: ((من ترون أن نكسو هذه؟)) فسكت القوم. قال: ائتوني بأم خالد. فأتي بها تحمل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها، وقال: ((أبلي وأخلقي)).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه وجواز تسميته يوم ولادته، ج٦/١٧٤؛ وانظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب الوسم والعلم في الصورة، ج٦/٢٣٢.

(٢) رواه الإمام مالك في موطَّئِهِ، كتاب الجامع، باب السنة في الشرب ومناولته عن اليمين، ص ٨٠١.

وكان فيها علم أخضر أو أصفر، فقال: ((يا أم خالد، هذا سناه))، وسناه بالحبشية حسن،[١] وأم خالد هي بنت خالد بن سعيد بن العاص.[٢]

إن الكسوة للصغار تفرحهم، وتشعرهم بالرحمة والعطف والحنان.

والكسوة عمومًا للمساكين هي من أبواب الكفارات الواردة، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة].

كما كان ﷺ حسن المعشر، رحيمًا بالصغار من الجواري، لطيفًا معهن.

عن عائشة ﵂ قالت: دخل عليّ رسولُ الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاث، فاضطجع على الفراش، وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ! فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: ((دعهما))، فلمّا غفل غمزتهما فخرجتا.

وفي رواية: دخل أبو بكر، وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بُعاث. قالت: وليستا بمغنيتين. فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: ((يا أبا بكر، إنّ لكلّ قوم عيدًا وهذا عيدنا)).[٣]

---

(١) رواه البخارى في صحيحه، كتاب اللباس، باب الخميصة السوداء، ج٧/٤٢.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٤٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العيدين، باب (الحراب والدرق يوم العيد)، ج٢/٢؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، ج٣/٤٨.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: أبصر النبي ﷺ نساءً وصبيانًا مقبلين من عرس، فقام ممتنًّا، فقال: ((اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ)).[١].

وعن عائشة ﷺ قالت: (كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيسربهن[٢] إليَّ، فيلعبن معي).[٣]

رحمته ﷺ بالأيتام:

عَرَفَ ﷺ اليتم منذ صغره، حيث ولد يتيمًا، ونشأ ﷺ يتيمًا لأبويه جميعًا، وقد أشار الله ﷻ إلى ذلك وذكره به في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الضحى]، ثم أوصاه باليتيم في نفس السورة بقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾ [الضحى].

وعدَّ إكرام اليتيم حسنة، حيث لام الله ﷻ الذين لا يكرمونه، في قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر].

ورغَّب في الإحسان إلى اليتيم القريب فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ [البلد].

كما أشار إلى أن دفع اليتيم، والقسوة معه وإيذاءه موعود من الله بشدة العذاب، وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ [الماعون].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار ﷺ، ج٧/١٧٤.

(٢) أي: يرسلهن.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، ج٧/١٠٢.

وعد اليتيم في صف المستضعفين، حين ذكره مع المساكين في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسان].

وكثيرًا ما يتعرض الأيتام للظلم في أنفسهم وفي أموالهم، ولذا أوصى ﷺ بالمحافظة على أموال اليتيم، الذي كثيرًا ما كان يستضعف، ويؤكل حقه من المال، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء].

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء].

كما أكد على تربيتهم ومتابعتهم وامتحانهم وحفظ أموالهم ودفعها لهم حين يحسنون التعامل بها، وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء].

وأكد هنا على الأولياء "فليستعفف" أي: يعف عن مال اليتيم، ويمتنع من أكله "ومن كان فقيرًا فليأكل" منه "بالمعروف" بقدر أجرة عمله.

كما أكد على الإصلاح لهم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [البقرة].

وقد عايش ﷺ عددًا من الأيتام، سواء أيتام للأبوين أم لأحد منهما، حيث كانت بناته يفتقدن الأم، فكان نعم الراعي لهن، عوضهن ما افتقدنه.

كما تزوج من أم سلمة ﵂ وهي أم لأيتام، فرعاهم رحمة بهم، وأحسن إليهم.

وقد عايش أبناء عدد من الصحابة ممن فقدوا أباءهم، جمع بعضهم بين اليتم والقرابة، كأبناء جعفر بن أبي طالب ﵁، حيث رَغِبَ في الزواج من أمهم أسماء بنت عميس ﵂، فلما اعتذرت بأدب؛ خشية من عدم القيام بحق النبي ﷺ، زوَّجها من أبي بكر الصدِّيق ﵁،[1] وكان أحب الناس إليه؛ ولما يعلمه من قدرته على القيام بحق هؤلاء الأيتام، كما كان يتابعهم بالرعاية والدعاء والتربية ﷺ، كما عايش أبناء غيرهم من أبناء شهداء الصحابة، فكان مثالاً عاليًا للرفق بهم والإحسان إليهم.

وقد جاءت أسماء بنت عميس ﵂ بولديها: عبد الله ومحمد ابني جعفر ابن أبي طالب ﵁ إلى رسول الله ﷺ، وذكرت يتمهما، فقال ﷺ: ((آلعيلة تخافين عليهما وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟!)).[2]

كان هذا الموقف المطمئن للأم برعايته ﷺ لأبنائها الأيتام أعظم رحمة وكفالة لهما ﵄.

ويدخل في حكم الأيتام مجهولو الأبوين من اللقطاء، أو من في حكمهم ممن لا عائل لهم، وخصوصًا الصغار منهم ممن ظلموا بجهل الأبوين أو كليهما، كما فعل مع طفل الغامدية التي ورد فيها: ((فجاءت الغامدية، فقالت: يا رسول الله؛ إني قد زَنَيْت، فَطَهِّرْني. وإنه رَدَّها، فلمَّا كان الغَد قالت: يا رسول الله؛ لِمَ تَرُدّني؟ لعلك أن تَرُدّني كَما رَدَدْتَ مَاعزًا؟ فو الله

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٣١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الساعي على الأرملة، ج٧/٧٦.

إني لَحُبْلَى. قال: إمَّا لا فاذْهبي حَتى تَلِدِي، فلمَّا وَلَدتْ أتَتْه بالصَّبِيّ في خِرْقَة، قالت: هذا قد وَلَدْتُه. قال: اذْهَبي فأرْضِعِيه حتى تَفْطِمِيه، فلمَّا فَطَمَتْه أتته بالصَّبي في يَده كِسْرة خُبْز، فقالت: هذا يا نَبِيّ اللّه قد فَطَمْتُه، وقد أكل الطَّعام، فَدَفع الصبي إلى رَجل من المسلمين، ثم أمَرَ بهَا فَحُفِر لَهَا إلى صَدْرِها، وأمَرَ الناس، فَرَجَمُوها)).[1]

وفي روايات أخرى أنها حينما أتت النبي ﷺ قالت: (فوا اللّه إني حبلى من الزنا ..!! فقال لها النبي ﷺ بعدما علم أنها حبلى من الزنا: "اذهبي حتى تضعيه". فوضعته، وفي أول يوم أتت به، وقد لفَّته في خرقة، وقالت: يا رسول اللّه؛ طهرني من الزنا، فنظر النبي ﷺ إلى طفلها، وقلبه يتفطر عليه ألمًا وحزنًا، من يُرضع الطفل إذا أقمنا عليها الحد؟! من يقوم بشؤونه؟! فقال لها: ارجعي، وأرضعيه، فإذا فَطَمْتيه فعودي إليّ، فذهبت إلى بيت أهلها، فأرضعت طفلها حتى فَطَمْتِهِ، وما يزداد الإيمان في قلبها إلا رسوخًا، وتأتي به وفي يده كسرة خبز يأكلها، فقالت: يا رسول اللّه؛ قد فطمته فطهرني، فأخذ ﷺ طفلها وقال: "من يكفل هذا وهو رفيقي في الجنة كهاتين"؟).[2]

ولا شك أن الرسول ﷺ تمثل في تصرفه معهم تلك الآيات القرآنية، كما صدر عنه ﷺ أحاديث مختلفة، تؤكد ما جاء في الآيات بمعانٍ مختلفة، فقد

---

(١) انظر رواية مسلم في صحيحه، كتاب الْحُدُودِ، بَاب مَنِ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ الزِّنَا، ج١١٦/٥.

(٢) انظر رواية البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيمًا؛ ج٧٦/٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الْحُدُودِ، بَاب مَنِ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ الزِّنَا، ج١٢٠/٥؛ وانظر: الترمذي في سننه، كتاب الحدود عن رسول ﷺ، باب تربص الرجم بالحبلى حتى تضع، ج٤٢/٤، ح برقم: ١٤٣٥.

قال ﷺ: ((أنا وكافل اليتيم كهاتين، وأشار بأصبعيه: السبابة والوسطى)).[1]

رحمته بالفقراء والمساكين:

الفقر والمسكنة آفة وضعف، تتطلب وقوف المستطيعين مع المحتاجين ماليًّا أو معنويًّا، ولذلك جاءت الآيات القرآنية مؤكدة للوقوف مع ذوي الحاجة، سواء كان الوقوف علنًا أم سرًّا، ولا شك أن الرسول ﷺ طبق ما يرتبط بتلك الأوامر، ونفذ عمليًّا ما أمره الله وأمر عباده به، كما ورد في ذلك عنه الكثير من الأحاديث النبوية.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة].

كما جاء التأكيد على المتعففين من الناس المستترين، الذين يظنهم الناس أغنياء، وليسوا كذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾[البقرة].

كما خص فقراء المهاجرين الذين ذهبت أموالهم نصرة لله ورسوله، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيمًا، ج٧/٧٦؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في رحمة اليتيم وكفالته، ج٤/٣٢١، ح برقم: ١٩١٨.

فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الحشر].

والفقر والحاجة قد يكونان مؤقتين لظروف السفر وما ماثلها، وهو ما عرف بابن السبيل، فورد الحثُّ على القيام بحاجته، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾[الإسراء].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾[البلد].

وجعل القرآن إطعام المساكين من القربات، ومنعهم من السيئات، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ ﴾ [الماعون].

وجاءت الآيات لتحديد ذوي الحاجة ممن يحق صرف الصدقات لهم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[التوبة].

وقد كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَأْنَفُ وَلا يَسْتَكْبِرُ أَنْ يَمْشِي مَعَ الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، فَيَقْضِي لَهُ حَاجَتَهُ.(١)

كما ورد: (أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله؛ إن لي إليك حاجة، فقال: يا أم فلان؛ انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك؟ فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها).(٢)

وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف: ((أن مسكينة مرضت، فأُخبر رسول

---

(١) انظر: سنن الدارمى، المقدمة، باب في تواضع رسول الله ﷺ ص ٣٥؛ وسنن النسائى، كتاب الجمعة، باب ما يستحب من تقصير الخطبة، ج١٠٨/٣؛ وتاريخ دمشق لابن عساكر، (حرف الألف)، ذكر (من اسمه أَحْمَد ومُحَمَّد والحاشر والمقفى والعاقب)، باب جامع فِى صفة أحواله ومعرفة أفعاله وأقواله، مخطوط، ج٣٧١/١، ٥١٢.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به، ج٧٩/٧.

الله ﷺ بمرضها، وكان رسول الله ﷺ يعود المساكين، ويسأل عنهم؛ فقال رسول الله ﷺ: إذا ماتت فآذنوني فأُخرج بجنازتها ليلاً، وكرهوا أن يوقظوا رسول الله ﷺ، فلما أصبح رسول الله ﷺ أُخبر بالذي كان منها، فقال: ألم آمركم أن تؤذنوني بها؟ قالوا: يا رسول الله؛ كرهنا أن نوقظك ليلاً، فخرج رسول الله ﷺ حتى صف بالناس على قبرها، وكبر أربع تكبيرات)).[1]

وبلغت معاملته ﷺ للأرقاء، ووصاياه فيهم حدًّا لم يعرفه التاريخ، وكل ذلك دليل على ما اتصفت به نفسه الكبيرة من معاني الرحمة والشفقة.

رحمته ﷺ بالنساء:

النساء نصف المجتمع، وشقائق الرجال وأمهاتهم، وقد عايش الرسول ﷺ زوجات وبنات وصحابيات وبنات صغيرات وكبيرات، وسيأتي الحديث عنهن في مواضع لاحقة، وحديثنا هنا عن عامة النساء.

فالحديث عن النساء في الأمم السابقة واستضعافهن ورد في آيات متعددة. من ذلك الحديث عن نساء بني إسرائيل في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة].

كما سميت سورة من سور القرآن بالنساء، وقد وردت فيها وفي غيرها من السور لفظة النساء في العديد من الآيات، التي عالجت حقوقهن وما يرتبط بهن، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ

(١) رواه النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب الإذن بالجنازة، ج٤/٤٠؛ وانظر: ابن ماجه في سننه، ج١/٤٨٩، ح برقم: ١٥٢٨ و ١٥٢٩.

مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ [النساء].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ ﴾ [البقرة].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾ [البقرة].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ [البقرة].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ ﴾ [النساء].

وقد وضع مسلم في صحيحه بابًا (في رحمة النبي ﷺ للنساء ...).[1]

وفي الحديث عن النساء تأتي الوالدة[2] ضمن أكثر الناس حقوقًا على الإنسان، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي بالنساء، وأمر السواق مطاياهن بالرفق، ج٧/٧٨.

(٢) تعرضنا لشيء من الحديث عن الوالدة عند الحديث عن ذوي القربى.

ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ [البقرة].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [النساء].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ [الأنعام].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ [الإسراء].

ولكون النساء ضمن المستضعفين فقد كان ﷺ يراعي أحوالهن، كما ذكرنا سابقًا فقد رويَ عن أُمَيْمَةَ بِنْتَ رُقَيْقَةَ أنها قالت: (بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ، فَلَقَّنَنَا: "فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ". قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ بَايِعْنَا. قَالَ: "إِنِّي لا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لامْرَأَةٍ، قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ").[1]

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٧٠؛ والحديث من رواية الإمام مالك في الموطأ، كتاب الجامع، باب البيعة، ص ٨٣٧.

الزوجات:[١]

إحدى أكثر النساء التصاقًا بالرجال، وكانت تتعرض للأذى والإهانة في كثير من بيئات العرب، فيعتدى عليها، ويسلب حقها ومالها، فجاءت الشريعة لحفظ حقوق الزوجات بتشريعاتها المتعددة الواضحة،[٢] التي حفظتها الآيات القرآنية المختلفة، منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ [النساء].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ [البقرة].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِى

---

(١) تعرضنا بالتفصيل للحديث عن تعامله ﷺ مع أمهات المؤمنين.

(٢) أُلِّفت الكثير من الكتب عن حقوق المرأة في الإسلام مما يصعب حصره.

أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾[البقرة].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾[البقرة].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌۢ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾[النساء].

وقد كان للنساء وضعهن الخاص في الحروب، حيث رأى ﷺ أنهن مستضعفات، فنهى عن قتلهن، ووضعهن في صف الأطفال والشيوخ. وقد وضع الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير)، باب (تحريم قتل النساء والصبيان).(١)

وقد روي أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْض مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَقْتُولَةً، فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ.(٢)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان، ج٥/١٤٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، ج ٥/١٤٤؛

وانظر: سنن الترمذي، كتاب السير عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في النهي عن قتل النساء والصبيان، ج٤/١٣١، ح برقم: ١٥٦٩.

وفي رواية أخرى أنه مرّ بعد انتهاء إحدى المعارك بجثة امرأة مقتولة، فغضب وقال: ((ألم أنهكم عن قتل النساء؟ ما كانت هذه لتقاتل!)).[١]

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((انطلقوا باسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله ﷺ، لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلاً صغيرًا، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين)).[٢]

وعن ابن عباس ﷺ قال: ((كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: اخرجوا باسم الله تعالى، تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع)).[٣]

وعن ابن كعب بن مالك: ((أن النبى ﷺ حين بعث إلى ابن أبي الحقيق بخيبر نهى عن قتل النساء والصبيان)).[٤]

وعَنِ الأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَظَفِرَ بِالْمُشْرِكِينَ، فَأَسْرَعَ النَّاسُ فِي الْقَتْلِ حَتَّى قَتَلُوا الذُّرِّيَّةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ ذَهَبَ بِهِمْ الْقَتْلُ حَتَّى قَتَلُوا الذُّرِّيَّةَ؟ أَلا لا تُقْتَلَنَّ ذُرِّيَّةٌ ثَلاثًا)).[٥]

وعن الأسود بن سريع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تقتلوا الذرية في الحرب، فقالوا: يا رسول الله؛ أوليس هم أولاد المشركين؟ قال: أوليس

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، ص ٤١٩، ح برقم: ٢٦٦٨.
(٢) انظر: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، ص ٤٥٨، ح برقم: ٢٦١٤.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) رواه الإمام مالك في الموطأ، كِتَاب الْجِهَادِ، بَاب النَّهْيِ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ، ص ٣٥٩.
(٥) رواه الإمام مالك في الموطأ، كِتَاب الْجِهَادِ، بَاب النَّهْيِ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ، ص ٣٥٩.

خياركم أولاد المشركين)).[١]

عن ابن عمر رضي الله عنه: ((أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي النَّبِيِّ ﷺ مَقْتُولَةً، فَأَنْكَرَ (وفي رواية للبخاري: فنهى)[٢] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ)).[٣]

لقد كانت رحمته بالمستضعفين عامة، ولذلك فإنه ﷺ نهى عن إيذائهم وقتلهم حتى لو كانوا في صفوف الكفار.

رحمته ﷺ بالأرقَّاء والخدم:

الأرقاء كانوا منتشرين في مكة والمدينة، بل كان بعضهم في بيت النبي ﷺ نفسه في مكة والمدينة، وأنه ﷺ كان مثالاً في سمو التعامل والرحمة والعطف عليهم والواقعية معهم، وكانت آخر وصاياه عند وفاته، بما ملكت الأيمان: ((أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم))،[٤] وفي رواية لأم سلمة: (حتى جعل يجلجلها في صدره، وما يفيض بها لسانه).[٥]

وكانت أم أيمن حاضنة النبي ﷺ من أولئك الموالي، وعدَّها أمًّا له.[٦]

كما كان زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى النبي ﷺ قريبًا منه، محبوبًا له،

---

(١) رواه أحمد في مسنده، من حديث الأسود بن سريع، ج٤/٢٤، ج٣/٤٣٥.

(٢) صحيحه، كتاب الجهاد، باب قتل النساء في الحرب، ج٤/٢١.

(٣) البخاري، صحيحه، كتاب الجهاد، باب قتل النساء في الحرب، ج٤/٢١، (سبق تخريجه).

(٤) انظر: الذهبي، السيرة النبوية، ص ٥٥٧؛ وانظر: أبا تراب الظاهري، ذهول العقول بوفاة الرسول ﷺ، ص ٣٣؛ وانظر: رواية عائشة عند البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٠.

(٥) رواه النسائي، (انظر تخريجه) في ذهول العقول بوفاة الرسول ﷺ، ص ٣٣.

(٦) تعرضنا للحديث عنها عند الحديث عن ذوي القربى.

أعتقه ﷺ وجعله ابنًا له إلى أن نُهي عن ذلك بعد نزول قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ [الأحزاب]. وقد بلغ من رحمته ﷺ به وعطفه عليه أن فَضَّل زيد البقاء عنده على اللحاق بأهله بعد أن عرفوه، وحاولوا اصطحابه معهم ـ كما مرَّ ذكره ـ.(١)

((كان النبي ﷺ يقول للخادم: ألك حاجة؟)).(٢)

وفي المدينة كان ﷺ يوجه من يرى من الصحابة له تصرفًا قاسيًا مع مولاه، فعن أبي مسعود البدري الأنصاري ﷺ قال: ((كنت أضرب غلامًا لي، فسمعت من خلفي صوتًا: (اعلم أبا مسعود) لله أقدر عليك منك عليه. فالتفتُّ فإذا هو رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله؛ هو حر لوجه الله. فقال: أما لو لم تفعل، للفحتك النار، أو لمستك النار)).(٣)

وقد وضع مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب (صحبة المماليك، وكفارة من لطم عبده).(٤)

وقد ورد أن ابن عمر دعا بغلام له، فرأى بظهره أثرًا، فقال له: أوجعتك؟ قال: لا، قال: فأنت عتيق، قال: ثم أخذ شيئًا من الأرض، فقال: ما لي فيه

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج١/٥٦٣.

(٢) رواه أحمد في مسنده، حديث خادم النبي ﷺ، ج٣/٥٠٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده، ج٥/٩٠.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده، ج٥/٩١.

من الأجر ما يزن هذا. إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من ضرب غلامًا له حدًّا لم يأته، أو لطمه فإن كفارته أن يعتقه)).(١)

وحينما حاصر ﷺ الطائف، نزل بعض رقيقها إلى المسلمين، فأعلنوا إسلامهم، فأعتقهم الرسول ﷺ.(٢)

وأما خدم النبي ﷺ فأشهرهم أنس بن مالك ﷺ الذي قال: (خدمت النبيﷺ عشر سنين، فما قال لي: أفّ، ولا لم صنعت؟، ولا ألا صنعت).(٣)

وعنه أيضًا قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن النَّاس خلقًا، فأرسلنى يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسى أن أذهب لما أمرنى به رسول الله ﷺ، فخرجت حتى أمرَّ على صبيان، وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائى، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: ((يا أنيس؛ ذهبت حيث أمرتك؟ قلت: نعم؛ أنا أذهب يا رسول الله)).(٤)

روى أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاؤوه في الغداة الباردة، فيغمس يده فيها. وقالت عائشة ﷺ: (ما ضرب شيئًا قط، ولا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده، ج٥/٩٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري (فتح الباري)، ج ١٦/١٦١؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٤٨٥؛ والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٥/٥٦٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ج٧/٨٢.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، ج٧/٧٣.

ضرب امرأة ولا خادمًا).[1]

و((كان مما يقول للخادم: ألك حاجة؟))[2] كما مر سابقًا.

وبلغت معاملته للأرقاء وللخدم والمستضعفين، ووصاياه فيهم حدًّا لم يعرفه التاريخ، وهذا دليل على الرحمة والشفقة التي تعامل بها، ونشرها بين الناس.

رحمته ﷺ بالأسرى:

الأسرى قد يكونون من أشرف الناس وأشجعهم وأغناهم، لكنهم يقعون في الأسر، فيصبحون من عامة الضعفاء، ولو مؤقتًا، فجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتطبيقات السنة في الرحمة بهم والإحسان إليهم على وجه العموم، وقد وقع في أسر الرسول ﷺ والمسلمين عددٌ من الأسرى في غزواته وسراياه المختلفة.

وقد أشارت إليهم الآيات الكريمة، كما في قوله ـ تعالى ـ عن بني قريظة: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ [الأحزاب].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾[الإنسان].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب (لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا)، ج٧/٨١.

(٢) رواه أحمد في مسنده، حديث خادم النبي ﷺ، ح٣/٥٠٠.

وحين توعد ﷺ بالانتقام لحمزة من قريش وقتلاها وأسراها بعد تمثيلهم بجسد حمزة، نزل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

عنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: ((كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِى عُقَيْلٍ، فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟، فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي؟ وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فَقَالَ إِعْظَامًا لِذَلِكَ: أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلاحِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ يَا مُحَمَّدُ؛ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، وَظَمْآنُ فَأَسْقِنِي، قَالَ: هَذِهِ حَاجَتُكَ، فَفُدِيَ بِالرَّجُلَيْنِ. الحديث)).[1]

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: ((بعث النبي ﷺ خيلاً قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد. فخرج إليه النبي ﷺ، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله، ج٥/٧٨.

منه ما شئت. فتركه حتى كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد. فقال ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نجل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله. يا محمد؛ والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ)).[1]

وقد خص البخاري شخص ثمامة بن أثال بالمشاركة في عنوان: باب (وفد بني حنيفة بعد إسلامه، وحديث ثمامة بن أثال).[2]

لقد رأى ثمامة صدق رسول الله ﷺ ورحمته وحسن معاملته: ((لقد كان وجهك أبغض الوجوه إليَّ، ولقد أصبح وهو أحب الوجوه إليَّ)).

وفي قصة أسر سَفَّانة بنت حاتم طيئ:

أن إحدى سرايا رسول الله ﷺ بقيادة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أغارت على

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال، ج٥/١١٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال، ج٥/١١٨.

بعض نواحي طيئ، في ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة، وكانت تهدف لهدم صنمهم (الفُلس)، وتمكنت من أسر بعض الطائيين وفيهم سفانة بنت حاتم طيئ أخت عدي،[١] ((فجعلت بنت حاتم في حظيرة[٢] بباب المسجد كانت السبايا يحبسن فيها، فمر بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله؛ هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ منَّ الله عليك. قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم . قال: الفار من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مر بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست منه، فأشار إليَّ رجل من خلفه أن قومي فكلميه. قالت: فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله؛ هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علي منَّ الله عليك، فقال ﷺ: قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني. فسألتُ عن الرجل الذي أشار إليَّ أن أكلمه فقيل: علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأقمت حتى قدم ركب من بلي أو قضاعة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام. قالت: فجئت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله؛ قد قدم رهط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ، قالت: فكساني رسول الله ﷺ، وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام)).[٣]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجد، فلما قفل

---

(١) ابن سعد، السيرة النبوية (من الطبقات)، ج٢/١٦٤.

(٢) هى السياج الخاص يوضع للأسرى، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٧٩، (حاشية رقم: ٣).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٧٩.

رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العِضاهِ،[١] فنزل رسول الله ﷺ، وتفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، فعلق بها سيفه. قال جابر: فنمنا نومةً، ثم إذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله. فها هو ذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ.

وقال أبان: حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر قال: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ. فجاء رجل من المشركين وسيف النبي ﷺ معلق بالشجرة، فاخترطه فقال: تخافني؟ قال: لا. قال فمن يمنعك مني؟ قال: الله. فتهدده أصحاب النبي ﷺ،[٢] ومن الثابت من روايات متعددة أنه ﷺ لم يعاقبه.

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: ((لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَصَبْنَا مِنْ ثِمَارِهَا فَاجْتَوَيْنَاهَا،[٣] وَأَصَابَنَا بِهَا وَعْكٌ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَتَخَبَّرُ[٤] عَنْ بَدْرٍ، فَلَمَّا بَلَغَنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ، وَبَدْرٌ بِئْرٌ، فَسَبَقْنَا الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهَا، فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ: رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَوْلَى لِعُقْبَةَ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ. فَأَمَّا الْقُرَشِيُّ فَانْفَلَتَ. وَأَمَّا مَوْلَى عُقْبَةَ فَأَخَذْنَاهُ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ: كَمِ الْقَوْمُ؟ فَيَقُولُ: هُمْ وَاللَّهِ كَثِيرٌ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ. فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: كَمِ الْقَوْمُ؟ فَقَالَ: هُمْ وَاللَّهِ كَثِيرٌ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ، فَجَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُخْبِرَهُ كَمْ هُمْ؟ فَأَبَى، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ: كَمْ يَنْحَرُونَ مِنَ الْجُزُرِ؟ فَقَالَ: عَشْرًا كُلَّ

---

(١) العِضاة: بكسر العين كل شجر يعظم وله شوك.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، ج٥/٥٣.

(٣) أي: كرهناها وضقنا بها.

(٤) أي: يستقطب الأخبار.

يَوْمٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْقَوْمُ أَلْفٌ)).[١]

وكان معهم سبعون من أسرى قريش، وقد استشار ﷺ أصحابه ما يصنع بهم، فقالوا: يا رسول الله؛ نأخذ الفداء نتقوى به في سبيل الله،[٢] فقال ﷺ: ((أنتم عالة، فلا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق)).[٣]

وتوجَّه الرسول ﷺ إلى مكة، وتوقَّف في الطريق بالجعرانة، حيث مقر الغنائم والأسرى والسبايا من هوازن وأحلافهم في ميط الطائف، وفي الجعرانة انتظر رسول الله ﷺ اتصالاً من هوازن، أو توبة عما جرى منهم مع المسلمين، وبعد عدة أيام من الانتظار قسَّم رسول الله ﷺ الغنائم والسبي على المسلمين، ثم جاءت وفود هوازن معلنة إسلامها وتوبتها عما بدر منهم في حق رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يرد عليهم أموالهم وأولادهم، وقال أحد شعرائهم قصيدة طويلة يستشفع فيها برسول الله ﷺ، مطلعها:

امْنُنْ علينا رسول الله في كرم

فإنك المرء نرجوه وندخر[٤]

فخيرهم الرسول ﷺ بين أن يأخذوا أموالهم، أو أولادهم ونساءهم، فاختاروا الأولاد والنساء، فقال ﷺ: ((معي من ترون، وأَحَبُّ الحديث إليَّ أصدقه، وقد كنت استأنيت بكم، وكان أنظَرهَم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد لهم

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن علي بن أبي طالب ﷺ، ج١/١١٧.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٩٣؛ وانظر: رواية الإمام أحمد، في مسنده، عن عمر بن الخطاب ﷺ، ج١/٣٠.

(٣) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٩٦.

(٤) انظر القصيدة عند الصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد، ج٥/٥٧١.

إلا إحدى الطائفتين قالوا: فإنا نختار سبينا، فقام رسول ﷺ، فأثنى على الله بما هو أهل له، ثم قال: أما بعد، فإن إخوانكم قد جاؤوا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل، فقال الناس: قد طيبنا لك ذلك يا رسول الله)).[١]

وقد بادر المسلمون بالتنازل عن نصيبهم من السبي تقليدًا لرسول الله ﷺ.[٢]

وقد أحسن المسلمون إلى أسراهم في المعاملة، فكانوا يطعمونهم من أكلهم، ويلبسونهم من ملابسهم، وقد قَدِمَ أقاربهم من مكة بعد ذلك يدفعون الأموال مقابل إطلاق سراحهم[٣] وقد تأثر هؤلاء الأسرى ببقائهم في المدينة، وشهادتهم صدق المسلمين، وحسن الإسلام، فأسلم معظمهم في فترات لاحقة.

((كان ﷺ يتخلف في المسير، فيزُجي الضعيف ويُردف، ويدعو لهم)).[٤]

و((كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته)).[٥] [صحيح الجامع].

---

(١) من حديث البخاري، (فتح الباري)، ج ١٤٥/١٦ ـ١٤٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤٩١/٤؛ وابن كثير، السيرة النبوية، ج٦٨٣/٣.

(٣) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢١٦.

(٤) رواه أبو داود، في سننه، كتاب الجهاد، باب في لزوم الساقة، ص ٤٦٣، ح برقم: ٣٦٣٩، وصححه الألباني.

(٥) رواه الدارمي في سننه، ص ٣٥؛ ورواه النسائي في السنن الصغرى، كِتَاب الْجُمُعَةِ، بَاب مَا يُسْتَحَبُّ مِنْ تَقْصِيرِ الْخُطْبَةِ، ج١٠٨/٣؛ وانظر: ابن عساكر، تاريخه، حرف الألف من اسمه أحمد ومحمد...، باب جامع في صفة أحواله ومعرفة أفعاله، ح برقم: ٢٢١٨.

وعن جابر رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله ﷺ يتخلف في المسير))؛[1] أي: يعقب أصحابه في السير تواضعًا وتعاونًا (فيزجي): بضم الياء وسكون الزاي وكسر الجيم؛ أي: فيسوق (الضعيف)؛ أي: مركبه ليلحقه بالرفاق، (ويردف): من الإرداف؛ أي: يركب خلفه الضعيف من المشاة (ويدعو لهم)؛ أي: لجميعهم، أو لباقيهم.

رحمته ﷺ بالمرضى:

المريض ضعيف في فترة مرضه، مهما كانت قوته ومنصبه وماله، وقد يكون مرضًا دائمًا، وقد يكون مرضًا مؤقتًا، وهو في كلتا الحالتين بحاجة ماسة لمن يقف معه فترة مرضه وضعفه، سواء في مداواته أم في زيارته ومواساته، أم في خدمته، وقد مرَّ بنا مواقف للرسول ﷺ مع أصحابه أثناء مرضهم، ورحمته بهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة].

رحمته ﷺ بكبار السن:

كبر السن مرحلة عمرية، يظهر فيها ضعف الإنسان، مهما كانت حالته المادية ومكانته الاجتماعية، وهي ما عبَّر عنه القرآن الكريم بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم].

---

(١) رواه أبو داود، في سننه، كتاب الجهاد، باب في لزوم الساقة، ص ٤٦٣، ح برقم: ٣٦٣٩، وصححه الألباني.

وكبير السن يحتاج للعطف والرحمة والعناية، ويأتي في مقدمة ذلك الوالدان والبر بهما، وهما في الغالب ممن تقدمت بهم السن، وقد فصلنا في ذلك.

الرحمة بالميت:

الميت يمكن أن يعد من الضعفاء، فهو لا يستطيع تقديم شيء لنفسه، ولذلك رحمةً من الله ـ سبحانه ـ ومن النبي ﷺ وردت تشريعات مختلفة في ذلك، وأفردت كتب الصحاح والسنن أبوابًا في ذلك، أوردت فيها أدلة شرعية مختلفة، ترتبط بهذا الأمر من تجهيز الميت، والعناية بذلك، وشهود جنازته، والصلاة عليه، والدعاء له، والمساهمة في دفنه. والحالات التي مرت في سنة الرسول ﷺ في هذا الجانب يصعب حصرها مع من توفي من المسلمين، رجالاً ونساءً صغارًا وكبارًا، وصدرت تشريعات مختلفة في هذه الأمر ابتداءً من احتضار الميت، وانتهاءً بالفراغ من دفنه، وتعزية أهله، وخلافته فيهم، وفي ضعفاء الميت من النساء والصغار.

روى البخاري عن النبي ﷺ قال: ((إذا رأيتم الجنازة فقوموا حتى تخلفكم. وفي رواية: أو توضع)).(١)

بل إنه ﷺ قام واقفًا لجنازة يهودي، كما البخاري كتاب (الجنائز)، باب (من قام لجنازة يهودي).(٢)

كما روى البخاري أن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ((أمرنا النبي ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع، أمرنا باتباع الجنائز وعيادة المريض... الحديث)).(٣)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، ج٢/٨٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، ج٢/٨٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب باب الأمر باتباع الجنائز، ج٢/٧٠.

روى البخاري عن أبي هريرة وعن عائشة ﵄، يقول رسول الله ﷺ: ((من تبع جنازة فله قيراط ... الحديث)).[١]

وقد كان ﷺ يعلم الناس تجهيز الميت بغسله وتطييبه، ويتابع ذلك بنفسه مع من توفي من بناته ﷺ في حياته.

روى البخاري عن أم عطية الأنصارية ﵂ قالت: ((دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته، فقال: اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافورًا أو شيئًا من كافور، فإذا فرغتن فآذنني. فلما فرغنا آذناه، فأعطانا حقوه، فقال: أشعرنها إياه، تعني إزاره)).[٢]

كما روى عن أم عطية ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ في غسل ابنته: ((ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها)).[٣]

كما أنه ﷺ أوضح من هو الأولى بدخول قبر المرأة، كما في صحيح البخاري (كتاب الجنائز) باب (من يدخل قبر المرأة).[٤]

كما كان ﷺ يحزن لموت من يموت، ولا يخرج عن ذلك، بل ينهى عن اللطم وما شابهه من دعوى الجاهلية.

وكما أشرنا سابقًا إلى رواية أنس بن مالك ﵁ قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظئرًا لإبراهيم، فأخذ رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب باب فضل اتباع الجنائز، ج٢/٨٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر، ج٢/٧٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب يبدأ بميامن الميت، ج٢/٧٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من يدخل قبر المرأة، ج٢/٩٣.

إبراهيم، فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان. فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: ((يا ابن عوف؛ إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)).(١)

وقد شرع ﷺ السرعة في تجهيز الميت وعدم تأخير جنازته، ولعل في ذلك رحمة وإكرامًا للميت. ووضع البخاري في صحيحه بابًا لذلك، أورد فيه أنه ﷺ قال: ((أسرعوا في الجنازة... الحديث)).(٢)

وقد شرع ﷺ زيارة القبور، كما في صحيح البخاري كتاب (الجنائز)، باب (زيارة القبور).(٣)

كما نهى ﷺ عن سب الأموات، فعند البخاري في صحيحه كتاب (الجنائز) باب (ما ينهى عن سب الأموات)، قال ﷺ: ((لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا)).(٤)

ومن خلال ما مرَّ بنا تبيَّن لنا كيف كانت رحمته ﷺ بالضعفاء بجميع فئاتهم، من فقراء ومساكين وأيتام ونساء، وأرقاء وخدم، وكذلك الأطفال الصغار، وكبار السن.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة ... ، ج٢/٨٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب السرعة في الجنازة ... ، ج٢/٨٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ج٢/٧٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما ينهى عن سب الأموات، ج٢/١٠٨.

رحمته ﷺ بعامة الناس:

عند الحديث عن هذا الموضوع أجدني متأملاً ما ورد في كتاب الله من آيات، وأجد من الصعوبة بل من غير المجدي شرحها والتعليق عليها، ففيها من الوضوح ما يغني عن أي تعليق أو شرح أو إضافة، فهو ﷺ رحمةٌ للعالمين، ورسولٌ لكافة الناس.

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

ويقول ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ٢٨﴾ [سبأ، من الآية: ٢٨].

ويقول ـ تعالى ـ: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ ٧٩﴾ [النساء، من الآية: ٧٩].

ويقول ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ١٥٨﴾ [الأعراف، من الآية: ١٥٨].

ويقول ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٤٩﴾ [الحج].

وقد ورد عن حذيفة رضي الله عنه قال: لقيت النبي ﷺ في بعض طرق المدينة، فقال: ((أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا نبي الرحمة، ونبي التوبة، وأنا المقفِّي،[1] وأنا الحاشر، ونبي الملاحم)).[2]

وقال ﷺ: ((أنا محمد، وأحمد، والمُقفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة)).[3]

---

(١) المُقَفِّي: الذي قفى آثار من سبقه من الأنبياء ﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد، من الآية: ٢٧]. (انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ج١/٩٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، (سُورَة الصف)، باب يأتي من بعدي اسمه أحمد، ج٦/٦٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كِتَاب الْفَضَائِلِ، بَاب فِي أَسْمَائِهِ ﷺ ... ، ج٧/٨٩.

وعند البخاري برواية جبير بن مطعم، قال رسول الله ﷺ: ((لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب)).(١)

وهذه المسميات له ﷺ تدل على كونه نبيًّا لكافة الناس، فهو الحاشر المقفِّي ﷺ.

وقد وعد الله بالرحمة مَنْ أطاعه، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [فصلت].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف].

وقال رسول الله ﷺ: ((إنما يرحم الله من عباده الرحماء)).(٢)

وقال: ((ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)).(٣)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، ج٤/١٦٢.

(٢) من حديث رواه البخاري، في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته، ج٢/٨٤.

(٣) رواه ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ في مصنفه، كِتَاب الْأَدَبِ، باب مَا ذُكِرَ فِي الرَّحْمَةِ مِنَ الثَّوَابِ، ح برقم: ٥٤٠٧، ج٨/٣٣٨؛ ورواه الترمذي، ج٤/٣٢٣، وقال حديث حسن صحيح؛ ورواه أبو داود برقم: ٤٩٤١، ص ٨٩٣، وغيرهم؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٢/٦٣٠.

وفي رواية: ((لا يرحم الله من لا يرحم الناس)).[١]

وبالتالي فإنه ﷺ يدعو إلى الرحمة بين العباد جميعًا، في دعوة شاملة للرحمة بكل من في الأرض؛ طلبًا لرحمة من في السماء، وقد أورد الترمذي في صحيحه خمسة أبواب في الرحمة.[٢]

كما وضع البخاري أبوابًا في ذلك،[٣] ووضع أبو داود في سننه باب (إن لله مائة رحمة).[٤]

ووضع ابن أبي شيبة في مصنفه باب (ما ذكر في الرحمة من الثواب).[٥]

وقال ﷺ فيما رواه أبو هريرة ﷺ: ((جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفَرَسُ حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)).[٦]

كما قال ﷺ: ((لما خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ في كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنّ رَحْمتي تَغْلِبُ غَضَبِي)).[٧]

---

(١) صحيح الترمذي، ج٤/٣١٨ ـ ٣٢٤، منها: (ما جاء في رحمة الولد، وما جاء في رحمة اليتيم وكفالته، وما جاء في رحمة الصبيان، وما رجاء في رحمته المسلمين).

(٢) رواه ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ في مصنفه، كِتَابُ الْأَدَبِ، باب مَا ذُكِرَ فِي الرَّحْمَةِ مِنَ الثَّوَابِ، ح برقم: ٥٤٠٨، ج٨/٣٣٨.

(٣) صحيح البخاري، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، وباب جعل الله الرحمة مائة جزء، ج٧/٧٤ ـ ٧٥.

(٤) ورواه أبو داود في سننه، باب إن لله مائة رحمة، ج٢/٣٢١.

(٥) ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ في مصنفه، كِتَاب الْأَدَبِ، باب مَا ذُكِرَ فِي الرَّحْمَةِ مِنَ الثَّوَابِ، ج٨/٣٣٨.

(٦) رواه مسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله، ج٨/٩٥؛ ورواه أبو داود، في سننه، باب إن لله مائة رحمة، ج٢/٣٢١.

(٧) رواه مسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله، ج٨/٩٥.

وقال ﷺ في أهل الجنة الذين أخبر عنهم بقوله: ((أهل الجنة ثلاثة. وذكر منهم: ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم)).[١]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله ﷺ، فقال: إن دوسًا قد هلكت، عصت وأبت، فادعُ الله عليهم، فظن الناس أنه يدعو عليهم، فقال: ((اللهم اهد دوسًا وأت بهم)).[٢] متفق عليه.

وقد ثبت دعاؤه ﷺ لقريش في أكثر من مرة، منها: ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((اللهم أذقت أول قريش نكالاً فأذق آخرهم نوالاً)).[٣]

ومن الثابت أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: ((لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها؟)).

فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال ﷺ: ((أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: يا رسول الله؛ هو يشتكي عينيه، قال ﷺ: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرئ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال عليٌّ رضي الله عنه: يا رسول الله؛ أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال عليه الصلاة والسلام: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ج١٥٩/٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء للمشركين، ج١٦٥/٧.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في فضل الأنصار وقريش، وقال عنه: حديث حسن صحيح غريب، ح برقم: ٣٩٠٨، ج٧١٥/٥.

من حق الله فيهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم)).[١]

كان ﷺ حريصًا على هداية من عاداه وقاتله من يهود خيبر، إنها منتهى الرحمة وقمتها.

عن جرير قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة، مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لِمَا رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى ثم خطب، فقال: ((﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[سورة النساء، من الآية: ١]، إلى آخر الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء، من الآية: ١]. والآية التي في الحشر ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ ﴿١٨﴾﴾، [سورة الحشر، من الآية: ١٨]. تصدق رجل من دينارِه، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: "ولو بشق تمرة". قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: "من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء")).[٢]

---

(١) صحيح البخاري، (فتح الباري)، ج ١٦/٥٧ ـ ٥٨؛ انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٣١٥.

(٢) رواه مسلم، في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ج٨/٦١.

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ زَوْج النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: (("اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ". قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: "لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ: "فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا")).[1]

وروى أنس بن مالك ﵁ قال: ((كان غلامٌ يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (أسلم)، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلَمَ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار")).[2]

رحمته ﷺ بالشعوب والأمم:

إن الإسلام جاء بنظرته العامة للعالم، والعلاقة به وبما بين الناس المبنية على السلام وتبليغ الرسالة وحملها للناس كافة، وصعوبة الانعزال عن المجتمعات البشرية، وضرورة الاحتكاك بها،[3] وتبليغ رسالة الخير والأخلاق

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كِتَاب صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ، بَاب التَّعَوُّذِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، ج٤/٢٦؛ وأخرجه أبو داود في سننه، ح برقم: ٥٠٩٩، ص ٩٢٣، وفيه جزء من الآية (٢١) من سورة الأحقاف؛ وروى البخاري في صحيحه جزءًا من الحديث، كتاب صلاة الاستسقاء، (أبواب الاستسقاء)، باب ما يقال إذا أمطرت، ج٢/٢١، وفيه جزء من سورة الأحقاف، من الآية: ٢٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه...؟، ج٢/٩٦.

(٣) انظر: د. عبد الوهاب كلزية، مصدر سابق، ص ٦.

والسلام الذي جاء به الإسلام،[1] وإمكانية التعايش مع المخالفين في الدين في ضوء حفظ الحقوق للجميع، وآية ذلك أنه ﷺ عاش بين قومه من العرب ومن قريش، وبين الأوس والخزرج، واحتك بعدد من القبائل العربية وشعوب أخرى في محيط بلاد العرب.

وكان ﷺ كما وصفه الله سبحانه (رحمةً للعالمين)، ومن هذا المنطلق كانت نظرته للعالم وأقوامه وشعوبه.

وقد عرف ﷺ الحبشة والفرس والروم والقبط وغيرهم، مع كتابته لملوك وأمراء العرب، وكان ﷺ رحمة لمن عقل منهم، وقد كتب ﷺ لملوكهم وأمرائهم، وكل من يصل إليهم، وكل من يصلهم خبره.

كما منع القرآنُ الكريم التمييز بين الناس، وذكَّرهم بأصلهم الواحد، وحرَّم أن يسخر بعضهم من بعض في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات].

(١) انظر: قلعة جي، محمد رواس، قراءة سياسية للسيرة النبوية، ط٢ـ بيروت: دار النفائس ١٤٢٠هـ، ص ٣٠٤.

ولذلك كانت نظرته التي علَّمها المسلمين والعالم المساواة بينهم، وعدم التعالي من بعضهم على بعض.(١)

والمطالع لكتب الفضائل أو كتاب الدعوات وأبوابها عند البخاري ومسلم وغيرهم من المحدِّثين، يجد أبوابًا خاصة في فضائل بعض القبائل أو بعض الشعوب، مما يبعث على الدهشة، كيف بيَّن ﷺ فضائل تلك التجمعات البشرية، أو دعا لبعض منها؟(٢) وهذه رحمة بها، وثناء تفخر به من سيد البشر إلى يوم القيامة.

حيث يسن التراحم والتعاطف والتعارف بين الشعوب والأمم، والسلام بينها، وعدم تكبر بعضها على بعض، تطبيقًا لما جاء به الله في كتابه.

وفي الوقت نفسه أُمِروا بخشية الله، والخوف من مكره، والبعد عمَّا يغضبه، وفي عموم القرى والأمم، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف].

وقد كان ﷺ يبشر الصحابة في أكثر من موضع بأن الأمن سوف يسود بهذا الدين، وكانوا يفرحون بمثل هذه البشارات التي تدل على وصول الرحمة لعموم البشرية.

---

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، ج٤/١٥٣.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، ج٧/١٤٤؛ ومسلم في صحيحه، كِتَاب الْفَضَائِلِ، ج٧/٥٨، وكتاب فضائل الصحابة، ج٧/١٠٨، وقد تضمن أبوابًا مختلفة في فضائل بعض الأقوام والقبائل.

ومن ذلك قوله لعدي بن حاتم: ((فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف أحدًا إلا الله))،[١] وقال ﷺ: ((ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه)).[٢]

وذكر القرآن الكريم الأمم السابقة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾ [الرعد].

ولذلك سعى الرسول ﷺ لتنظيم العلاقة بين سكان المدينة مسلمين وغير مسلمين، وكتب في مرحلة مبكرة معاهدة على ذلك،[٣] ((وكان رسول الله ﷺ عند قدومه المدينة وادَعَ يهود، وكتب بينه وبينهم كتابًا، واشترط عليهم أن لا يمالئوا عدوه، وأن ينصروه على من دهمه)). وهي ما عرفت بوثيقة المدينة، أو موادعة المدينة.[٤]

لقد كانت الوثيقة (كتاب مصالحة وحسن جوار على أن يسالموه، ولا

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/١٥٠؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٤٢؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٨١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين في مكة، ج٥/٢٣٨.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٥٠١؛ ولدراسة موسعة عن تخريج الروايات الواردة عن الوثيقة، انظر: د. أكرم العُمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج١/٢٧٦؛
وقد ضعَّف أحد الباحثين القول بالوثيقة، (انظر: اليامي ضيدان عبد الرحمن، بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة، "وثيقة المدينة " ـ الرياض: مكتبة المعارف ١٤٠٨هـ). ورأيه محل نظر، فشواهدها كثيرة وثابتة بطرق متعددة وإن اختلفت رواياتها، لكن بعضها يعضد بعضًا في إثبات وجود الوثيقة، مع التفاوت في ألفاظها ومحتواها والمشاركين فيها من رواية لأخرى.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١/٨٦.

يعينوا عليه عدوه، وأن يقفوا بجانبه في وجه من يعاديه ويهدد أمن المدينة المنورة).[١]

إن هذه المعاهدة المدنية تعد مثالاً لتنظيم عادل، ومسؤولية اجتماعية، ومرجعية نظامية مكتوبة للتحاكم يرجع إليها، وهي تشبه بعض الأنظمة في الدول الحديثة التي تتيح حرية الدين، وعدم الإكراه عليه، مع الالتزام بالأمن والنظام المشترك والمسؤولية الجماعية.

وكانت خطبته في حجة الوداع موجهة للناس كافة إلى يوم القيامة، أكد فيها على حقوق الناس، وحقن دمائهم، والمساواة بينهم، ومما قال ﷺ فيها:[٢] ((أيها الناس؛ اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا. أيها الناس؛ إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا. وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله. وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعًا في بني ليث، فقتلته هذيل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

أما بعد؛ أيها الناس؛ فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدًا، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به بما تحقرون من

---

(١) عبد الحميد طهماز، سيرة النبي، ص ٢٧٣.

(٢) انظر: كتابًا أُلِّف عن الخطبة بعنوان: (الوصية النبوية للأمة الإسلامية) للدكتور فاروق حمادة، دار القلم، دمشق.

أعمالكم، فاحذروه على دينكم. أيها الناس؛ إن النسيء زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا، يحلونه عامًا، ويحرمونه عامًا؛ ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله.

إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان.

أما بعد؛ أيها الناس؛ فإن لكم على نسائكم حقًّا، ولهن عليكم حقًّا، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف. واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئًا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلغت.

وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا، أمرًا بينًا، كتاب الله وسنة نبيه.

أيها الناس؛ اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمُن أنفسكم. اللهم هل بلغت؟ فذكر لي أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اشْهَدْ)).[1]

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٠٥؛ وانظر: أجزاء منها عند البخاري في صحيحه، باب (حجة الوداع)، ج٥/١٢٧.

ومن الواضح أن هذه الخطبة أو الخطب تعد دستورًا ورحمة للإنسانية جمعاء، عبر العصور البشرية وأجيالها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي أهم الخطب التي ألقاها خاتم أنبياء الله ورسله ﷺ بأمر الخالق موجهة إلى الخلق، فيها توحيد الله، وحفظ حقوقهم البدنية والروحية والمادية، والتراحم فيما بينهم، كما أن فيها التأكيد على المساواة بين الناس، وأنهم أخوة وأصلهم واحد، وبعد خطبته ﷺ بعرفة[1] نزل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة].[2]

كان التأكيد على الرحمة في هذه الآيات التي حملت تلك التشريعات وتمام الدين وكماله.

ومن المعلوم أن دعوة الرسول ﷺ عالمية للناس كافةً، ولذلك فقد حرص ﷺ منذ بداية دعوته على الاتصال بالقبائل أفرادًا وجماعات،[3] وعرض الدعوة عليهم، وكان يتأثر بما يجري في القبائل والبلدان، ويرى رؤى لما يجري لها ولمستقبلها.

---

(١) وانظر جزءًا من الخطبة عند البخاري في صحيحه، باب حجة الوداع، ج٥/١٢٤.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣/٣٢٥؛ وانظر رواية البخاري في صحيحه، باب حجة الوداع، ج٥/١٢٧؛ وانظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/٥٧٩.

(٣) انظر عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)؛ وانظر: الثعالبي؛ عبد العزيز، معجزة محمد رسول الله، (الفصل الأول؛ الرسالة المحمدية إلى الأمم كافة)، ط٣ ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦هـ، ج١/٢١.

منها: الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ كما عند البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قال: رسول الله ﷺ: ((بينا أنا نائم أُتيت بخزائن الأرض، فوضع في كفي سواران من ذهب فكبرا علي، فأوحى الله إليَّ أن انفخْهما، فنفختهما فذهبا، فأولتُهما الكذابَين اللذين أنا بينهما، صاحب صنعاء وصاحب اليمامة)).[١]

كما جاء في رد رسول الله ﷺ على مسيلمة الكذاب التأكيد على العالمية، وعدم خصوص قوم بالأرض، وإنما هي لله، وفي الرسالة: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد؛ فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين)). وقد كانت مكاتبته للنبي ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة.[٢]

وبعد أن طال حصار رسول الله ﷺ للطائف، وأُخبر أنه لم يُؤذن له في فتحها، رحل وتركها لا يأسًا منها، ولكن طمعًا في أن يأتي أهلها مسلمين طوعًا من تلقاء أنفسهم، حيث دعا لهم قائلاً: ((اللهم اهدِ ثقيفًا))،[٣] وتوجه الرسول ﷺ إلى مكة، وتوقف في الطريق بالجعرانة، حيث مقر الغنائم والأسرى والسبايا من هوازن وأحلافهم في محيط الطائف، وفي الجعرانة انتظر رسول الله ﷺ اتصالاً من هوازن، أو توبة عما جرى منهم مع المسلمين. وبعد عدة أيام من الانتظار قسَّم رسول الله ﷺ الغنائم والسبي على

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ج٥/١١٨. (يقصد الأسود العنسي الكذاب ومسيلمة الحنفي الكذاب).

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٤٨؛ وقد وضع البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب (وفد بني حنيفة)، ج٥/١١٧؛ انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الرابع (العالمية والدولة الإنسانية) ـ وفد بني حنيفة ـ ص ٨٧١.

(٣) انظر تخريجها عند رزق الله، السيرة النبوية، ص ٥٩٦.

المسلمين، ثم جاءت وفود هوازن معلنة إسلامها وتوبتها عما بدر منهم في حق رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يرد عليهم أموالهم وأولادهم، وقال أحد شعرائهم قصيدة طويلة، يستشفع فيها برسول الله ﷺ، مطلعها:

امْنُنْ علينا رسول الله في كرم

فإنك المرء نرجوه وندخر[1]

فخيرهم الرسول ﷺ بين أن يأخذوا أموالهم، أو أولادهم ونساءهم، فاختاروا الأولاد والنساء، فقال ﷺ: ((معي من ترون، وأحب الحديث إليَّ أصدقه، وقد كنت استأنيت بكم. وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف. فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد لهم إلا إحدى الطائفتين قالوا: فإنا نختار سبينا. فقام رسول ﷺ، فأثنى على الله بما هو أهل له، ثم قال: أما بعد، فإن إخوانكم قد جاؤوا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل. فقال الناس: قد طيبنا لك ذلك يا رسول الله)).[2]

وقد بادر المسلمون بالتنازل عن نصيبهم من السبي تقليدًا لرسول الله.[3]

إنها الرحمة والتأني لمصلحة هوازن ومن حارب معها؛ رحمة بهم وبأهلهم الذين وقعوا في السبي.

---

(١) انظر القصيدة عند الصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد، ج٥/٥٧١.

(٢) من حديث البخاري (فتح الباري)، ج١٦/١٤٥ ـ١٤٧.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٤٩١؛ وابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٦٨٣.

والتطبيقات الأخلاقية فيما جاء به الرسول ﷺ ومن خلال سيرته ساهمت في التراحم الإنساني ونشر المحبة بين الناس.

لقد كانت إدارة الحكم وتنظيمه إحدى العلامات البارزة التي جاءت في القرآن الكريم، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء].

وحتى القتال في الإسلام حين أُذن به كان رحمة بالناس المظلومين المخرجين من ديارهم، ودفاعًا عنهم، وتمكينًا للعباد من الكرامة وألا يعبدوا غير الله، ولا يذلوا للخلق، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج].

كما أكدت آيات أخرى على أهمية البعد عن الاعتداء في الجهاد، وعلى كره الله للمعتدين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢﴾ [البقرة].

وقد أرسل الرسول ﷺ ولاته إلى مختلف القبائل، في نجد والحجاز وغيرها من بلاد العرب، وكان كثيرًا ما يختار الولاة أو المبعوثين لهذه

القبائل ممن أسلم من أفراد القبيلة نفسها، فكان لهم دور في التنظيم وإقامة العدل في بلدانهم وقبائلهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورى].

وطالب القرآن الكريم بالعدل حتى مع الأعداء، وهذا من الرحمة، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة].

وورد في الحديث القدسي: ((يا عبادي؛ إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا)).(١)

وأمر بما يزيد الترابط بين الناس عمومًا، ومن ذلك: إتمام العهد في أكثر من آية، وقد كره المشركين، إلا أنه على الرغم من قوته وسيطرته فإنه لم ينقض عهدهم وأتم مدته، وقد جاء في سورة التوبة: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ

(١) رواه مسلم في كتاب البر، باب تحريم الظلم، ج ١٧/٨؛ رواه الإمام أحمد في مسنده، ج١٦٠/٥.

عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ [التوبة].

كما كان أداء الأمانة من أساسيات الأخلاق التي بُني عليها الإسلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب].

وقد جاءت كل شرائع الإسلام رحمة للإنسانية، فما تحريم الزنا والخمر والكذب والسرقة وغير ذلك من الشرائع إلا ليسود السلام والرحمة بين الناس.

وقد حرص ﷺ منذ بداية دعوته على الاتصال بالقبائل أفرادًا وجماعات،[1] وعرض الدعوة عليهم، وهذا فيه رحمة بهم.

وقد زاد هذا الأمر بعد تضييق قريش على الرسول ﷺ، فكان يدور على القبائل في المواسم يعرض عليهم الإسلام، ويطلب نصرتهم، وكان معه في معظم جولاته على القبائل صاحبه أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وهو رضي الله عنه عالم بالقبائل والأنساب.[2]

وقد تفاوتت ردود القبائل عليه، وكانت النتيجة شيوع خبر الرسول ﷺ والرسالة في مختلف القبائل، وقابل الرسول ﷺ قبل الهجرة أفواجًا كثيرةً من مختلف القبائل، ولم يبق حي من العرب إلا وسمعوا بالرسول ﷺ ودعوته.[3]

---

(١) انظرعرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ)؛ وانظر: الثعالبي؛ عبد العزيز، معجزة محمد رسول الله، (الفصل الأول الرسالة المحمدية إلى الأمم كافة)، ط٣ ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦هـ، ج١/٢١.

(٢) انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ص٢/٣٨٧.

(٣) انظر عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

وبعد الهجرة انتشرت أخبار الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين، وخصوصًا بعد معركة بدر، وتزايدت الأخبار بعد الحوادث المختلفة ومراحل الصراع المتعددة مع قريش في مكة، ويهود في المدينة.

وصلح الحديبية فيه: (أن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه)،[١] وبالتالي كان يمد يده لجميع القبائل، وكان على القبائل القريبة من الأحداث اختيار أحد طرفي الصراع حليفًا لها، فدخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ، ودخل بنو بكر في عقد قريش، وكان اعتداء بني بكر على خزاعة بمساعدة قريش علامة لنقض قريش لعهدها مع الرسول ﷺ، مما أدى لفتح مكة، والقضاء على سلطة المشركين فيها.

وبعد فتح مكة أصبح الأمر واضحًا أمام كافة قبائل العرب في أن السيادة الوحيدة في جزيرة العرب للإسلام ونبي الرحمة ﷺ.

فبدأت وفود القبائل تتكاثر في السنة التاسعة من الهجرة حتى سمي بعام الوفود،[٢] مع أن بعضًا منها وصل قبل ذلك العام، كما أن بعضها قدم مبكرًا في السنة الخامسة من الهجرة، ثم قدم مرة أخرى سنة تسع من الهجرة،[٣] وكانت كل قبيلة تستعرض مكانتها وشرفها، حيث يخطب خطباؤهم، وتلقى القصائد من شعرائهم، وكان الرسول ﷺ يأمر أناسًا من أصحابه بالرد عليهم الخطبة بالخطبة، والقصيدة بالقصيدة.

فكانت أهداف الرسول ﷺ إعلاء كلمة الله، والدعوة إليه وإلى دينه،

---

(١) انظر صلح الحديبية من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٥٥٩.

(٣) انظر: محمد أبا شهبة، السيرة النبوية، ج٢/٥٤٢.

ونشر القيم والعدل، دون عصبية ولا فخر، ولذلك كانت نتائجها مذهلة وباهرة وسامية المضمون أمام الآخرين، عالية الهمة والمستوى، مما جعل وفود القبائل يقرون له ﷺ بذلك.

وكان ﷺ يكرم الوفود، ويجيزهم، ويعلمهم، ويأمر الصحابة بتعليمهم، كما كان ﷺ يعيِّن عليهم عند مغادرتهم من يتدبر أحوالهم،[١] ويرتب زكواتهم، ويواسي فقراءهم من أغنيائهم، ويكون أميرًا عليهم، ومعلمًا لهم.

كما كان ﷺ يجيب عن أسئلتهم المختلفة التي كثير منها يرتبط بواقع يعيشونه، أو طعام أو شراب يتناولونه في مناطقهم، أو قضايا محددة تقلقهم وتخصهم دون غيرهم أحيانًا، وكان ﷺ يعلمهم الرحمة في مواقف متعددة حضروها.

وكان ﷺ يثني على بعضهم، مثلما قال في بني عبد القيس، حيث إن الرسول ﷺ أثنى عليهم قبل وصولهم، فقال: ((سيطلع عليكم من هاهنا وفد هم خير أهل المشرق))،[٢] ولا شك أن لذلك تأثيرًا عليهم.

وحين أقبل وفد الأشعريين من اليمن وفيهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، قال ﷺ: ((جاء أهل اليمن، هم أرق أفئدة، وأضعف قلوبًا، والإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية)).[٣]

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب (وفد بني تميم)، وكتاب التفسير، سورة الحجرات، باب (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات)، ج٦/٤٦.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/٩٠.

(٣) رواه مسلم، وانظر ابن القيم، زاد المعاد، ص ٦٦٧؛ ورواه البخاري في كتاب المغازي، باب (قدوم الأشعريين وأهل اليمن)، ج٥/١٢٢.

وفي حديث آخر أنه ﷺ قال: ((أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب، هم خيار من في الأرض)).[١]

ولا يزال لهذه الأحاديث أثرها على أهل اليمن حتى اليوم.

كما استقبل ﷺ وائل بن حجر من أقيال حضرموت، وعند وصوله أكرمه الرسول ﷺ، ورحب به، وبسط له رداءه، ودعا له ولولده قائلاً: ((اللهم بارك على وائل وولده وولد ولده)).[٢]

وكان لإرسال النبي ﷺ أمراءه للبلدان والقبائل، ومنهم معاذ بن جبل رضي الله عنه وغيره من أمرائه إلى اليمن وغيرها، دور في قدوم مزيد من الوفود في أواخر حياة النبي ﷺ.[٣]

وقد ربط ابن هشام بين الوفود ونزول سورة النصر، فقال: (أفواجًا يضربون إليه من كل وجه)،[٤] يقول ـ تعالى ـ لنبيه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر].

وعرفت قبائل العرب بالشدة والقوة، والقسوة أحيانًا، وكان يبعث إليهم رسول الله ﷺ عند الحاجة جيوشًا من المسلمين، ويأمرهم أن يدعوهم إلى الإسلام رحمة بهم ثلاثة أيام قبل أن يقاتلوهم، ويقبل منهم إن أسلموا، ولا يقاتلهم، كما فعل مع بني الحارث حين بعث لهم خالد بن الوليد، فوصل إلى مناطقهم، وبث الركبان في كل اتجاه يدعوهم إلى الإسلام مبلغين إياهم:

---

(١) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ص ٦٦٧.

(٢) انظر تخريجه عند مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٦٥٨.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٩٢؛ ومهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٦٧٦.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٦٠.

أيها الناس؛ أسلموا تسلموا، فأسلم الناس.[١]

وقد استقبل ﷺ وفودًا متعددة من نصارى العرب،[٢] فقد كانت النصرانية تنتشر في عدد من الحواضر والقبائل في بلاد العرب، وكان أهلها أهل كتاب ذوي علم، وقد وصلتهم دعوة النبي ﷺ، فكان لبعضهم وفود وأفراد قابلوا الرسول ﷺ، وآمنوا به،[٣] وكانت صلات رسول الله ﷺ تحقيقًا لعالمية رسالته ورحمته الشاملة لكل أهل الأرض، كما أن علمهم بالأنبياء السابقين، وانتظارهم لآخر الأنبياء وخاتمهم كان مما يميزهم عن غيرهم من الوفود.

حتى إن قريشًا ـ وهم أعداء الرسول ﷺ ـ حرص ﷺ على السلم والرحمة معهم، وصالحهم في الحديبية، حيث قال ﷺ: ((اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله له، فقالوا: والله ما نختلف إلا في هذا، فقال: ما أكتب؟ فقالوا: انتسب، فاكتب: محمد بن عبد الله. قال: وهذه حسنة، اكتبوها، فكتبوها، وكان شرطهم أن بيننا العيبة المكفوفة، وأنه لا أغلال ولا أسلال. [الأغلال: الدروع، والأسلال: السيوف] ويعني بالعيبة المكفوفة أصحابه يكفهم عنهم، وأنه من أتاكم منا رددتموه علينا، ومن أتانا منكم لن نرده عليكم، فقال رسول الله ﷺ: ومن دخل معى فله مثل شرطي، فقالت قريش: من دخل معنا فهو منا، له مثل شرطنا..)).[٤]

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٩٥.

(٢) انظر: د. فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ط١ ـ دمشق: دار القلم ١٤٢٦هـ.

(٣) انظر: الفصل الخاص بالوفود عند فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ٩٣.

(٤) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٧٠ ـ ٢٧٤؛ وانظر أجزاء مختلفة من الرواية عند البخاري في صحيحه، ج٥/٦٩.

وفي قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي: (فاغتسلت، ثم جاءت، فعرضت عليها الإسلام فأسلمت)، ثم دعوت دوسًا إلى الإسلام، فأبطأوا علي، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة، فقلت له: يا نبي الله؛ إنه قد غلبني على دوس الزنا، فادع الله عليهم، فقال: ((اللهم أهد دوسًا)). ارجع إلى قومك، فادعهم، وارفق بهم.[١] كان هذا الدعاء رحمة بهم، وتعليم داعِيهِ الرفقَ هو كذلك رحمة منه ﷺ.

أوصى ﷺ بأهل مصر خيرًا في قوله: ((إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحمًا، أو قال: ذمة وصهرًا)).[٢]

وقد كتب ﷺ رسائل لملوك العرب المختلفين لغساسنة الشام، ولملكي عمان جَيْفَرَ وعباد ابني الجُلَنْدِيِّ، وللمنذر بن ساوي العبدي في البحرين، وهوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة، ولغيرهم من ملوك العرب وزعمائهم، كانت رسائله إليهم تدعوهم إلى الهدى والحق، وتحمل لهم الرحمة وحسن الإدارة والسلام.[٣]

الحبشة:[٤]

الحبشة منطقة تقع شرق إفريقيا مقابل السواحل اليمنية، وقد اختلفت حدودها من عصر لآخر، والأرجح أنها كانت في العصر النبوي تشمل أجزاء

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٨٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب وصية النبي بأهل مصر، ج٧/١٩٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب وصية النبي بأهل مصر، ج٧/١٩٠.

(٤) وضع البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قصة الحبش وقول النبي ﷺ: (يا بني أرفدة)، ج٤/١٦١.

من الصومال والسودان وغيرها حاليًا، وتسمى قديمًا (*Apyssinia*)، وحاليًا إثيوبيا (*Ethiopia*)، ودولتها قديمة عرفت منذ زمن سليمان عليه السلام، وقد انتشرت فيها المسيحية في القرن الرابع الميلادي، وتمكنت من السيطرة على اليمن سنة ٥٢٥م لما يقارب الخمسين سنة، وكانت عاصمتها أكسيوم (*Axum*).[١]

ووردت رواية لحديث: ((دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ، وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ))،[٢] ولعلها موضع نظر.

وقد خالط الرسول ﷺ رجالاً ونساءً من الحبشة، فأحبهم ورحمهم، ودافع عنهم، وقدمهم على غيرهم، من أمثال حاضنته أم أيمن، وابنها أسامة ابن زيد، ومؤذنه بلال بن رباح، وغيرهم من موالي مكة قبل البعثة وبعدها، وقبل الهجرة وبعدها، فكان حسن التعامل والاحترام معهم، أحبهم وأحبوه، ومالوا إليه ﷺ.

وصلة أهل مكة بها قبل مبعث النبي ﷺ قديمة، حيث كانت موضعًا لتجارة قريش، يجلبون منها ولها السلع، وقد احتل الأحباش اليمن، وسيطروا عليها، وحكموها قبيل مولد النبي ﷺ، وكانوا يتنازعون حكمها مع الفرس، وكان أبرهة الحبشي أشهر الحكام الأحباش لليمن، وهو صاحب حملة الفيل على الكعبة، التي نزل فيها قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل].[٣]

---

(١) انظر: ابن كثير، ج٢/٢٠٣١؛ وأبا الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص ٣٠٠.

(٢) حسنه الألباني في صحيح الجامع، ح برقم: ٣٣٨٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ج٢/٢٠٣١.

ولذلك فإن اختياره ﷺ الحبشة لهجرة أصحابه كان عن دراية تامة بأهلها ونظامها وملكها، ولذلك طلب ﷺ من أصحابه الهجرة إليها، وأفادهم: ((إن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد)).[١]

وحينما أوذي النبي ﷺ وأصحابه في مكة، ووجههم ﷺ للهجرة إلى الحبشة،[٢] فأخبرهم بعدل ملكها، الذي كان يسمى عند العرب بالنجاشي، وهو اسم لكل من ملك الحبشة، وكان ملكهم في تلك الفترة أصحمة، وكان مع المهاجرين الأولين للحبشة ابن عم النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد بعث ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة برسالة جاء فيها: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة سلام عليك، فإني أحمد إليك الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخته، كما خلق آدم بيده ونفخته، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا، ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم، ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله ﷻ، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى)).[٣]

والرسالة ابتداءً رحمة للنجاشي ولقومه، ومن الواضح اختلاف أسلوبها عن رسائل الرسول ﷺ لبقية الزعماء، حيث يبدو منها خطاب خاص، ودعوة

---

(١) انظر تفصيلات ذلك في موضوع الهجرة إلى الحبشة من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٢) انظر الهجرة إلى الحبشة، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/١٥؛ وابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٦٨٩.

مباشرة لرجل لديه شيء من الإيمان بما جاء فيها عن الرسول ﷺ.

ومن المؤكد أن النجاشي أصحمة ناقش جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عدة مرات، منها حينما حضر وفد من قريش مطالبًا بإعادة جعفر بن أبي طالب ومن معه من المهاجرين، فعقد لهم أصحمة مجلسًا للمناقشة، وسمع منهم ومن وفد قريش، وأظهرت نتيجة المناقشة ميل النجاشي إلى الحق والإسلام،[١] واستعداده للدفاع عن المهاجرين من الصحابة، وقد رد أصحمة على رسالة النبي ﷺ وأعلن إسلامه وقبوله الهدى والرحمة على يدي جعفر ابن أبي طالب.

ومما جاء في رسالة النجاشي:

(بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله، من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد؛ فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقًا،[٢] إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقًا مصدقًا، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين).[٣]

وكان الصحابة عند ملك الحبشة مكرمين معززين، مما يؤكد الروايات المختلفة على أنه دخل في الإسلام، وكانت بينه وبين الصحابة

---

(١) انظر الهجرة إلى الحبشة من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ﷺ).

(٢) الثفروق: هو قمع التمرة، وقيل: ما يلتصق بالقمع من التمر، الجوهري: الصحاح، ج٤/١٤٥٤.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، ج٤/٦٩٠؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/٨٤؛ وابن الجوزي، وفاء الوفاء في أحوال المصطفى، ج٢/٧٥.

لقاءات عديدة، ورأوا منه كل خير.

وقد ثبت أن الرسول ﷺ بعث رسالة إلى ملك الحبشة أصحمة، ولعله الثاني، ويختلف عن الأول، وحمل الرسالة عمرو بن أمية الضمري في السنة السادسة من الهجرة، وجاء فيها: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا الله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله ﷻ، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى)).[1]

وبعد قراءة النجاشي للرسالة جرت بينه وبين عمرو بن أمية الضمري مناقشات حول المسيح عليه السلام ودعوة النبي ﷺ، وكان من هذا الحوار: (أن عمرًا قال له: يا أصحمة؛ إن عليَّ القول وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا، وكأنا في الثقة بك منك؛ لأنا لم نظن بك خيرًا قط إلا نلناه، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الحز، وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه بخير سالف وأجر ينتظر. فقال النجاشي: أشهد بالله أنه

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ج٤/٦٨٩.

النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل،[١] وأن العيان ليس بأشفى من الخبر، ثم كتب النجاشي جوابًا على كتاب النبي ﷺ.[٢]

ونص الرسالة وبقية الروايات تؤكد إسلام هذا النجاشي على يد عمرو ابن أمية الضمري، والمرجح عندي وعند الكثيرين أنه غير النجاشي الأول الذي هاجر إليه جعفر بن أبي طالب ومن معه، وتدل الروايات على أن النجاشي هذا، واسمه أصحمة بن أبجر، وقد كتب له الرسول ﷺ يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، حيث خطبها النبي ﷺ وهي في الحبشة بعد ردة زوجها ووفاته، فناب أصحمة عن النبي ﷺ في العقد، وأصدقها نيابة عنه.[٣]

وقد حمل عمرو بن أمية الضمري أصحاب رسول الله ﷺ المهاجرين إلى الحبشة على سفينتين، وعاد بهم إلى المدينة أثناء غزوة خيبر، في السنة السادسة من الهجرة، ومعهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان النبي ﷺ يقول: ((ما أدرى بأيهم أسرُّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟)). ولا شك أن الترتيب لسفرهم وعودتهم للنبي ﷺ وتأمين السفر كان بترتيب من النجاشي، وقد عدَّ ابن هشام هؤلاء المهاجرين وأسماءهم، وعقد لذلك موضوعًا خاصًّا سمَّاه (ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة، وحديث المهاجرين إلى الحبشة).[٤]

---

(١) فيه إشارة إلى أن عيسى بشَّر بمحمد ﷺ، كما بشَّر موسى عليه السلام بعيسى عليه السلام.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد، ج٤/٦٨٩، ٦٩٠.

(٣) ابن سعد، سنن النبي ﷺ وأيامه، ج١/٦٠٨؛ وانظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٢٧٣.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣٥٩.

ودلَّت روايات مختلفة أن ملك الحبشة بعث إلى الرسول ﷺ في سنة (٨ هـ) أناسًا من الحبشة، وأنهم غرقوا في البحر قبل وصولهم إلى المدينة.[١]

ووردت روايات صحيحة ومتعددة عند البخاري ومسلم وغيرهما تذكر أن رسول الله ﷺ قد صلى صلاة الغائب على النجاشي لما توفِّي،[٢] مع اختلاف في وقتها، وهذا يدل على إسلامه. ويرى بعض العلماء أنه كان يكتم إسلامه، ولعل هذا هو النجاشي الأول الذي استقبل جعفر بن أبي طالب ومن معه من المهاجرين.

ويذكر بعض المؤرخين أن هرقل علم بإسلام النجاشي، وكان يدفع له مساعدة مالية سنوية، نظرًا لارتباطه الديني والإداري بالروم، فقطع هرقل تلك المساعدة.[٣]

كما وردت روايات تثبت وجود أقوام من أهلها في المدينة، فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: ((لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْمُ عَلَى بَابِ حُجْرَتِي، وَالحَبَشَةُ يَلْعَبُوْنَ بِالحِرَابِ فِي المَسْجِدِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى لَعِبِهِمْ، ثُمَّ يَقِفُ مِنْ أَجْلِي حَتَّى أَكُوْنَ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الجَارِيَةِ الحَدِيْثَةِ السِّنِّ، الحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ)).[٤]

ولا شك في أن تعامل الرسول ﷺ مع الحبشة أفرادًا وجماعات كان في الرحمة والعدل والمساواة على خلاف ما عهدوه من عرب الجاهلية.

---

(١) ابن إسحاق، السيرة، المغازي، ص ٢١٩؛ وابن حجر، الإصابة، ج١/١٠٢.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب (موت النجاشي)، ج٤/٢٤٦.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٦٩٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب نظر المرأه إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة ، ج٦/١٥٩.

فارس:

فارس شعب قوي ودولة قوية، ملاصقة لبلاد العرب، كانت تسيطر على شعوب مختلفة ذات لغات متعددة، وعُرف الفرس في بلاد العرب تجارًا وزائرين وحكامًا، واشتُهر منهم الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه، أثنى عليه ﷺ كثيرًا، وأثنى على أناس من قومه، كما في رواية أبي هريرة رضي الله عنه حين وضع ﷺ يده على سلمان وقال: ((لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء)).[١]

ودولة الفرس كانت تفرض حكمها على بعض المناطق داخل الجزيرة العربية، وخصوصًا في اليمن والبحرين.[٢]

ومرت بمراحل حضارية مختلفة، والمجوسية كانت هي الديانة السائدة في تلك الدولة، وهي ديانة قائمة على عبادة النار وتقديسها، كما وجدت فيها ديانات أخرى، كاليهودية والنصرانية، وانتشرت بين العرب الخاضعين لها في العراق والبحرين وغيرهما.

وكانت تسيطر على أقاليم فارس وخراسان والعراق وبعض الأجزاء من أطراف الجزيرة العربية شرقيها وجنوبها.

وقد قام نظام الحكم الفارسي على تنظيم ملكي استبدادي، يقوم على التمييز بين الناس، وتقسيمهم إلى طبقات مختلفة، لكل منها حدود معينة من الحقوق والامتيازات والواجبات.[٣]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، (تفسير سورة الجمعة)، باب وآخرين منهم... ، ج٦/٦٣.

(٢) يقصد به الشاطئ الغربي للخليج (منطقة القطيف والأحساء وما جاورها).

(٣) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٣٠؛ وول ديورانت (*Will Durant*)، قصة الحضارة، م١ ج٢/٤١٥.

وكان الملك الساساني الفارسي في نظرهم صاحب حق إلهي، يفرض ما يشاء من نظام، ويوقع ما يشاء من عقوبات في حق مخالفيه، كما كان الملك يشرف بنفسه على التفرقة بين الناس حسب النظام الطبقي المتبع، وكل من يخالف ذلك يتعرض لعقوبات تصل إلى القتل.(١)

وبالتالي كان الكثير من الظلم يقع على الناس، والضعفاء منهم خصوصًا.

وتعتمد الدولة على جيش قوي ومنظم، يميز أفراده عن بقية الناس.(٢)

والملك يدير دفة الحكم بنفسه، وكان هناك متعهدون يقومون بجباية الضرائب من العمال والفلاحين وعامة الناس، وهو ما زاد شعور الناس بالظلم.(٣)

وقد دخلت الدولة الفارسية قبيل الفتح الإسلامي في حرب مع الروم، دفعتها إلى زيادة الضرائب والمكوس على رعاياها، وهو ما زاد إحساس الناس بالظلم، ومهد ذلك للمقارنة مع عدل المسلمين ورحمتهم عند ظهور الإسلام، ووصول أخباره عند الفتح.(٤)

وكسرى الذي عاصر الرسول ﷺ، وكتب له كتبًا هو كسرى (أبرويز)، وتعني المظفر، وهو ابن هرمز الرابع حفيد كسرى الأول المعروف بـ (أنو شروان)، وقد كان ملكًا قويًّا جبارًا.(٥)

---

(١) د. يحيى الخشاب، تفسير أقدم نص عن النظم الفارسية قبل الإسلام، ص ٤٨.

(٢) يحيى الخشاب، مصدر سابق، ص ٤٨.

(٣) أرثر كرستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص ٥٨.

(٤) عبد العزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ٩٥ ـ ٩٧.

(٥) الطبري، تاريخه، ج١٣٧/٢.

وصل ما لم يصل إليه سلفه من قوة بعد انتصاره على الروم (البيزنطيين) سنة (٦١٥م)، حتى تمكن هرقل من دحر الفرس عن بلاده، وهجم على مركز المملكة الساسانية، حتى اضطر كسرى أبرويز أن يغادر عاصمته، ويلجأ إلى مكان آمن، وما لبث أبرويز أن قُتِلَ في ثورة سنة ٦٢٨م بعيد وصول رسالة رسول الله ﷺ.[١]

بعد صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة كان ضمن الرسائل التي بعثها رسول الله ﷺ إلى الزعماء والملوك الكتابة إلى كسرى[٢] مع عبد الله بن حذافة السهمي،[٣] فأمره أن يدفعوها إلى عظيم البحرين، فدفعها عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يمزقوا. وجاء في كتابه ﷺ إلى كسرى: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله. أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة؛ ليُنذر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس)).[٤]

حمل الكتاب الهدي والرحمة لكسرى وشعبه لو قبِلَه، كما حمَّله مسؤولية شعوب المجوس المظلومة، وعدم السماح لهم باتباع نبي الرحمة ﷺ.

---

(١) أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص ٣٠٠.

(٢) البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، ج١٣٦/٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٦٠٧/٤؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٥٧.

(٤) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٥٦؛ وابن سعد، الطبقات، ج٢٦٠/١؛ وابن القيم، زاد المعاد، ج٦٨٨/٣.

فلما وصل كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى أبرويز، وقرئ عليه أخذه الكِبر والجبروت، وغضب على الرسول ﷺ، ومزق كتابه، فكانت دعوة رسول الله ﷺ عليه: ((أن يمزقوا كل ممزق)).[١]

ولم يقف عند هذا الحد في تكبره وتجبره، فكتب إلى باذان عامله على اليمن ـ وكانت للفرس سيطرة عليها منذ سنة ٥٧٥ م:[٢] (ابعث من عندك رجلين إلى هذا الرجل بالحجاز)،[٣] وطلب منه أسر الرسول ﷺ والإتيان به؛ ليعاقبه بما يريد، فبعث باذان حاكم اليمن إلى رسول الله ﷺ رجلين شديدين، فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ، فكلماه فقالا: شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثنا إليك لتنطلق معنا، فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكفه عنك، وإن أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك، ثم قال ﷺ: ((ارجعا حتى تأتياني غدًا، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء: أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله)).[٤]

فدعاهما فأخبرهما، فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا، فنكتب بها عنك بهذا، ونخبر الملك باذان؟ قال: ((نعم؛ أخبراه ذلك عني، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى، وينتهي إلى الخف والحافر))، وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك،

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، ج٥/١٣٦.

(٢) عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، اليمن في صدر الإسلام، ص ٢٨.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/٢٥٧.

(٤) من رواية ابن أبي شيبة، في المغازي، ص ١٥٥؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج١/٢٦٠.

وملّكتك على قومك من الأبناء، ثم أعطاهما شيئًا من ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك. فخرجا من عنده، حتى قدما على باذان، فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبيًّا كما يقول وليكوننّ ما قد قال، فلئن كان هذا حقًّا فهو نبي مرسل، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا. فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه: أما بعد؛ فإني قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضبًا لفارس ...

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال: إن هذا الرجل لرسول الله، فأسلم الأبناء من فارس من كان منهم باليمن. قال: وقد قال باذويه لباذان: ما كلّمت أحدًا أهيب عندي منه، فقال له باذان: هل معه شرط؟ قال: لا.[١]

وتذكر الروايات أن قتل كسرى الذي أشار إليه الرسول ﷺ كان على يد ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليالٍ من جمادى الآخرة سنة تسع من الهجرة.[٢]

وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله))،[٣] كما يشير الرسول ﷺ إلى سقوط المدائن عاصمة الفرس في يد المسلمين في قوله: ((لتفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى في القصر الأبيض)).[٤]

لقد كانت تلك البشارات تعني زوال الظلم عن شعوب فارس، ونزول

---

(١) باختصار من ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٥٠٩، ٥١٠.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٥١٢.

(٣) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٥١٣.

(٤) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٤٢.

الرحمة والعدل والهدى والتوحيد بينهم.

وأما رد فعل باذان ملك اليمن بعد وصول الرسولين إليه فكان السماع منهما لتقرير دقيق عمَّا رأيا من حال رسول الله ﷺ، وسمعا ممن حوله ﷺ. وورد أن باذان أسلم، وقال: (إن هذا لرسول)،[١] (وإن كان حقًّا فلا يسبقني أحد من الملوك في الإيمان به)، فأسلم، وأسلمت الأبناء معه من فارس باليمن،[٢] ولذلك عد كثير من أبناء الفرس في اليمن من الصحابة وحملة الهدى والرحمة في اليمن.

وتذكر الروايات أنه وفد بعضهم على رسول الله ﷺ في المدينة في أواخر حياته،[٣] كما كان لأبناء باذان وغيره من أمراء الفرس في اليمن دور كبير في الوقوف مع أمراء الرسول ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه وغيره من الأمراء رضي الله عنهم أثناء ولايتهم اليمن للرسول ﷺ، حيث شاركوا في القضاء على ردة الأسود العنسي الكذاب مدعي النبوة، وإعادة الإسلام إلى اليمن، بعد ردة الكثيرين من القبائل في خلافة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه.[٤]

وقد بدأ المسلمون فتوحهم في بلاد فارس أثناء خلافة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وكانت أشد المعارك معهم معركة القادسية، التي قادها من جانب المسلمين سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكانت أهداف المسلمين واضحة، وإيمانهم بوعد رسول الله ﷺ بالرحمة لأهل فارس، وفتحها، وإسقاط الظلم عن أهلها، وتحرير عباد الله من عبودية البشر؛ معروفة عند أواسط المسلمين.

---

(١) انظر: ترجمته عند ابن حجر في الإصابة، ج١/١٧٠.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٥١٠.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٢/٦٥٦.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٤.

وقد تم فتح المدائن عاصمة الفرس، والمناطق القريبة منها، بقيادة سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه.[1]

وكان هذا النصر مصداق ما أخبر به ﷺ عن سقوط كسرى ودولته وكنوزه بعد عناده ورفضه لرسالة الرسول ﷺ وتمزيقها بقرابة تسع سنوات؛ ولا أشك في أن سلمان الفارسي رضي الله عنه وغيره من الصحابة قد علم بنفسه من رسول الله ﷺ ما وعد من فتح بلاد فارس عامة، والمدائن خاصة، وتحرير أهلها، وغنيمة المسلمين لكنوزها، كما أن سلمان الفارسي رضي الله عنه كان أول أمراء المسلمين على المدائن، بعد فتحها زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان يمثل الإسلام أمام الفرس بتواضعه وزهده وحسن تعامله مع الناس، فكان له ولغيره من الصحابة أثر كبير في انتشار الإسلام بين الفرس، وعموم الرحمة بينهم، وهو الذي تعلم على يد رسول الله ﷺ، كما كان لأهل فارس مساهمة كبرى بين سائر شعوب الأمة في العلوم الشرعية وغيرها، وفي النهضة الحضارية للأمة الإسلامية.

الروم:

تعد دولتهم أقوى الدول المعاصرة للرسول ﷺ، وتحكم عددًا من الشعوب متعددة اللغات في ثلاث قارات، وقد تحدث القرآن الكريم عن الروم في سورة أنزلت في مكة، وسميت بسورة الروم، وجاء فيها: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٠ ـ ١٣١؛ وانظر: عبد العزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١٢٤ ـ ١٣٣.

كانت تدور الحروب في تلك الفترة بين الروم والفرس في نواحي فِلسطين والأردن، وضحاياها من شعوب الدولتين.

ومن المعروف أن مصر والشام وشمال إفريقيا كانت ولايات تابعة لإمبراطورية الروم البيزنطية، وقد كان المسيطر الفعلي على الحكم في هذه الإمبراطورية هو الملك نفسه (الإمبراطور) الذي اتخذ القسطنطينية عاصمة له.(١)

وكان عامة الرعايا مصابين بأضرار كبيرة، وخصوصًا في الشام ومصر والجزيرة وغيرها؛ نظرًا للمد والجزر في الحروب مع الفرس قبيل الإسلام، كما أن نظام الضرائب المفروض في الولايات الرومية كان يشعر الناس بالإرهاق.(٢)

كانت الديانة العامة للدولة ورعاياها هي النصرانية، حيث كان لرجال الدين النصارى مكانة خاصة في الدولة، وكان رجال الكنيسة يفرضون أوامرهم على الناس بصرامة.

إضافة إلى العداء بين الكنائس؛ مما أوجد كرهًا شديدًا بين الأقباط والرومان.(٣)

كان ملك الروم وزعيمهم وإمبراطورهم في العصر النبوي هرقل ٦١٠ ـ ٦٤١م، وهو من أسرة يونانية، ولد في قرطاجنة ـ تونس حاليًا ـ وكان والده

---

(١) ستيفن رونسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ٨٩.

(٢) نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٧٣؛ ورنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص١١٢؛ وصبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٢٤.

(٣) العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ٩٧، ٩٨، ٩٩؛ أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وأخلاقهم، ج١/١٣٨.

حاكمًا يونانيًّا عليها، وقد استُدعي هرقل إلى العاصمة القسطنطينية، ومُلِّك على الروم في فترة صراع مع الفرس، وقد نجح في هزيمة الفرس، واستعادة قوة الروم مرة أخرى وهيبتها: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾ [الروم]. كان ذلك سنة ٦١٦م، وكان هرقل قائدًا نصرانيًّا تمكن من الفرس، وانتصر عليهم.

وصل في نفس الفترة كتاب الرسول ﷺ الذي يحمل الرحمة والهدى، ويحمِّله مسؤولية المستضعفين وهدايتهم، وتبليغهم دين الله ورحمته.

وكان مما جاء فيه كما ثبت في "الصحيحين" أنه كتب إلى هرقل: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى: أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران]))[1] والأريسيُّنَ هم الأُجراء والعمال والفلاحون وعوام الناس والمستضعفون بوجه عام، الذين يحول هرقل بينهم وبين سماع الإسلام.

وقد وجه رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي بالرسالة إلى هرقل، وكان دحية من قوم محتكين بالروم في الشام، حيث تقع قبيلته كلب في

(١) البخاري، صحيحه، كتاب بدء الوحي، من ح برقم: (٧)؛ وابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٦٨١.

الأطراف الجنوبية لبلاد الشام،[١] وبالتالي يعرف كيفية الوصول إلى الإمبراطور هرقل والحديث معه.

ولما وصل كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل فزع فزعًا شديدًا، وهو من علماء النصارى المعدودين فيهم، مع كونه ملكهم، واهتم للرسالة، وحاول الحصول على أكبر قدر من المعلومات، فطلب أن يؤتى بأحد من قوم النبي ﷺ وممن يعرفونه، وكان أبو سفيان بن حرب - ولم يسلم بعد - في نواحي بيت المقدس في تجارة لقريش بعد صلح الحديبية، فجيء به مع من معه من تجار قريش إلى هرقل؛ لكي يسأله عن النبي ﷺ، فلما كانوا بحضرة هرقل سأل وناقش عن طريق الترجمان. وقد أورد البخاري ذلك، فقال: ((إن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارًا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء،[٢] فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم، ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبًا. فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبًا لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم

---

(١) السمعاني، الأنساب، ج١٠/٤٥٢.

(٢) بيت المقدس.

ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها؟ قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت: أن لا. فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قَبله لقلت: رجل يتأسى بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت: أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت: أن لا. فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله. وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن

أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه، فإذا فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فان توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران]. قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات، وأُخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أَمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقنًا أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام")).[1]

من الطبيعي جلوس هرقل مع دحية حامل الرسالة ومناقشته، خصوصًا أنه ظهر في رواية البخاري وغيره اهتمام هرقل بالأمر، مما يدل على قناعته بصدق الرسول ﷺ، وإن لم يُظهر الإسلام.

لقد كان واضحًا معرفة هرقل بصدق النبي ﷺ، وأنه ما دعا إلا إلى حق ورحمة وهدى، وأنه نبي المختتين، نبي آخر الزمان، وكان على يقين من نصر الله له، وبأن الله سيحقق له ما وعد من انتشار دينه وغلبة دعوته.[2]

---

(١) البخاري، كتاب الإيمان، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟، ج١/٤.

(٢) انظر: صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟، ج١/٤؛ وانظر: شروح وروايات ابن حجر على الحديث في فتح الباري؛ وانظر: رواية الإمام مسلم في صحيحه، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ج٥/١٦٤.

وهكذا صدق في هرقل قوله ـ تعالى ـ في سورة الروم: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٩ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم]، وقوله ـ تعالى ـ في سورة الروم: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٥٢ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٥٣﴾ [الروم]. وفي قوله في سورة الروم: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٥٧﴾ [الروم].

ولعل الإنسان يتوقف قليلاً مع هذه الشواهد القرآنية في سورة الروم، ويرى أن ورودها في السورة كأنما يشير إلى موقف ملكهم وزعمائهم، وفي ذلك آية عظيمة لمن اعتبر.

وقد تحدث هرقل بوضوح عن أن انتصار للمسلمين قادم في مستقبل الأيام القريبة، وامتداد دولتهم إلى ما تحت قدميه. ويعني بذلك فِلسطين وبقية بلاد الشام.

فكان أول احتكاك عسكري بين الروم والمسلمين في معركة (مؤتة)، التي قادها زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ وصاحبه ومن أحب الناس إليه ﷺ، وكانت نتيجة تلك المواجهة الأولى استشهاد عدد من أصحاب رسول الله ﷺ.(١)

ثم جاءت غزوة تبوك في أيام الرسول ﷺ، التي قادها ﷺ بنفسه، وكان هدفه الروم وأطراف دولتهم الجنوبية، حيث عسكر الرسول ﷺ ومن معه قرابة الخمسة عشر يومًا، بث خلالها العديد من السرايا في المناطق المجاورة، واتصل بعدد من زعماء المدن والقبائل المحيطة والداخلة في حدود

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣٨٢؛ والواقدي، المغازي ج٢/٧٦٥.

الروم، وعقد معهم معاهدات واتفاقيات خاصة على مسمع من هرقل ومرأى منه، وذكرت الروايات عدم احتكاك الروم بجيش الرسول ﷺ، حيث أصيب هرقل هزيمةً معنوية، رغم قوته العسكرية وقدرته على المواجهة.

ومن الواضح تعدد المراسلات بين النبي ﷺ وهرقل، وبروز اسم دحية الكلبي حاملاً للرسائل ومحاورًا لهرقل،[١] وقد ذكر أن دحية الكلبي حمل كتابًا إلى هرقل في آخر حياة الرسول ﷺ، وكان هرقل مترددًا في الرد على الرسول حتى أتاه خبر وفاة رسول الله ﷺ.[٢]

وقد عاش هرقل بعد ذلك حتى رأى بنفسه وقوع أجزاء كبيرة من مملكته في الشام وفي فِلسطين وبيت المقدس خصوصًا بيد المسلمين، حيث انتصر المسلمون في أكبر معاركهم مع الروم في موقعة اليرموك.[٣]

وصدق قوله: ليملكنّ ما تحت قدمي هاتين، فكانت البداية في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، والتمام في عهد عمر من بعده رضي الله عنه، حيث أطلق هرقل حسرة وهو يخرج من أرض الشام تاركًا إياها للمسلمين الذين أخذوها بالقوة مودعًا وداعًا أبديًّا: "سلام عليك يا أرض سوريا تسليم الوداع، لا لقاء بعد اليوم".[٤]

---

(١) انظر: فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ٤٥.

(٢) السهيلي، الروض الأنف، ج٤/٢٤٩.

(٣) صحيح البخاري، فتح الباري، ج ١٦/١٠٠؛
ابن زنجويه، الأموال، ص ١٢٣ ـ ١٢٥؛ وانظر تخريج الرواية عند: محمد عبد الله عنان الصبحي، مرويات الوثائق المكتوبة من النبي ﷺ، (رسالة دكتوراه ـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة)، ص ٦٤٥؛ وقد أورد الطبراني في معجمه نص رسالة لهرقل يحتمل أنها هذه الرسالة (انظر: المعجم الكبير، ج ٨/١٤ ـ ١٦).

(٤) الأزدي، فتوح الشام، ص ٢٣١؛ الطبري، تاريخه، ج٤/٣٨؛
ابن حجر، فتح الباري، ص ٤٣؛ الطبري، تاريخه، ج٤/١٥٦.

لقد كان واضحًا من أحداث السيرة النبوية، وما نقلته السنة، رحمة الرسول ﷺ بالشعوب الواقعة تحت سلطة دولة الروم، وحبه لهدايتهم ابتداءً من مَلكهم هرقل وانتهاءً بعوام المستضعفين منهم، وهم من سماهم كتاب الرسول ﷺ بالأريسيين. وحين حدَّث الرسول ﷺ عن الفتوح في بلادهم أوصى بالرحمة مع مَنْ لم يقاتل منهم، واعتزل في الأديرة وغيرها. ومن المعروف أن أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه تلميذ رسول الله ﷺ وجَّه فيما تعلمه منه ﷺ: ((لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخًا ولا امرأةً، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)).[1]

مصر:

مصر بلد مشهور بالحضارة منذ القدم. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم أكثر من مرة، من ذلك في قصة يوسف عليه السلام في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف]، كما جاء الحديث عنها مطولاً في حياة موسى عليه السلام وقصته مع فرعون، وذكر بلفظه في القرآن الكريم على لسان فرعون: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا

(١) انظر الحديث عن هذه الوصايا في كتابي: (الفتوح الإسلامية عبر العصور)، ط٤ ـ ص٩٦؛ وصبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٣٠٩.

تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف]، وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يونس]، كما ورد الحديث عنه في آيات متعددة دون تسميته.(١)

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ أخبر في أكثر من مرة بأن مصر ستفتح للمسلمين، ومن ذلك قوله ﷺ: ((ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا)).(٢)

وفي زمن النبي ﷺ كان يتزعم مصر المقوقس سايروس (*CYRUS*)، وهو رجل دين على مذهب القسطنطينية، يوناني الأصل، كان أميرًا على مصر من قبل هرقل، وأسقفًا على الإسكندرية في الوقت نفسه.(٣)

كان سكان مصر عند بعثة النبي ﷺ من الأقباط، وهم أهل البلاد الأصليون، يخالطهم مجموعة كبيرة من الروم، وخصوصًا في الإسكندرية في الشمال، وفي المناطق العسكرية والإدارية، وكان الروم يمثلون سلطة القسطنطينية وإمبراطور بيزنطة، وهم في الغالب من الجنود والموظفين، بالإضافة إلى بعض رجال الدين المسيحيين،(٤) ومنهم المقوقس، وهم على مذهب الطبيعة الواحدة في المسيح، وكان مذهب القبط هو المذهب (*Monothelema* اليعقوبي) النصراني، ويختلف عن المذهب السائد في

(١) انظر: السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ص ٧ ـ ١٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، ح برقم: ٢٥٤٣؛ وانظر: السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ص ١١.

(٣) ابن الكندي، تاريخ ولادة مصر، ص ١٥.

(٤) المقريزي، القول الإبريز، ص ٤٣.

القسطنطينية بين الروم وهو مذهب (*Monophusitai* النساطرة).[١]

وهناك شيء من التنافر بين المذهبين، مما يعني تنافرًا بين سلطة الروم السياسية المسيطرة على مصر وغيرها، وبين شعب القبط سكان مصر الأصليين وكنيستهم القبطية، مما دفع الروم إلى مضايقة عدد من رجال الدين الأقباط وإبعادهم،[٢] والقسوة معهم. كما دخلت مصر في الصراع الرومي الفارسي، فوقعت في يد الفرس (سنة ٦١٦م)،[٣] ثم أُجْلِيَ الفرس عنها (سنة ٦٢٣م)، بعد انتصار الروم ومعاهدتهم للفرس، وكان ﷺ يتابع أخبار البلدان والصراع بين الفرس والروم، وتأتيه الأخبار من السماء، وجزء من هذا الصراع هو الوارد في سورة الروم ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [الروم].

وحينما عاد الرسول ﷺ من صلح الحديبية كتب كتابًا إلى المقوقس عظيم القبط، وهو حاكم مصر وأُسقُفُّها من قبل الروم، وجاء في الكتاب: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط؛ سلام على من اتبع الهدى، أما بعد؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فان توليت فعليك إثم القبط، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران])).[٤]

---

(١) هـ. أيدرس بل، مصر من الإسكندر حتى الفتح العربي، ص ١٩٢.

(٢) المقريزي، القول الإبريز، ص ٤٣.

(٣) هـ. أيدرس بل، مصر من الإسكندر حتى الفتح العربي، ص ١٩٢.

(٤) انظر تخريجه عند: محمد عبد الله غبان، مرويات الوثائق المكتوبة من النبي ﷺ وإليه، ص ٦٧٣ ـ ٦٧٥.

وقد اختار رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة لحمل الرسالة،[١] وقد تمكن من الوصول إلى المقوقس، فسلمه كتاب رسول الله ﷺ فأكرمه. وكان أُسقُفًّا، فجمع البطارقة، وحاول مناقشة ومحاجة حاطب بن أبي بلتعة، فكان من ذلك قوله: إذا كان نبيًّا فما باله لم يدع على قومه حين أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ فرد عليه حاطب فقال له : فما بال عيسى حين أخذه قومه، وأرادوا أن يصلبوه لم يدعُ عليهم بأن يهلكهم الله قبل أن يرفعه إلى السماء الدنيا؟ فقال له: أنت حكيم قد جاء من عند حكيم، ثم رد على رسول الله ﷺ بكتاب لم يذكر فيه إسلامه، مع أنه فهم ما دعا إليه رسول الله ﷺ. وجاء في كتابه: (لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد؛ فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيًّا قد بقي، وكنت أظنه بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وبثياب، وأهديت لك بغلة تركبها، والسلام).[٢]

ومن الواضح محاورة المقوقس لحاطب أكثر من مرة وقناعته بنبوة الرسول ﷺ وأن أصحابه سينزلون مصر، ويظهرون عليها.[٣]

وبعث هدايا إلى رسول الله ﷺ، منها: مارية القبطية التي أصبحت أم إبراهيم ابن النبي ﷺ، مع جارية أخرى،[٤] وكذلك غلام أسود، وخُفَّانِ ونعل.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٧٠٦؛ وابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١٠/٢٦؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٠٠.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج١/٢٦٠؛ ومحمد أبا شهبة، السيرة النبوية، ج٢/٣٦٢.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٣/٥٣١؛ وابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٤٥ ـ ٤٧؛ وانظر: فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية، ص ٥٤.

(٤) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٥١٥.

ومن الواضح من كتاب المقوقس احترامه لرسول الله ﷺ، ومعرفته لآخر الأنبياء وخاتمهم، ولم يبد فيه ما يظهر إسلامه مع معرفته بالحق، ولعله آثر الدنيا والمناصب والملك على الدين والآخرة، وسار على طريق هرقل في معرفة الحق والإعراض عنه، وكان على يقين بأخذ المسلمين لمصر وفتحها، كما كان المسلمون على يقين بذلك، وهو ما حدث في حياة المقوقس نفسه.

ففي سنة (٢٠هـ) انطلق عمرو بن العاص رضي الله عنه من الشام إلى مصر فاتحاً بأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأخذها من الروم بالقوة، وبتعاون أهل مصر من الأقباط.[١]

وحين سمع المقوقس بصفات المسلمين وعدلهم قال: لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها.[٢]

وأصبحت للمسلمين السيطرة على مصر سنة (٢١هـ).[٣]

وساهم أهل مصر في حضارة الإسلام عبر العصور اللاحقة وإلى يومنا الحاضر، وفي انتشار الإسلام، والدفاع عن بلاد المسلمين عبر العصور المختلفة.

رحمته ﷺ بأمته الوسط والشهيدة على الناس:

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢١٤؛ والمقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢٨٨/١؛ وانظر: عبدالعزيز العُمري، الفتوح الإسلامية، ص ١٠٣.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢٤/١؛ والمقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج٢٩٩/١.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٥٠ ؛ والبلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٢٢.

ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج، من الآية: ٧٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل، من الآية: ٨٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف، من الآية: ٤٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [البقرة].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة، من الآيتين: ١٥، ١٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران، من الآية: ١٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران، من الآية: ١١٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات].

وعن عائشة أم المؤمنين ﵂ أن رسول الله ﷺ صلى ذات ليلة في المسجد، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة، فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: قد رأيت الذي صنعتم، ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم وذلك في رمضان.(١)

وعن أبي مسعود الأنصاري ﵁ قال: قال رجل: يا رسول؛ الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان. فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضبًا من يومئذ، فقال: ((أيها الناس؛ إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة)).(٢)

---

(١) من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، ج٢/٢٥٢.

(٢) من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، ج١/٣١.

وفي رواية: ((وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء)).[١]

وعن أنس بن مالك ﷺ في حديث المعراج بالنبي ﷺ الطويل، وفيه... قال النبي ﷺ: ((ففرض الله ﷻ على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك. فراجعت، فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق. فراجعت، فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال: ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك، فقلت: استحييت من ربي)). الحديث...[٢]

وعن يزيد بن ثابت ﷺ قال: خرجنا مع النبي ﷺ، فلما ورد البقيع، فإذا هو بقبر جديد، فسأل عنه قالوا: فلانة. قال: فعرفها، وقال: ألا آذنتموني بها؟، قالوا: كنت قائلاً صائمًا، فكرهنا أن نؤذيك. قال: فلا تفعلوا، لا أعرفن ما مات منكم ميت ما كنت بين أظهركم إلا آذنتموني به، فإن صلاتي عليه له رحمة. ثم أتى القبر، فصففنا خلفه، فكبر عليه أربعًا.[٣]

---

(١) من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، ج١/١٧٣.

(٢) من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة ... ، ج١/٩١.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على القبر، ح برقم: ١٤٤٨، ج١/٤٨٩.

عن أبي هريرة ونافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر ﭫ أنهما حدثاه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم)).(١)

وعن عبد الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ ﭬ أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداعِ بمِنى للناسِ يسألونه، فجاءه رجل، فقال: لم أشعر، فحلقت قبل أن أذبح. فقال: ((اذبح ولا حرج)). فجاء آخر، فقال: لم أشعر، فنحرت قبل أن أرمي. قال: ((ارمِ ولا حرج)). فما سئل النبي ﷺ عن شيء قُدِّمَ ولا أُخِّرَ إلا قال: ((افعل ولا حرج)).(٢)

وعن أبي هريرة ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا)).(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة].

وعن عائشة ﭭ قالت: ((لما مرض النبي ﷺ مرضه الذي مات فيه، أتاه بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر فليصل، قلت: إن أبا بكر رجل أسيف، إن يقم مقامك يبكي، فلا يقدر على القراءة. فقال: مروا أبا بكر فليصل، فقلت مثله. فقال في الثالثة أو الرابعة: إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل، فصلى، وخرج النبي ﷺ يُهادى بين رجلين، كأني أنظر

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر، ج١/١٣٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب من حلق قبل النحر، أو نحر قبل الرمي، ج٤/٨٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كِتَاب الإِيمَانِ، بَاب اخْتِبَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، ج١/١٣٠.

إليه يخط برجليه الأرض، فلما رآه أبو بكر ذهب يتأخر، فأشار إليه أن صل، فتأخر أبو بكر ﷺ، وقعد النبي ﷺ إلى جنبه وأبو بكر يسمع الناس التكبير)).[١]

ولا شك أن إصرار الرسول ﷺ على إمامة أبي بكر ﷺ، كان حرصًا على الأمة واستقامتها، وأن يكون خيرهم من بعده هو إمامهم في الصلاة، وفي غيرها رحمة بهم وشفقة عليهم.

وروى أنس بن مالك ﷺ قال: ((بينما نحن في المسجد مع رسولِ اللّه ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسولِ اللّه ﷺ: مه مه، فقال رسول اللّه ﷺ: "لا تزرِموه، دعوه". فتركوه حتى بال، ثم أتى رسول اللّه ﷺ، فقال: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البولِ والقذرِ، إنما بني لذكرِ اللّه والصلاة وقراءة القرآنِ". فأمر رجلاً من القومِ، فجاء بدلوٍ من ماء، فرشه عليه)).[٢]

وعن عائشة ﷺ قالت: ما ضرب رسول اللّه ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل اللّه، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم اللّه، فينتقم للّه ﷻ.[٣]

كما علَّم الأمة الشفقة والتجاوب وعدم أذية الآخرين، فإن "سباب المسلم فسوق" كما صح بذلك الحديث عن الصادق المصدوق ﷺ وعلى آله، وضرب المسلم وغير المسلم بغير وجه حق حرام، فعن عبد اللّه بن مسعود ﷺ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب من أسمع الناس تكبير الإمام، ج١/١٣٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَاب وُجُوبِ غَسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ، ج١/١٦٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كِتَاب الْفَضَائِلِ، بَاب مُبَاعَدَتِهِ ﷺ للآثام ... ، ج٧/٨٠.

عن النبي ﷺ قال: ((أجيبوا الداعي، ولا تردوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين)).[١]

ولعل تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله من الرحمة والعطف والتسامح، هو من أهم أسباب تراحم الأمة فيما بينها.

وعن أبي سعيد ﷺ: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله؛ ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله. فقال: ((اجتمعن في يوم كذا وكذا، في مكان كذا وكذا)). فاجتمعن، فأتاهن رسول الله ﷺ، فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: ((ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجابًا من النار)). فقالت امرأة منهن: يا رسول الله؛ أو اثنين، قال: فأعادتها مرتين، ثم قال: ((واثنين واثنين واثنين)).[٢]

كان ﷺ حريصًا على توفير ما يحتاجه المسلمون في المدينة، وخصوصًا الماء، ولذلك طلب رسول الله ﷺ من الصحابة السعي لذلك بشراء بئر محددة، فقال: ((من يشتري بئر رومة، فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له في الجنة))،[٣] فلما بلغ عثمان ذلك اشتراها، وجعلها للمسلمين،[٤] وكان ذلك العمل بتشجيع من رسول الله ﷺ، رحمة بالمسلمين وتوفيرًا لحاجتهم من الماء.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود، ج١/٤٠٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل، ج٨/١٤٩.

(٣) صححه الألباني في السلسلة، ج٢/٧٦٦؛ وانظر تخريجه عند: الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٤٨.

(٤) انظر: فتح الباري، ج٥/٤٠١، الحكمة في الدعوة إلى الله.

وأوجب الإسلام الإصلاح بين المسلمين في حال النزاع، والوقوف ضد الباغي، والاستمرار في الإصلاح، في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات].

كما نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة،[1] وعن احتقار بعضهم بعضًا، فقال: ((بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)).[2]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢]، وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت].

رحمته ﷺ بالأجيال اللاحقة:

كان ﷺ محبًّا لمن يلحق به من أمته، لا يفتأ يذكرهم، ويدعو لهم، وقد جاءت الآيات عنهم في كتاب الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر]، فكانت هذه عامة لمن جاء

---

(١) انظر: سنن الترمذي، كتاب البر، باب ما جاء في الغيبة، ج٤/٣٢٩.

(٢) رواه الترمذي في كتاب البر، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، ح برقم: ١٩٢٧، ج٤/٣٢٥؛ والإمام أحمد في مسنده، ج٣/٤٩١.

بعدهم، ولذلك رأى عمر ﷺ الامتناع من قسمة الأرَضينَ بين من افتتحها، ورأيه هذا إشارة إلى الأجيال القادمة.(١)

وحين ضحى رسول الله ﷺ تذكر من لم يُضحِّ من أمته، وضحى بكبش أقرن، وقال: ((اللهم هذا عن من لم يُضحِّ من أُمتي)).(٢)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم]، وقول عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة]، فرفع يديه وقال: ((اللهم أمتي أمتي))، وبكى، فقال الله ﷻ: ((يا جبريل؛ اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسله: ما يبكيك؟)) فأتاه جبريل عليه السلام، فسأله، فأخبره رسول الله بما قال ـ وهو أعلم ـ، فقال الله: ((يا جبريل؛ اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك)).(٣)

وقد ورد ما عُرِفَ بحديث الشفاعة الطويل من حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)).(٤)

---

(١) انظر: أبا يوسف، الخراج، ص ٢٣؛ وأبا يعلي، الأحكام السلطانية، ص ١٦٦.

(٢) انظر حديث جابر بن عبد الله في سنن أبي داود، كتاب الضحايا، باب في الشاة يضحي بها عن جماعة، ح برقم: ٢٨١٠، ص ٤٩٩، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم، ج١/١٣٢.

(٤) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن (سورة بني إسرائيل)، باب قوله تعالى ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾، ج٥/٢٢٥.

ثم قال: ((وهل تدرون مم ذاك؟!! يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟!! ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم. فيأتونه فيقولون: يا آدم؛ أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة، فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: إن ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي، نفسي، نفسى ...، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا عند ربك؟ فيقول: إن ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي، نفسى، نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى إبراهيم...، فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبي الله، وخليله في أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات، فذكرها، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: أنت رسول الله، فضلك برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى قد قتلت نفسًا لم أُومر بقتلها، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى عيسى؛ فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى،

أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلَّمت الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي، نفسى، نفسى. اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدًا ﷺ، وفى رواية: فيأتوني، فيقولون: يا محمد؛ أنت رسول الله ﷺ وخاتم الأنبياء، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربى، ثم يفتح الله علىّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تُعطَ، واشفع تُشفّع، فأرفع رأسي، فأقول: يا ربى أمتي)).[1]

الرحمة بالحيوانات والطيور:

الحيوان لم يأت بلفظه بنفس المعنى المتعارف عليه في القرآن الكريم، وإنما جاء لفظ الدابة شاملاً معنى الحيوان، حيث تستخدم العرب لفظ الدابة للدلالة عليه، ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم، قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، باب ذرية من حملنا مع نوح، ج٥/٢٢٥؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ج١/١٢٤؛

ورواه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، ج٥/٣٠٨، ح برقم: ٣١٤٨؛ وانظر جزءًا من الرواية عند البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾، ج٥/٢٢٧.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النحل].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [لقمان].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الشورى].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الجاثية].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة].

وبالتالي فالحيوان من الدواب التي تدب على الأرض.

تعريف الحيوان:

جنس الحي،[1] والحيوان في الأصل: مقر الحياة.

والحيوان مأخوذ من الحياة نقيض الموت. كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت]، وتستعمل على أوجه؛ الأولى: للقوة النامية الموجودة في النبات والحيوان، ومنه قيل: نبات حي: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء، من الآية: ٣٠].

والثانية: للقوة الحساسة، وبه سُمِّي الحيوان حيوانًا، والثالثة: للقوة العاقلة، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام، من الآية: ١٢٢]

وقال الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا

ولكن لا حياة لمن تنادي

وفي التعريفات الحديثة والمترجمة للحيوانات (بالإنجليزية: *Animalia* أو *Metazoa*): مجموعة أساسية من الكائنات الحية، تصنف باعتبارها مملكة حيوية مستقلة باسم مملكة الحيوانات، تتصف الحيوانات بشكل عام بأنها عديدة الخلايا، قادرة على الحركة والاستجابة للمتغيرات البيئية، كما

(١) الفيروز آبادي: (القاموس المحيط، ط١ ـ القاهرة: ١٣٠٦هـ).

أنها تعتبر كائنات مستهلكة؛ لكونها تتغذى على الكائنات الأخرى من نباتات وحيوانات.(١)

ولا توجد بيئة إنسانية إلَّا وفيها من أنواع الحيوانات، وخصوصًا المستأنسة منها، كذلك كانت البيئة التي عاش فيها ﷺ في مكة والمدينة وغيرها، وورد الحديث عنها في القرآن والسنة.

حيوانات ذُكِرَت في القرآن الكريم:(٢)

ذُكرت في القرآن الكريم العديد من أنواع الحيوان: كالغنم والضأن والمعز، والإبل والبقر والحمير والفيل، والحوت، إضافة لما ذُكر من ذوات الأرواح الأخرى، ومنها ما عُرف علميًّا باستقلاله عن الحيوان، لكنه من ذوي الأرواح، كالطيور، مثل: الهدهد، والغراب، وما عُرف لدى البعض بالحشرات: كالنمل، والعنكبوت، والنحل، والذباب، والبعوض، وحالها يختلف عن حال الحيوان، وإن كانت من ذوات الأرواح، كما في التعريف اللغوي العام، ولا تدخل في مصطلح الحيوان.

ومن ذلك: حديث القرآن عن الغنم، وتشمل: الضأن والماعز مقرونة بالحديث عن الأنبياء في أكثر من موضع، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾ [الأنبياء].

وكما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨﴾ [طه].

---

(١) انظر: *http://ar.wikipedia.org*، بتاريخ ٢٠١٦/١٢/٩م.

(٢) انظر: كتاب (الحيوان)، للدميري.

كما ورد في القرآن الكريم الحديث عن شيء من تصنيفها، فمن ذلك تسمية سورة الأنعام، ويقصد بالأنعام الحيوانات المستأنسة في الرعي، وخصوصًا المأكول منها.(١)

وأكد القرآن على أنها أمم أخرى مثل الناس، وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام].

ويعني ذلك أصنافًا بشيء من التجانس بينها.(٢)

ويرى ابن عاشور في تفسيره: (أن لها خصائص لكلّ جنس ونوع منها، كما لأمم البشر خصائصها، أي: جعل الله لكل نوع ما به قوامه، وألهمه اتِّباع نظامه، وأن لها حياة مؤجلة لا محالة، فمعنى أمثالكم المماثلة في الحياة الحيوانية، وفي اختصاصها بنظامها).(٣)

وأشار القرآن إلى تعددها، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢/٥٨٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٦٨٣.

(٣) انظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، في تفسيره للآية، تونس: دار سحنون.

وعُدَّتْ الحيوانات المستأنسة للركوب أو للأكل وغيره، ضمن الأصول المالية التي يسعى الناس لاقتنائها، والتفاخر بها، وتنافسوا في ذلك، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران].

كما عُدَّت مما يحرص المحاربون على غنيمته من الأعداء، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحشر].

فوائد الأنعام من الحيوان:

وعُدَّتْ الأنعام رزقًا للإنسان ونعمة، وحُددت فوائدها للإنسان في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأنعام].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾ [النحل].

وصرح القرآن الكريم بتسميتها (بهيمة)، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزخرف].

ويُعدُّ اللبن مما يستفاد من الأنعام، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النحل].

كما ورد الحديث عن تحليل الأكل من الأنعام في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ [المائدة].

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [غافر].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحج].

وعند البحث عن الأبواب الواردة في الدواب من مختلف الحيوانات والطيور وغيرها، نجد تعددًا وشمولية ورحمة وأدبًا.(١)

كما وردت قصص في السنة النبوية، ذكرت الأنعام في معرض الثروة والنعم التي يُحاسب عليها ثوابًا أو عقوبة.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، ج٢/٢٠٩؛ وكتاب الذبائح والصيد والتسمية، ج٦/٢١٧؛ وكتاب الزكاة، ج٢/١٠٨؛ كتاب العقيقة، ج٦/٢١٥؛ وانظر: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة باب تحريم تعذيب الهرة؛ وكتاب البيوع، ج٥/٦؛ وكتاب الزكاة، ج٣/٦٦؛ وكتاب الذبائح والصيد وما يؤكل من الحيوان، ج٧/٥٦؛ وكتاب الأضاحي، ج٧/٧٣؛ وكتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، ج٤/٤٤.

وقد عُدَّتْ مصدرًا للثروة، وورد في السنة ما يشير إلى ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع ﷺ يقول: ((إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى بدا لله ﷻ أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قذرني الناس. قال: فمسحه، فذهب عنه، فأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا. فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، أو قال: البقر، هو شك في ذلك أن الأبرص والأقرع، قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر، فأعطي ناقة عشراء، فقال: يبارك لك فيها، وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا، قد قذرني الناس، قال: فمسحه، فذهب وأعطي شعرًا حسنًا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة حاملاً، وقال: يبارك لك فيها. وأتى الأعمى، فقال أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إليَّ بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدًا، فأنتج هذان، وولد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من غنم.

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، تقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرًا أتبلغ عليه في سفري، فقال له: إن الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرصَ يقذرك الناس، فقيرًا، فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر. فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا. فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين، وابن سبيل، وتقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى، فرد الله بصري، وفقيرًا فقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك)).[1]

كما جاء التحذير في القرآن من تشويه الأنعام وتغيير خلقها، وذلك جزء من الرحمة بها، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء].

وفي الجاهلية، دخل الشرك في تقديم القرابين من الحيوان للأصنام، في عمليات تعذيب فيها شرك بما يغضب الله، ويؤذي الحيوان.

فقد ورد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا عقر في الإسلام)).[2]

وكانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى، أي: ينحرونها، ويقولون: إن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته، فنكافئه بمثل صنيعه بعد وفاته،[3] وأصل العقر: ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم.[4]

وقد ورد ذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ

(١) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، (حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل)، ج٤/١٤٦.

(٢) انظر: سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب كراهية الذبح عند القبر، ح برقم: ٣٢٢٢، ص ٥٨٠، وصححه الألباني.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره للآية، ج١/٦٢٥.

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤/٥٩٣.

لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ [الأنعام].

وكان الناس، ولا يزالون في مختلف البلدان حتى الآن، يضعون الوسم أو العلامة على جسم الحيوان كيًّا بالنار علامةً تُبيِّن ملكية الحيوان، مثل الناقة أو البعير لدى القبائل العربية وغيرها،[١] ويُعَدُّ هذا هو الدليل الأساسي لملكية أي ناقة أو بعير، وقد كان الرسول ﷺ يَسِمُ الإبل، ولا يسم في الوجه، ولا بأس به في غيره، وقال جابر رضي الله عنه: ((نهى رسول الله ﷺ عن ضرب الوجه، وعن وسم الوجه)).[٢]

وفي لفظ: ((مُرَّ عليه بحمار قد وسم في وجهه، فقال: لعن الله الذي وسمه))،[٣] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((رأى رسول الله ﷺ حمارًا موسومًا في الوجه، فأنكر ذلك، فقال: فوالله لا أسمه إلا في أقصى شيء من الوجه. وأمر بحمار، فكوي على جاعرتيه، فهو أول من كوى الجاعرتين))،[٤] وقد حرم ﷺ اتخاذ ذوات الأرواح غرضًا للرمي بالنبال أو الرماح أو الحجارة أو غيرها؛ لما في ذلك من تعذيب لها، فقال ﷺ: ((لعن الله من اتخذ شيئًا فيه

(١) انظر: مساعد بن فهد السعدوني، وسوم الإبل في الجزيرة العربية (بادية وحاضرة).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه، ج٦/١٦٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه، ج٦/١٦٣.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه، ج٦/١٦٣؛ و(الجاعرتان): هما حرفا الورك المشرفان مما توسم به البهيمة (الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١/٣٩١).

روح غرضًا))،[١] وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا))،[٢] والمراد بالغرض الهدف.

وقد ورد النهي عن تحميل الدابة ما لا تطيق من الناس.[٣]

وقد نهى ﷺ عن اتخاذ الدواب كراسي للجلوس، وليس للسير، قال رسول الله ﷺ: ((لا تتخذوا ظهور الدواب كراسي لأحاديثكم، فرب راكب مركوبة هي خير منه وأطوع لله وأكثر ذكرا)).[٤]

وقد جاء التحذير من قطع الأشجار التي تستفيد منها الحيوانات، فقال رسول الله ﷺ: ((من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار))،[٥] وفي رواية: ((لعن الله قاطع السدر)). وهذا يعني أنه يحرم الناس والبهائم من الاستفادة من ظلها وغيره.

وقد حدد التحريم والتحليل والتشريع فيما يرتبط بالأنعام بما شرعه الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب العيد، باب النهي عن صبر البهائم، ج٦/٧٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب العيد، باب النهي عن صبر البهائم، ج٦/٧٢.

(٣) انظر، ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الأدب، ج٩/٣٦.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الأدب، باب في طول الوقوف على الدابة، ج٨/٤٩٢؛ ورواه الدارمي في سننه بلفظ آخر في كتاب الاستئذان، باب في النهي عن أن تتخذ الدواب كراسي، ج٢/٢٨٦.

(٥) رواه أبو داود في سننه، باب في قطع السدر، ح برقم: ٥٢٣٩ و ح برقم: ٥٢٤١، ص ٩٤٧، (وقد أشار أبو داود إلى أن هذا يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثًا وظلمًا بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار)، ص ٩٤٧؛ وصححه الألباني بزيادة من سدر الحرم، ج٢/١٧٣، ح برقم: ٦١٤؛ انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٢/١٧٧.

وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [الأنعام].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام].

وشُرعت الزكاة في بهيمة الأنعام، وجاءت تفصيلات زكاتها بأنواعها المختلفة دقيقة، وكان ﷺ يطبقها على أهل الزكاة، وكان إخراج الزكاة، ومنها زكاة بهيمة الأنعام، من أهم أعمال أُمرائه وولاته وعماله ﷺ.[1]

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ، فقال: ((والذي نفسي بيده، أو والذي لا إله غيره أو كما حلف، ما من رجل تكون له إبل أو بقر أو غنم لا يؤدي حقها إلا أُتي بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه، تطؤه بأخفافها، وتنطحه بقرونها، كلما جازت أخراها ردت عليه أولاها، حتى يقضى بين الناس)).[2]

وقد مُيِّزت بعض الحيوانات بالتعليم والتدريب على الصيد والحراسة، وتميزت عن غير المعلمة في الأحكام نتيجة لذلك،[3] قال ـ تعالى ـ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ

(١) انظر: عبد العزيز العُمري، الولاية على البلدان في عصر الراشدين، ص ٢٦.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب زكاة البقر، ج١٢٥/٢.
(٣) انظر: سنن الدارمي، ج٨٩/٢؛ وسنن الترمذي، ج٦٥/٤؛ وانظر: عبد العزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز في العصر النبوي، ص ٥٢.

﴿اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ [المائدة].

كما أن من لا يعقلون من البشر شُبِّهوا بالأنعام في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد].

وجاءت النصوص الشرعية بالحث على الإحسان إلى الحيوان، وبيَّنت أن الرفق بالحيوان من العبادات التي يؤجر عليها فاعلها من المسلمين. وهي من أقوى أسباب المغفرة، وكان ﷺ خير قدوة في تنفيذ ذلك، والرحمة بالحيوان، وتنبيه الناس عليه، فقد رأى ﷺ جملاً هزيلاً، فقال: ((اتقوا الله في هذه البهائم، أطعموها واركبوها صالحة ...)).(١)

وقد تعلم أصحابه منه ﷺ المسؤولية والرحمة بالحيوان، فقد قال عمر رضي الله عنه: (لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة، لظننت أن الله عز وجل سائلي عنها يوم القيامة)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول: لو مات جَدْي بطف الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر. وعن علي رضي الله عنه قال: (رأيت عمر بن الخطّاب رضي الله عنه على قتب يعدو، فقلت:

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، ج٤/٤٤.

يا أمير المؤمنين؛ أين تذهب؟ قال: بعير نَدَّ من إبل الصدقة أطلبه، فقلت: لقد أذللت الخلفاء بعدك، فقال: يا أبا الحسن؛ لا تلمني، فوالذي بعث محمدًا بالنبوة، لو أن عناقًا أخذت بشاطئ الفرات. لأُخذ بها عمر يوم القيامة).[١]

وقد اهتم الفقهاء والمحدثون بالرحمة بالحيوان، ففي صحيح مسلم باب (فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها).[٢]

الغنم:

ورد الحديث عن الغنم في القرآن الكريم في أكثر من موضع، من ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾ [الأنبياء].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨﴾ [طه].

وكانت الغنم هي الثروة الأولى لدى العرب، وخصوصًا الأعراب، وكانت مصدرًا مهمًّا للرزق، يعتمدون على لحومها وألبانها، وما يستخرج من سمنها وأقِطها في غذائهم، وإكرام ضيوفهم، وعلى أصوافها وجلودها في لباسهم ومساكنهم وأثاثهم، وتختلف قطعانها من حيث الكثرة والقلة، وفي كل المدن والبلدان يوجد منها مجموعات ترعى بقرب بلدانها تسمى السرح، ويدخل في المصطلح: الضأن والماعز، وقد ورد الحديث عنهما في سورة الأنعام في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾ [الأنعام].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، ح برقم: ٢٥٤٨، ص ٤٤٨.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، ج٤/٤٤.

وقد ورد الحديث عنها في السنة النبوية في مواضع متعددة، من ذلك تأكيد عمل الأنبياء في رعيها، كما قال ﷺ: ((ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال ﷺ: نعم؛ كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)).(١)

كما وضع البخاري في صحيحه باب (خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال).(٢)

وجاء الحديث عن الغنم وبركتها، عَنْ أُمِّ هَانِئٍ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((اتَّخِذُوا الْغَنَمَ، فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةً)).(٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، والفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم)).(٤)

وقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن)).(٥)

---

(١) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم، ج٣/٤٨؛ وانظر: عبد العزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز في العصر النبوي، ص ٦٧.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ج٤/٩٧.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/٤٢٤.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ج٤/٩٧.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ج٤/٩٧.

كما وردت أحاديث متعددة عن احتلاب الرسول ﷺ للغنم في أكثر من حادثة، وشرب لبنها، وعن أكل لحومها.

ولأهميتها الاقتصادية وغيرها، فقد وردت تفصيلات واضحة عن زكاة الغنم في أحكام زكاة الأنعام.[١]

ولعل رعاتها يمتازون عن غيرهم، بالعطف والخبرة والرحمة، ومراعاة ظروفها والضعاف فيها، وحاجتها الدائمة للرعاية وتأمين الماء، والحماية لضعفها، ومن هنا كان عمل الأنبياء فيها نوعًا من الإعداد والتربية لهم لتحمل مسؤولية أممهم.

وقد أُبيح لرعاة الأغنام الاستعانة بالكلاب؛ لحماية أغنامهم من الذئاب، كما ورد في الحديث: ((من أمسك كلبًا فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراط، إلا كلب حرث أو ماشية))، وفي رواية: ((إلا كلب غنم أو حرث أو صيد)).[٢]

الإبل:

من الحيوانات التي ذكرت في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومرت في أحداث سيرته ﷺ.

وهي اسم للجمع، ويطلق على الذكر من الجمال، ويقال للأنثى: ناقة، والجمع نوق، ولها ألقاب مختلفة عرفت بها،[٣] وهي منتشرة في بلاد العرب

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب زكاة الغنم، ج١٢٣/٢؛ وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، ج١٧٨/٣؛ وانظر: النسائي، سننه، كتاب الزكاة، باب زكاة الإبل، ج١٧/٥.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٧٠/١٠.

(٣) انظر بتوسع: فوزان حمد الماضي، موسوعة الإبل ـ أسماؤها ـ أوصافها ـ طباعها، الرياض: دارة الملك عبد العزيز ١٤٣٨هـ.

وما جاورها، وتعد ثروة كبيرة لمن يقتنيها، فهي للأكل واللبن والنقل والصوف والجلود، وغير ذلك من الفوائد في السلم والحرب، في السفر والحضر.(١).

ويطلق اسم البعير أو الجمل على الذكر، ويسمى في صغره قعودًا، والأنثى تسمى ناقة، كما تسمى قلوصًا وبكرة، والشارف هي الناقة المسنة، والبدنة تطلق على الذكر والأنثى من الإبل،(٢) ومنه قوله ـ تعالى ـ في سورة الحج: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُمْ مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحج].

واشتُهِرت الجمال بالصبر، ويُعرف الجمل بسفينة الصحراء؛ وذلك لتكيفه على المعيشة في جدب الصحراء، مع قلة العشب والماء، وقد ورد الحديث عن الإبل قبل محمد ﷺ في قصة نبي الله صالح عليه السلام مع قومه ثمود، حيث كانت ناقة صالح آية لقومه، وردت في سُوَر متعددة، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾﴾ [الشمس].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) انظر: جواد علي، المفصل، ج١١٣/٧.

(٢) ابن العماد الشافعي، شهاب الدين أحمد، التبيان فيما يحل ويحرم من الحيوان، تحقيق أبي عبد الرحمن عبد الكريم بن رسمي الدريني، ط١ ـ الرياض: دار ابن القيم ١٤٣٠هـ، ص ٤٠.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [هود].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء].

وورد الحديث عن الإبل في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأنعام].

وحين تتبع سيرته ﷺ نجد الإبل من أهم الحيوانات في الحجاز في عصر النبي ﷺ، ولها أهمية خاصة في المدينة المنورة، بسبب الحاجة إليها في الزراعة والتنقل وغير ذلك، وقد استخدم الرسول ﷺ الجمل في كل تنقلاته وسفرياته وغزواته، فلا تجد رحلة نبوية إلا والإبل رفيقته فيها، وقد عُرف للنبي ﷺ عدد من الإبل من النوق والجمال، كما وردت في أحاديث البيع والشراء، والزكاة،[1] والأكل من لحومها، أو شرب ألبانها، والتداوي بأبوالها.

وقد جُعلت الإبل مقدار الدّية في حوادث القتل، مما جعل لها قيمة كبرى لدى العرب عمومًا، وتتغير الدية النقدية تبعًا لقيمة الإبل، وهي محل الدّية.[2]

مرَّ الرسول ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: ((اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة)).[3]

---

(١) انظر: النسائي، سننه، كتاب الزكاة، باب زكاة الإبل، ج٥/١٧.

(٢) انظر: ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الديات، ج٩/١٣٠.

(٣) رواه أبو داود في سننه، برقم: ٢٥٤٨، ص ٤٤٨؛ وصححه الألباني في الكتاب نفسه.

ودخل رسول الله ﷺ حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ، فمسح ذفراه[١] فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله؛ فقال: ((أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه)).[٢]

وورد عن سراقة بن مالك بن جعشم ﷺ أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أنزع في حوضي حتى إذا ملأته لإبلي ورد عليَّ البعير لغيري فسقيته، فهل في ذلك من أجر؟ فقال رسول الله ﷺ: ((إن في كل ذات حرى كبد أجر)).[٣]

((وخرج رسول الله ﷺ في حاجة، فمر ببعير مناخ على باب المسجد من أول النهار، ثم مر به آخر النهار وهو على حاله، فقال: أين صاحب هذ البعير؟! فابتغي فلم يوجد، فقال رسول الله ﷺ: اتقوا الله في هذه البهائم، ثم اركبوها صحاحًا، واركبوها سمانًا كالمتسخط آنفًا)).[٤]

عن أبي برزة ﷺ قال: كانت راحلة أو ناقة، أو بعير عليها بعض متاع القوم، وعليها جارية، فأخذوا بين جبلين، فتضايق بهم الطريق،

---

(١) ذافره: ما فاض من عينيه.

(٢) رواه أبو داود في سننه، ح برقم: ٢٥٤٩، ص ٤٤٩، وصححه الألباني.

(٣) انظر: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، ج٧/٤٤؛
وانظر رواية الإمام أحمد في مسنده، (مسند سراقة بن مالك بن جعشم ﷺ)، ج٤/١٧٥؛
وانظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الزكاة، باب سقي الماء، ج٣/٣٢١.

(٤) انظر رواية الإمام أحمد في مسنده، حديث سهل بن الحنظلية ﷺ، ج٤/١٨١؛ وسنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، ص ٤٤٨، ح برقم: ٢٥٤٨.

فأبصرت رسول اللَّه ﷺ، فقالت: حل حل، اللهم العنها، فقال رسول الله ﷺ: ((من صاحب هذه الجارية؟ لا تصحبنا راحلة، أو ناقة، أو بعير، عليها من لعنة اللَّه)).[١]

ذِكْرُ إبل رسول الله ﷺ: اشتهرت القصواء من بين إبل رسول الله ﷺ، وقيل: كان اسمها القصواء والجدعاء والعضباء.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت لرسول الله ﷺ ناقة تسمى العضباء، وكانت لا تُسبق، قال: فقدم أعرابى على قعود له، فسابقها فسُبقت، فشق ذلك على المسلمين، قالوا: سُبقت العضباء، قال: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: ((إنه حق على الله ألا يرتفع من الدنيا شيء إلا وضعه)).[٢]

وقد ركب ﷺ الإبل في عدة مواضع، فعرف الصحابة ما كان يركبه منها، فعن قدامة بن عبد الله رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ في حجته يرمى على ناقة صهباء)، وعن سلمة بن نبيط عن أبيه قال: (رأيت رسول الله ﷺ في حجه بعرفة على جمل أحمر).

ذِكْرُ لقاح[٣] رسول الله ﷺ: استخدم ﷺ ألبان الإبل، فقد كانت لرسول الله ﷺ لقاح، وهى التى أغار عليها بالغابة، وهى عشرون لقحة، وكانت التي يعيش بها أهل رسول الله ﷺ، يراح إليه كل ليلة بقربتين عظيمتين من

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، ج٨/٢٣؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، أول مسند البصريين، (حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه) ج٤/٤١٩؛ وانظر رواية أبي داود في سننه، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، ص ٤٤٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، ج٧/١٩٠.

(٣) اللقاح: هي النوق المخصصة للحليب أو اللبن.

لبن، فكان فيها لقائح لها غزر الحناء، والسمراء، والعريس، والسعدية، والبغوم، واليسيرة، والدباء.

قالت أم سلمة ﵂: (وكان عيشنا مع رسول الله ﷺ اللبن، أو قالت: أكثر عيشنا، كانت لرسول الله ﷺ لقائح بالغابة، كان قد فرقها على نسائه، فكانت لي منها لقحة تدعى العريس، وكنا منها فيما شئنا من اللبن، وكانت لعائشة ﵂ لقحة تدعى السمراء غزيرة، ولم تكن كلقحتي، فقرب راعيهن اللقاح إلى مرعى بناحية الجوانية، فكانت تروح على أبياتنا، فنؤتى بهما فتحلبان، فتوجد لقحته، تعني النبي ﷺ أغزر منها بمثل لبنها أو أكثر.[1]

وعن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة ﵂ قالت: (أهدى الضحاك بن سفيان الكلابي لرسول الله ﷺ لقحة تدعى بردة، لم أرَ من الإبل شيئًا قَطُّ أحسن منها، وتحلب ما تحلب لقحتان غزيرتان، فكانت تروح عليّ). وقيل: كانت لرسول الله ﷺ سبع لقائح، وكان فيها غلام النبي ﷺ يسار، فقتل وسرقت، قال: لما أمسى رسول الله ﷺ، ولم يأته لبن لقاحه قال: ((عَطَّشَ اللهُ مَن عَطَّشَ آل محمد)).[2]

البقر:

البقرة جنس من الحيوانات الثديية المجترة، وُجدت أصلاً في الطبيعة سائبة بشكل وحشي، استأنست منذ زمن طويل، واستُخدمت لأغراض

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذي قرد، ج٥/٧١؛ وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد، ج٥/١٨٩؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/٤٢٥، (قسم السيرة النبوية).

(٢) وله شواهد عند البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة المائدة، باب ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾، ج٥/١٨٧؛ وفي سنن أبي داود، ص ٧٨٣، ح برقم: ٤٣٧٠.

شتى، من جر العربة، والمحراث، وتدوير الطاحونة، والرحى، وإدارة الساقية، وللاستفادة من لحمها وحليبها وجلدها.

البقر اسم جنس البقرة من الأهلي والوحشي، يكون للمذكر والمؤنث،[١] والجمع بقرات وأبقار، وصغيرها يعرف بالعجل، ومنه الجاموس، ولكنه يختلف في اللون والحجم، واشتق الاسم من بقر: إذا شق؛ لأنها تشق الأرض بالحراثة.

والبقرة مقدسة لدى الهندوس حتى الآن، وللبقرة ذكر في الديانات السماوية، فقصتها معروفة مع نبي الله موسى عليه السلام وبني إسرائيل، وقد ذكرها الله في القرآن تفصيلاً في سورة البقرة، وهي أطول سور القرآن الكريم المشتملة على الأحكام.[٢]

وقد كان البقر منتشرًا لدى العرب عمومًا، وفي نواحي الحجاز خصوصًا، وقد رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((افتتحنا خيبر، ولم نغنم ذهبًا ولا فضة، إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط))،[٣] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: ((إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط اللَّه عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)).[٤]

وكان البقر الوحشي موجودًا في بلاد العرب في العصر النبوي، ومما عرف من الصيد في تلك الفترة.[٥]

---

(١) ابن العماد الشافعي، التبيان فيما يحل ويحرم من الحيوان، ص ٧٣.

(٢) انظر: (*http://ar.wikipedia.org*)، بتاريخ ٢٠١٦/١٢/٢٠م.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده؛ وأبو داود؛ وصححه الألباني.

(٥) العُمري، عبد العزيز، الحرف والصناعات في العصر النبوي، ص ٥٥.

وقد سميت باسمها سورة من سور القرآن الكريم، وورد فيها عدة آيات، مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [البقرة].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام].

كما وردت في قصص الأنبياء والأمم السابقة، وكان بعضهم يقدسها لدرجة الشرك، كما فعل ذلك بنو إسرائيل بتقديسهم العجل، ورد ذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة].

وقد وضع البخاري في صحيحه باب (ذبح الرجل البقر عن نسائه من غير أمرهن).[1]

ورد فيه عن عائشة رضي الله عنها قولها: (خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمس بقين من ذي القعدة، لا نرى إلا الحج. فلما دنونا من مكة أمر رسول الله ﷺ من لم يكن معه هدي إذا طاف وسعى بين الصفا والمروة أن يحل. قالت: فدخل

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب ذبح الرجل البقر عن نسائه من غير أمرهن، ج٢/١٨٤.

علينا يوم النحر بلحم بقر، فقلت: ما هذا؟ قال: نحر رسول الله ﷺ عن أزواجه).[١]

وقد كانت الأبقار في معظم بلاد العرب، وتكثر في اليمن، ووجّه ﷺ معاذ بن جبل بأوامر ترتبط بزكاتها، فقد ورد عنه أنه قال: (فأمرني أن آخذ من كل أربعين بقرة ثنية، كما أمره أن يأخذ من كل ثلاثين من البقر تبيعًا أو تبيعة. وألا آخذ من البقر شيئًا حتى تبلغ ثلاثين).[٢]

ولعل من باب الرحمة بالبقر النهي عن ركوبها، كما يُفعل بالحمير والإبل والخيل، وأنها لم تخلق لذلك.

فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه، فقالت: لم أُخلق لهذا، خلقت للحراثة. قال: آمنت به أنا وأبو بكر وعمر... الحديث)).[٣]

وفي هذا الحديث نهي عن ركوب البقر، وذكر لاستخدامها الذي خلقت من أجله، وهو الحرث، وهذا ما جعل البخاري رحمه الله يبوِّب بهذا المعنى لهذا الباب.[٤]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب ذبح الرجل البقر عن نسائه من غير أمرهن، ج٢/١٨٤.

(٢) رواه أبو داود في سننه، ص ٢٤٣، ح برقم: ١٥٧٦.

(٣) رواه البخاري، كتاب المزارعة، باب استعمال البقر للحراثة، ج٣/٦٧.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب استعمال البقر للحراثة، ج٣/٦٧.

الخيل، والبغال، والحمير:

عرفت في كل العالم، وفي المدينة في العصر النبوي، وتحدثت عنها بعض آيات القرآن الكريم، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة].

وورد الحديث عنها في الأحاديث النبوية، وسنتحدث عن ذلك في مواضعه.

الخيل: اسم جنس لا واحد له، سميت خيلاً لاختيالها في مشيتها، وجمعها خيول، ويطلق الفَرَس على الذكر والأنثى منه، والخيل العربية من أفضل أنواع الخيول في العالم، و(المهرة) الأنثى من الخيل، ويطلق على المرأة الجميلة مهرة. ومعظم المذاهب تجيز أكل لحوم الخيل،[1] وتحرص كثير من شعوب وسط آسيا مثل قرغيزيا وغيرها على تناول لحومها، وتستهلك حتى الآن بكميات كبيرة هناك، يتناولها الناس في بعض بلدان العالم العربي.

وقد عُدت الخيل واقتناؤها من الزينة والمكاسب والمفاخر، وقد ورد في قوله ـ تعالى ـ في سورة آل عمران: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران].

---

(١) انظر: ابن العماد الشافعي، التبيان فيما يحل ويحرم من الحيوان، ص ١٦٥.

كما أن لها أهمية خاصة في الجيوش وإعدادها، كما جاء في قوله ـ تعالى ـ في سورة الأنفال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾[الأنفال].

والبغال: صنف من الحيوان بين الخيل والحمار، وقيل: إنه ينتج من التوالد بينهما، إلا أنه لا يولد له.

والحمير: تلحق بها في استخدام الناس لها، دون أن تكون من الجنس، وقد جمعت كلها في قوله ـ تعالى ـ في سورة النحل: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل].

وقد استخدم ﷺ الحمير في بعض تنقلاته، كما هو ثابت في حوادث السيرة النبوية.

ولعل الأوامر العامة بالإحسان إلى الحيوان تنطبق على الحمير والبغال، والأوامر الخاصة بالرحمة بالدابة عند الركوب شاملة لها.

الهرُّ ورحمتها:

الهرُّ وهو القط يجوز للإنسان شرعًا إبقاء القطط في المنزل، وأخذها وتربيتها وتملكها، مع خلاف في ثمنها، وكانت تطوف على بيوت الناس في مكة والمدينة في العصر النبوي ولا تزال.

أما أكل القطط من الطعام أو شربها من الماء، فإنه لا ينجسه؛ لما ورد في سنن أبى داود وغيره أن امرأة أرسلت بهريسة إلى عائشة ﵂، فوجدتها تصلي، فأشارت إلي أن ضَعِيهَا، فجاءت هرّة، فأكلت منها، فلما انصرفت، أكلت من حيث أكلت الهرة، فقالت: إن رسول اللَّه ﷺ قال:

((إنها ليست بنجس، إنما هي من الطوافين عليكم)). وقد رأيت رسول اللَّه ﷺ يتوضأ بفضلها، ((كان ﷺ يُصغي للهرة الإناء، فتشرب، ثم يتوضأ بفضله))،[١] وعن عبد اللَّه بنِ عمر ﷺ: أن رسول اللَّه ﷺ قال: ((عُذّبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها، ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)).[٢]

وعن امرأة أبي قتادة أن أبا قتادة دخل، فسكبت له وضوءًا، فجاءت هرة، فشربت منه، فأصغى لها الإناء حتى شربت. قالت كبشة: فرآني أنظر إليه، فقال: أتعجبين يا ابنة أخي؟ فقلت: نعم، فقال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: ((إنها ليست بنجسٍ، إنها من الطوافين عليكم والطوافات)).[٣]

وقوله: ((الطوافين عليكم)) إشارة إلى أنه لا يمكن أن يتحرزوا منها، فإذا شربت القطة من إناء أو أكلت من طعام فإنه لا ينجس، وصاحبه بالخيار، فإن طاب له أو احتاج لذلك فله أن يأكل أو يشرب؛ لأنه طاهر، إلا أن يتبين ضرره، وإن لم تطب نفسه بأكله أو الشرب منه تركه.[٤]

---

(١) رواه أبو داود في سننه، ص ١٩، ح برقم: ٧٦، وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب قتل الحيات وغيرها، باب تحريم قتل الهرة، ج٧/٤٣؛ والبخاري في صحيحه، كتاب الشرب والمساقاة، باب فضل سقي الماء، ج٣/٧٧.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الطهارة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في سؤر الهرة، ج١/١٥٣، ح برقم: ٩٢؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب سؤر الهرة، ص ١٩، ح برقم: ٧٥.

(٤) انظر موقع (الإسلام سؤال وجواب)، للشيخ محمد المنجِّد، *https://islamqa.info/ar/22373*، بتاريخ ١٤٣٩/٣/٩هـ.

الكلب:

وورد الحديث عن الكلب في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الكهف].

وقد ورد وصف للكلب ولمن يشابهه من البشر في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف].

وثبت أن الكلاب كانت تقبل وتدبر في المسجد في زمن رسول الله ﷺ.

ونُهي المسلم أن يقتني الكلب، إلا إذا كان محتاجًا إليه في الصيد، أو حراسة الماشية، أو حراسة الزرع أو ما شابهه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أمسك كلبًا فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط، إلا كلب حرث أو ماشية)).[1]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب اقتناء الكلب للحرث، ج٦٧/٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك، ج٣٥/٥؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الصيد، باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره، ص ٥٠٥، ح برقم: ٢٨٤٤.

وفي هذه الأحاديث إباحة اتخاذ الكلاب للصيد وحراسة الماشية، وكذلك الزرع، ويقاس عليه ما ماثله من فوائد.

فعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ الْمَلائِكَةَ لا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ)).(١)

فهذه الأحاديث تدل على النهي عن اقتناء الكلب، إلا ما استثناه الرسول ﷺ.

وقد وردت عدة أحكام تتعلق بنجاسة لعاب الكلب، مما يدل على أنه كان يصل إلى آنية الناس.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات، أولاهن بالتراب)).(٢)

ويرى ابن كثير أن الكلب هو المقصود في تفسيره للآية الكريمة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه، ج١٢٠٢/٢، ح برقم: ٣٦٥٠؛
وانظر: سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة ولا كلب، ج١١٥/٥، ح برقم: ٢٨٠٦؛
وانظر رواية، الإمام أحمد في مسنده، حديث أبي طلحة بن زيد بن سهل الأنصاري، ج٢٨/٤؛ وانظر: صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة، ج٦٦/٧؛ وسنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة ولا كلب، ج١١٤/٥، ح برقم: ٢٨٠٤.

(٢) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب الوضوء، باب إذا شرب الكلب في إناء أحدكم... ، ج٥١/١؛
رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب، ج١٦١/١.

مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ [المائدة]، وأورد أحاديث متعددة في هذا السياق.(١)

ومن باب الرحمة بالحيوان عمومًا: ضرب الرسول ﷺ مثالاً في الرحمة بالكلب، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا، فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خفه ماءً، ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله؛ وإن لنا في هذه البهائم لأجرًا؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر)).(٢)

الطيور:(٣)

ورد الحديث عن الطيور في القرآن الكريم في عدة مواضع، منها: أنها أمم كأمم الناس، في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام].

وقال ـ تعالى ـ في تميزها بالطيران: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل:

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٨٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، ج٧/٤٤؛ والبخاري في صحيحه، كتاب الشرب والمساقاة، باب فضل سقي الماء، ج٣/٧٧.

(٣) انظر: عبد اللطيف أحمد عاشور، موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي، القاهرة: ٢٠١٠م.

٧٩]. وذكر الطيران كمعجزة، في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك].

وذكر أن الطيور جنود مسخرة لبعض الأنبياء، في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء].

وهي من عباد الله تسبح له ـ تعالى ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور].

كما أكد القرآن الكريم على أن للطير لغة مشتركة تتفاهم بها فيما بينها، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل].

وعُدَّت الطير نوعًا من الجنود، في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [النمل]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [ص].

وذكرت الطيور في جند الله المواجهة أصحاب الفيل في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾ [الفيل].

كما ورد الحديث عن طيور معينة في القرآن الكريم، كالهدهد في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [النمل]، والغراب في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة].

وتعد لحوم الطير مما يحبه الناس، ووعد به أهل الجنة، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة].

وكانت الطيور مما يأكله الناس في العصر النبوي، وحددت أنواع المحرم منها والجائز أكله،[١] فما يأكل الجيف واللحوم ـ وهي ذات المخالب ـ محرمة الأكل، كالحداة والغراب وما ثلهما،[٢] ومنها ما هو داجن يربيه الناس، كالدجاج والحمام وما شابهه، ومنها ما هو بَريّ مما يصيده الناس.

وقد ورد في الحديث الشريف: ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا)).[٣] وتضمنت كتب الحديث حوارات بين الرسول ﷺ وبين من يمتهن الصيد، ومنهم: عدي بن حاتم، وزيد الخير رضي الله عنهما، عن الصيد بالبزاة،[٤] وهي الطيور الجارحة، كالصقور، فنزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ [المائدة].

وبهذا فإن المُعلَّم من الطير له تفضيل على غيره.

وقد ورد في الحديث: ((من قتل عصفورًا بغير حقه سأله الله عنه يوم القيامة. قيل: وما حقه؟ قال: أن تذبحه فتأكله)).[٥]

---

(١) انظر: مالك بن أنس، الموطأ، كتاب الصيد، ص ٤٠٠؛ وانظر: صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، ج٦/٢١٧، وفيه باب الدجاج، ج٦/٢٢٨؛ وصحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، ج٦/٥٦؛ وسنن النسائي، كتاب الصيد والذبائح، ج٧/١٧٩.

(٢) انظر: عبد الرحمن رأفت الباشا، الصيد عند العرب، ص ٢٢٨.

(٣) انظر: الترمذي، سننه، ج٤/٦٥.

(٤) انظر: أمين معلوف، معجم الحيوان، بيروت: دار الرائد العربي، ص ١٠٢.

(٥) الدرامي، سننه، ج٢/٨٤.

كما أن الرسول ﷺ كان يداعب أخًا لأنس بن مالك كان عنده طيرٌ، فيقول: يا أبا عمير؛ ما فعل النغير؟[١]. مما يدل على إقراره ﷺ كون هذا الطير عند ذاك الصبي، لكن من المؤكد أن ذلك يكون بغير أذًى، مع القيام بما يحتاجه من الطعام والشراب، إن كان محبوسًا.

ومن المعروف أن الطيور من ذوات الأرواح التي يشملها الأمر العام بالرحمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن امرأة بَغِيًّا رأت كلبًا في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له بموقها ـ أي استقت له بخفها ـ فغُفر لها)).[٢]

* * * * *

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي، ج١١٩/٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، ج٤٤/٧.

الخاتمة

لا أشك أن دراسة رحمته ﷺ جزء من سنته، وتساهم في نشر الرحمة التي هي رسالته.

والبحث حول رحمته ﷺ كثير الشواهد من الآيات القرآنية، التي تجاوزت الثلاثمائة موضع في القرآن الكريم، كما أن الشواهد في السنة النبوية يصعب حصرها والإلمام بها لكثرتها.

ولعلى بجهدي المتواضع هذا حاولت تصنيف وطرح موضوعات الرحمة في حياة النبى ﷺ للناس أفرادًا وجماعات، بل للحيوان، واجتهدت في الترتيب والتخريج بما يسره الله لي.

إن هذا الموضوع متشعب وكثيف المادة ودقيق التفصيلات، وخصوصًا حينما يربط بالقرآن الكريم وبحياته ﷺ وحياة الناس في البيئة التى عاش فيها النبى ﷺ، ويقف الإنسان مندهشًا أمام بعض المعلومات الدقيقة التى يجر إليها البحث في كتاب الله و سنة رسول الله ﷺ؛ من شواهد تربط بالرحمة في حياته ﷺ.

والرسول ﷺ أسوة للأمة، بل للإنسانية جمعاء إلى يوم القيامة، ففي الرحمة يتأسى به الناس أجمعون، لعل الله أن يرحم بخُلقه الخلق.

* * * * *

فهرس المصادر والمراجع

أولاً، المصادر:

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٨م).

- الكامل في التاريخ ـ بيروت: دار صادر ١٣٨٥هـ.
- أُسد الغابة في معرفة الصحابة ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).

الأزدي، محمد بن عبد الله (ت، ٢٣١هـ).

- تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عامر ـ القاهرة: مؤسسة سجل العربي ١٩٨٠م.

الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت، ٢٥٠هـ).

- أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح ملحس ـ بيروت: دار الثقافة ١٣٩٩هـ.

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت، ١٥١هـ).

- سيرة ابن إسحاق، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله، ط٢ ـ قونية تركيا: الوقف للخدمات الخيرية ١٤٠١هـ.

الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت، ٤٣٠هـ).

- دلائل النبوة ـ القاهرة: ١٣٩٧هـ.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد عبد الله (ت، ٤٣٠هـ).

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤ ـ بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ.

الأصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان (ت، ٣٦٩هـ).

- أخلاق النبي وآدابه، تحقيق مجدي محمد الشهاوي، ط١ ـ عالم الكتب ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين(ت، ١٤٢٠هـ).

- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، ط٣ ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط٢ ـ بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية (د. ت).

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت، ٢٣٥هـ).

- المصنف، تصحيح عبد الخالق الأفغاني ـ كراتشي: دار الفرقان ١٤٠٦هـ.

- المغازي، تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، ط١ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤٢١هـ.

البخاري، الحافظ أبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم (ت، ٢٥٦هـ).

- صحيح البخاري، (الجامع الصحيح) ـ الرياض: دار إشبيليا؛ ط١ ـ بيروت: دار الفكر ١٤١١هـ. (بالصفحات).

- الرياض، دار السلام ١٤١٧هـ (بالأرقام) حسب المعجم المفهرس.

- التاريخ الصغير، دائرة المعارف العثمانية،حيدر آبادر الدكن، الهند، ١٣٦١هـ.

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (ت، ٢٧٩هـ).

- فتوح البلدان ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ.
- أنساب الأشراف، القسم الثالث، تحقيق عبد العزيز الدوري، القسم الرابع، تحقيق إحسان عباس ـ بيروت: ١٣٩٨هـ و١٤٠٠هـ.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت، ٤٥٨ هـ).

- دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ.
- السنن الكبرى، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. (ت، ٢٧٩هـ).

- سنن الترمذي تحقيق أحمد محمود شاكر ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).
- شمائل النبي ﷺ، تحقيق ماهر ياسين فحل، ط١ ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٢٣هـ.
- مختصر الشمائل المحمدية، اختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني ـ عمَّان الأردنّ: المكتبة الإسلامية ـ بالرياض: مكتبة المعارف ١٤٢١هـ.
- أوصاف النبي، تحقيق سميح عباس، ط١ ـ بيروت: دار الجيل (د. ت).

التلمساني، محمد بن أبي الفضل بن قاسم.

- تحفة الأخيار في فضل الصلاة على النبي المختار، تحقيق د. محمد البنعاوي، بيروت: دار ابن حزم ١٤٣٢هـ.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت، ٨٧٤هـ).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي (د. ت).

التيمي، إسماعيل بن محمد [قوام السنة] (ت، ٥٣٥ هـ).

- دلائل النبوة، تحقيق محمد الحداد، ط١ـ الرياض: دار طيبة ١٤٠٩هـ.

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد السلام (ت، ٧٢٨ هـ).

- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط٤ ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).

- مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم وابنه محمد، ط٢ ـ القاهرة: مكتبة ابن تيمية ١٣٩٩هـ.

- منهاج السنة ـ بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

- أهل الصُّفة وأحوالهم، دراسة وتحقيق مجدي فتحي السيد، ط١ ـ طنطا: دار الصحابة للتراث ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ابن جماعة، عز الدين أبي محمد عبد العزيز بن بدر الدين أبي عبد الله (ت، ٧٦٧هـ).

- المختصر الصغير في سيرة رسول الله ﷺ، ط١ ـ القاهرة: عين للبحوث والدراسات ٢٠٠٥م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت، ٥٩٧هـ).

- صفة الصفوة، ط٢ ـ بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ.

- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق زينب إبراهيم القاروط ـ بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ـ القاهرة: مكتبة الآداب (د. ت).

- الوفاء بأحوال المصطفى ـ بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت، ٣٩٣هـ).

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ ـ بيروت: دار العلم للملايين ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت، ٤٠٥هـ).

- المستدرك على الصحيحين بذيله التلخيص للذهبي ـ القاهرة: مكتبة المطبوعات الإسلامية ١٣٩٠هـ.

ابن حبان، محمد بن أحمد التميمي البستي (ت، ٣٥٤هـ).

- صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت، ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، ١٨ج، ط١ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت، ٢٤٥هـ).

- كتاب المحبّر، تحقيق ايلزه ليختن شتيتر ـ بيروت: دار الآفاق (د. ت).

ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ).

- الإصابة في تمييز الصحابة ـ القاهرة: مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ.
- فتح الباري (شرح صحيح البخاري)، مراجعة: عبد الرؤوف سعد وآخرين ـ القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ.

الحلبي، على بن برهان الدين (ت، ٩٧٥هـ).

- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، (إنسان العيون) ـ بيروت: دار المعرفة ١٤٠٠هـ.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت، ٦٢٦هـ).

- معجم البلدان ـ بيروت: دار الكتاب العربي (د. ت).

ابن حنبل، الإمام أبي عبد الله أحمد (ت، ٢٤١هـ).

- مسند الإمام أحمد ـ بيروت: المكتبة الإسلامي ١٣٩٨هـ.
- فضائل الصحابة، تحقيق وصي اللّه بن محمد عباس، ط١ ـ بيروت: مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى مكة ومؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ.

الخزرجي، أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم (ت، ٩٢٣هـ).

- خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ببولاق: المطبعة الكبرى الميرية ١٣٠١هـ.

خليفة بن خياط، ابن أبي هُبيرة الليثي العصفري (١٦٠ ـ ٢٤٠هـ).

- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العُمري، ط٢ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٣٩٨هـ.

الدارمي، أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت ، ٢٥٥ هـ).

- سنن الدارمي، عناية محمد أحمد دهمان، (د. م) و(د. ت).

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت، ٢٧٥هـ).

- سنن أبي داود ، تعليق عزت عبير، ط١ ـ حمص: دار الحديث ١٣٩١هـ.

الدميري، كمال الدين محمد بن موسى (ت، ٨٠٨هـ).

- حياة الحيوان ا الكبرى، ط٢ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ.

الدولابي، محمد بن أحمد بن حماد (ت، ٣١٠ هـ) .

- الذرية الطاهرة النبوية، تحقيق سعد المبارك الحسن، ط١ ـ الكويت: الدار السلفية ١٤٠٧هـ.

الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٨٤٧هـ).

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (عهد الراشدين)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١ ـ بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ.

- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط٢ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ.

- السيرة النبوية، تحقيق حسام الدين القدسي ـ (بيروت): دار ومكتبة الهلال.

ابن زبالة، محمد الحسن (ت، ١٩٩هـ).

- منتخب من كتاب أزواج النبي، تحقيق د. أكرم العُمري، ط١ـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٩٨١م.

الزبيدي، أبو الفضل محمد مرتضى (ت، ١٢٠٥هـ).

- تاج العروس من جواهر القاموس، ط١. القاهرة: المكتبة الخيرية ١٣٠٦هـ.

الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (١٥٦- ٢٣٦هـ).

- نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، ط٣ - القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢م.

الزرقاني، محمد بن عبد الباقي (ت، ١١٢٢هـ).

- شرح المواهب اللدنية، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي - بيروت: دار الكتب ١٤١٧هـ.

ابن زنجويه، حميد بن مخلد بن قتيبة الأذري (ت، ٢٥١هـ).

- الأموال، تحقيق شاكر ديب فياض، ط١ - الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ١٤٠٦هـ.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت، ٩٠٢هـ).

- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، ط١ - المدينة المنورة: مؤسسة الريان ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت، ٢٣٠هـ).

- السيرة النبوية من الطبقات الكبرى، ط١ - القاهرة: الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٩هـ.

- سنن النبي ﷺ وأيامه، استخرجه ورتبه عبد السلام محمد عمر علوش ط١ ـ المكتب الإسلامي ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥ م.

- الطبقات الكبرى ـ بيروت: دار صادر (د. ت).

ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت، ٢٢٤هـ).

- الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، ط٢ ـ القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٥هـ.

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت، ٥٦٢هـ).

- الأنساب، تحقيق عبد الرحمن يحيى المعلمي، ط١ ـ بيروت: نشر محمد أمين دمج ١٤٠٠هـ.

السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (ت، ٩١١هـ).

- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط٣ ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠١هـ.

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (ت، ٥٨١هـ).

- الروض الأنف في تفسير السيرة لابن هشام، ضبط طه عبد الرؤوف سعد ـ بيروت: دار المعرفة ١٣٩٨هـ.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، أبو الفضل (ت، ٩١١هـ).

- الخصائص الكبرى (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب) ـ بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

- مسانيد أمهات المؤمنين، تحقيق محمد غوث الندوي ـ الهند: الدار السلفية ١٤٠٣هـ.

- حُسْن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط١ ـ القاهرة: دار إحياء الكتب العلمية ١٣٨٧هـ.

ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت، ٢٦٤هـ).

- تاريخ المدينة، تحقيق فهيم شلتوت ـ المدينة المنورة: نشرة السيد حبيب محمود أحمد ١٣٩٣هـ.

الصالحي الشامي، محمد بن يوسف (ت، ٩٤٢هـ).

- سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد، تحقيق مصطفي عبد الواحد وآخرون ـ القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩٢هـ ـ ١٣٩٩هـ.

- أزواج النبي ﷺ، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح، ط١ ـ دمشق: دار ابن كثير ١٤١٣هـ.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت، ٣٦٠هـ).

- المعجم الأوسط، تحقيق طارق عوض الله ومحمد الحسني، ط١ ـ الرياض: دار الحرمين ١٤١٥هـ.

- المعجم الكبير، ضبط وتخريج: أبو محمد الأسيوطي، بيروت ـ لنان: دار الكتب العلمية١٤٣٣هـ

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ).

- تفسير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ط١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ.

- تاريخ الأمم والملوك ـ بيروت: دار الفكر (د. ت).

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت، ٤٦٣هـ).

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (حاشية على الإصابة) ـ القاهرة: ١٣٢٨هـ.

ابن عبد الحكم، القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت، ٢٥٧هـ).

- فتوح مصر وأخبارها ـ لايدن: ١٩٢٠م.

عبد الرزاق، أبي بكر عبد الرزاق بن همام (ت، ٢١١هـ).

- مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢ ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ).

- تاريخ دمشق، صورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق مكملة من القاهرة وإسطنبول ـ المدينة المنورة: صورة أولى مكتبة الدار ١٤٠٧هـ.

- تاريخ دمشق (تراجم النساء)، تحقيق سكينة الشهابي، ط١ ـ دمشق: المجمع العلمي ١٩٨٢م.

العبّاد، عبد المحسن بن حمد. زقيل، عبد الله بن محمد.

- الصَّلاةُ عَلَى النَّبِي ﷺ فَضْلُهَا وَكَيْفِيَتُهَا، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ العدد: ٢٥ ـ (ص٤٧ ـ ٦١) ـ رجب ١٣٩٤هـ.

العصامي، عبد الملك بن حسن المكي (ت ، ١١١١هـ).

- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ط١ ـ القاهرة: المكتبة السلفية ١٣٨٠هـ.

ابن العماد الشافعي، شهاب الدين أحمد (ت، ٨٦٧هـ).

- التبيان فيما يحل ويحرم من الحيوان، تحقيق أبو عبد الرحمن عبدالكريم بن رسمي الدريني، ط١ـ الرياض: دار ابن القيم ١٤٣٠هـ.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت، ٨١٦هـ).

- القاموس المحيط، ط٢ ـ القاهرة: مكتبة مصطفي البابي الحلبي ١٣٧١هـ.

- الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر، حققه وعلق عليه محمد نور الدين عدنان الجزائري، عبد القادر الخياري، محمد مطيع الحافظ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت، ٧٥١هـ).

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام، تحقيق عبد القادر وشعيب الأرناؤوط، ط٢ ـ الرياض: مكتبة المؤيد.

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام، تحقيق زائد بن عبد الله النشيري، مكتبة المؤيد، الرياض.

- زاد المعاد في هدي خير العباد ـ بيروت: المكتبة العلمية (د. ت).

ابن كثير، إسماعيل بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت، ٧٧٤هـ).

- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد ـ بيروت: دار المعرفة ١٣٩٦هـ.

- تفسير القرآن العظيم، ط٢ ـ الرياض: دار كنوز إشبيليا ١٤٣٠هـ.

- البداية والنهاية، ط٣ ـ بيروت: مكتبة المعارف ١٩٧٨م.

- شمائل الرسول ﷺ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط١ ـ القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ٢٠١٠م.

ابن الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت، ٣٥٠هـ).

- تاريخ ولاة مصر، ط١ ـ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ابن ماجه، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ).

- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ القاهرة: ١٣٧٣هـ.

مالك بن أنس، الامام (ت، ١٧٩هـ).

- الموطأ، مراجعة: فاروق سعد، ط٨ ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠١هـ.

ابن المثنى، أبو عبيدة معمر (ت، ٢٠٩هـ).

- أزواج النبي ﷺ، تحقيق يوسف علي بديوي ـ بيروت: مكتبة التربية ١٤١٠هـ.

المحب الطبري، أبو جعفر أحمد بن عبد الله (ت، ٦٩٤هـ).

- الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط٢ـ القاهرة: مكتبة الخانجي ١٣٧٢هـ.

مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت، ٢٦١هـ).

- الجامع الصحيح ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة (د. ت).

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت، ٣٤٦هـ).

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق أسعد داغر، دار الهجرة ١٤٠٩هـ.

المقريزي، أحمد بن علي (ت، ٨٤٥هـ).

- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (القول الإبريزي) ـ القاهرة: مطبعة التوفيق ١٨٩٨م.

- إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع، حققه محمود محمد شاكر ـ القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت، ٧١١هـ).

- لسان العرب ـ بيروت: دار صادر (د. ت).

ابن النجار، الحافظ محمد بن محمود.

- أخبار مدينة الرسول، تحقيق صالح محمد جمال، ط٣ ـ مكة المكرمة: دار الثقافة ١٤٠١هـ.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (٢١٤ ـ ٣٠٣هـ).

- سنن النسائي، (السنن الكبرى.) بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠١هـ.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ ـ ٧٣٣هـ).

- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥هـ.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري (ت، ٢١٨هـ).

- السيرة النبوية، حققها مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبي ـ القاهرة: دار الكنوز الأدبية، (د. ت).

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت، ٨٠٧هـ).

- مجمع ا لزوائد ومنبع الفوائد ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ.

الواحدي النيسابور، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد (ت، ٤٦٨هـ).

- أسباب النزول، تحقيق كمال بسيوني زغلول ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١١هـ.

الواقدي، محمد بن عمر (ت، ٢٠٧هـ).

- المغازي، تحقيق مارسدن جونس ـ بيروت: عالم الكتب (د. ت).

أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين الحنبلي (ت، ٤٥٨هـ).

- الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، ط٣ ـ بيروت: دار الفكر ١٣٩٤هـ.

أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى ابن هلال التميمي (ت، ٣٠٧هـ).

- مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، بيروت: دار الثقافة العربية ١٤١٠هـ.

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت، ١٨٢هـ).

- كتاب الخراج، تحقيق قصي الدين الخطيب، ط٥ ـ القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٩٦هـ.

ثانيًا: المراجع:

إبراهيم، محمد يسري.

- الفهرسة الوصفية لمصادر السيرة النبوية، بلوجرافيا السيرة، ط١- دار النشر ١٤٣٦هـ.

أحمد، إبراهيم خليل.

- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن - الكويت: دار المنار ١٤٠٩هـ.

الأفغاني، سعيد.

- عائشة والسياسة ط٢ - دمشق: المكتبة الهاشمية ١٩٥٧م.

الألمعي، زاهر بن عواض.

- مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش - دراسة تحليلية، ط٤ - الرياض: مطابع الفرزدق ١٤٠٣هـ.

الباشا، عبد الرحمن رأفت.

- الصيد عند العرب، ط٢ - بيروت: وزارة المعارف السعودية، المكتبات المدرسية ودار الرسالة ١٣٩٨هـ.

مجلة البشارات.

- العدد الأول، نقلاً عن: *http://www.hurras.org*

بل، آيدرس هـ.

- مصر من الإسكندر حتى الفتح العربي دراسة، ترجمة عبد اللطيف أحمد علي - القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٨٨م.

البلوي، سلامة محمد الهريفي.

- رعاية الضعفاء في الحضارة الإسلامية، الشارقة: المنتدى الإسلامي ١٤٣٥هـ.

بينز، نورمان.

- الإمبراطورية البيزنطية، تعريب: حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ـ القاهرة: ١٩٥٠م.

فارس، بن أحمد (ت، ٣٩٥هـ).

- أسماء الرسول ﷺ ومعانيها، تحقيق ماجد حسن الذهبي، عالم الكتب ١٤٠٨هـ.

الثعالبي، عبد العزيز.

- معجزة محمد رسول الله، مراجعة: محمد اليعلاوي ـ بيروت: دار الغرب

الجزولي، أبو عبد الله محمد بن سليمان (ت، ٨٧٠هـ).

- دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي ﷺ، بيروت: المكتبة العصرية.

جمعة، أحمد خليل.

- نساء أهل البيت، ط٢ ـ دمشق: دار اليمامة ١٩٩٦م.

الجمل، إبراهيم محمد حسن.

- زوجات النبي ﷺ وأسرار الحكمة في تعددهن ـ القاهرة: مكتبة وهبة ١٩٨٣م.

حمادة، فاروق.

- الوصية النبوية للأمة الإسلامية في حجة الوداع ـ بيروت: دار القلم ١٤٢٣هـ.

- العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ط١ ـ دمشق: دار الفكر ١٤٢٦هـ.

الخشاب، يحيى.

- تفسير أقدم نص عن النظم الفارسية قبل الإسلام ـ القاهرة: (د. ت).

داود، عبد الأحد.

- محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، ترجمة حمد فهد الزين، ط١ ـ الرياض: مكتبة العبيكان ١٤١٨هـ

درمنغم إميل.

- حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، ط٢ـ القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٩م.

ديدات، أحمد.

- ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد، ترجمة إبراهيم خليل أحمد، موقع (*www.4shared.com*).

ديورانت، ول.

- قصة الحضارة ج٢ م١ (الشرق الأدنى القديم)، ترجمة أحمد بدران، ط٢ ـ القاهرة: ١٩٦١م.

رزق الله، أحمد مهدي.

- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط١ ـ الرياض: مركز الملك فيصل ١٤١٢هـ.

رستم، أسد.

- الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ط١ ـ بيروت: دار الكشوف ١٩٥٦م.

رنسيمان، ستيفن.

- الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٦١م.

الزركلي، خير بن محمود بن محمد.

- الأعلام، قاموس تراجم، ط٥ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.

سعادة، خليل.

- إنجيل برنابا ترجمة من الإنجليزية، تعليق أحمد حجازي السقا ـ الأردنّ: دار الأمل ٢٠٠٥م.

السعداوي، محمد حمزة.

- أولاد النبي ـ مكتبة القرآن للنشر والتوزيع ١٩٨٧م.

السعدوني، مساعد بن فهد.

- وسوم الإبل في الجزيرة العربية ـ بادية وحاضرة، الرياض: مطابع الحميضي ٢٠٠٥م.

سعيد، همام وآخرون.

- موسوعة أحاديث الشمائل النبوية، مركز دراسات السنة النبوية، سلسلة التصنيف الموضوعي للسُّنة رقم: (٣)، ط١ ـ مجلة البيان ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

السقا، أحمد حجازي.

- نبوة محمد في الكتاب المقدس، ط١ـ القاهرة: دار الفكر العربي ١٣٩٨هـ.

- غصن الرب في سفر أشعيا النبي.

شجاع، عبد الرحمن عبد الواحد.

- اليمن في صدر الإسلام ـ دمشق: دار الفكر ١٤٠٨هـ.

أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم (ت، ١٤٠٣هـ).

- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، ط٧ ـ دمشق: دار القلم ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الصالح، صبحي.

- النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، ط٥ ـ بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٠م.

الصلابي، علي بن محمد بن محمد.

- أصح الكلام في سيرة خير الأنام (السيرة النبوية). ط٣ ـ دمشق: دار ابن كثير ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

- الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق ﷺ ـ شخصيته وعصره، الإسكندرية: دار الإيمان ٢٠٠٢م.
- تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ﷺ ـ شخصيته وعصره، الإسكندرية: دار الإيمان ٢٠٠٢م.
- أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ شخصيته وعصره ـ الإسكندرية: دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢٥هـ.

طهماز، عبد الحميد.

- سيرة النبي، دمشق: دار القلم ٢٠٠٠م

الظاهري، أبو تراب.

- ذهول العقول بوفاة الرسول ـ جدة: دار القبلة ١٤٠٤هـ.

ابن عاشور، محمد الطاهر.

- التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون.

عاشور، عبد اللطيف.

- موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي، القاهرة: ٢٠١٠ م

عبد الرحمن، عائشة (بنت الشاطئ).

- بنات النبي ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠م.

علي، جواد.

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٦م.

العُمري، أكرم ضياء.

- السيرة النبوية الصحيحة، ط٣ ـ المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ١٤٢٥هـ.

العُمري، عبد العزيز بن إبراهيم.

- أثر أمهات المؤمنين في المجتمع المدني (عهد معاوية بن أبي سفيان نموذجًا)، بحث منشور ضمن كتاب أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية، ط١ ـ الرياض: ١٤٢٦هـ.

- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ط١ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤٢٢هـ.

- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ط٣ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤٢٠هـ.

- الفتوح الإسلامية عبر العصور، ط٢ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤١٩هـ.

محمد بن عبد الله غبان.

- مرويات الوثائق المكتوبة من النبي ﷺ وإليه ـ جمعًا ودراسة (رسالة دكتوراه) ـ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية (د. ت).

فرحان، جمال الريمي.

- أهل الصفة ـ دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة وادي النيل، السودان ـ عطبرة: كلية العلوم الإسلامية والعربية، أصول الدين، ٢٠٠٧م.

قلعه جي، محمد رواس.

- قراءة جديدة للسيرة النبوية ـ الكويت: دار البحوث العلمية ١٩٨٤م.
- قراءة سياسية، للسيرة النبوية، ط٢ـ بيروت: دار النفائس بيروت ١٤٢٠هـ.

القنوجي، محمد صديق حسن خان (ت، ١٣٠٧هـ).

- حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، حققه وعلق عليه د. مصطفى سعيد الخن ومحي الدين مستو، ط٢ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

الكردي، راجح عبد الحميد.

- شعاع من السيرة النبوية في العهد المكي ـ الأردنّ: دار الفرقان ١٤٠٦هـ.

كريستنسن، آرثر.

- إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام ـ القاهرة: ١٩٥٧م.

كلزية، عبد الوهاب.

- الشرع الدولي في عهد الرسول ﷺ ـ بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٤م.

كينث كانتزر ومجموعة من العلماء.

- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس أعدته لجنة لاهوتية مكونة من ١٣ عنصر برئاسته ـ القاهرة: شركة ماسترميديا ١٩٩٧م.

الماضي، فوزان حمد.

- موسوعة الإبل ـ أسماؤها ـ أوصافها ـ طباعها، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز ١٤٣٨هـ.

الموقد، ماجد بن صالح بن مشعان.

- وسائل معالجة الفقر في العهد النبوي ـ أهل الصفة أنموذجًا، الرياض: مكتبة المعارف ١٤٠٨هـ.

المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.

- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (السيرة والمدائح النبوية) ـ مؤسسة آل البيت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

معدي، الحسيني الحسيني.

- الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة، ط١ـ القاهرة: دار الكتاب العربي ٢٠٠٦م.

معلوف، أمين.

- معجم الحيوان، بيروت: دار الرائد العربي.

النابلسي، محمد راتب.

- بنات النبي، موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية.

الندوي، أبو الحسن علي الحسني.

- السيرة النبوية، تقديم د. يوسف القرضاوي، ط٣ـ دار القلم ١٤٢٧هـ.

الهاشمي، عبد المنعم.

- النبي ﷺ والنساء، ط١ـ الكويت: مكتبة المعارف المتحدة ١٤٢٩هـ.
- أبناء النبي ﷺ وأحفاده، ط١ ـ الكويت: مكتبة ابن كثير ١٤٢٩هـ.

اليامي، ضيدان بن عبد الرحمن.

- بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة (وثيقة المدينة)، ط١- الرياض: مكتبة المعارف ١٤٠٨هـ.

* * * * *

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة	٧
تعريف الرحمة	١٠
رسول الله ﷺ وطلب الرحمة	١٧
بنات المصطفى ﷺ ورحمته بهن	٢٣
زينب بنت الرسول ﷺ	٢٤
رقية بنت رسول الله ﷺ	٣٠
أم كلثوم بنت النبي ﷺ	٣٣
فاطمة بنت النبي ﷺ	٣٦
أقاربه ﷺ ورحمته بهم	٤٧
علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٥٣
الحسن والحسين رضي الله عنهما	٥٦
الحسين بن علي (الشهيد) رضي الله عنه	٦٢
حمزة بن عبد المطلب (سيد الشهداء) رضي الله عنه	٦٣
جعفر بن أبي طالب (ذو الجناحين الطيار) رضي الله عنه	٦٦
صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها	٦٩
العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه	٧٠
الفضل بن عباس (الرِدف) رضي الله عنه	٧٣
عبد الله بن عباس (الحَبْرُ) رضي الله عنه	٧٤
قُثَم بن العباس رضي الله عنه	٧٥
عمه أبو طالب	٧٦

الموضـــــوع	الصفحة

سلمان الفارسي رضي الله عنه ٧٩

أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ٨٦

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ٩٠

سودة بنت زمعة رضي الله عنها ٩٣

عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها ٩٤

حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها ١٠٢

أم سلمة رضي الله عنها ١٠٣

زينب بنت جحش رضي الله عنها ١٠٤

جويرية بنت الحارث رضي الله عنها ١٠٧

أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها ١٠٨

ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها ١٠٩

صفية بنت حيي رضي الله عنها ١٠٩

ماريه القبطية رضي الله عنها ١١٢

رحمة الرسول ﷺ بأصحابه ١١٥

حبه ﷺ لصحابته ١٢١

فقراء أهل الصفة ١٢٥

أبو بكر الصدِّيق (ثاني اثنين) رضي الله عنه ١٢٧

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٤١

عثمان بن عفان (ذو النورين) رضي الله عنه ١٤٧

زيد بن حارثة رضي الله عنه (الحِبّ مولى رسول الله ﷺ) ١٥١

أسامة بن زيد بن حارثة (الحِب) رضي الله عنه ١٥٤

الموضـــــوع	الصفحة
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه	١٥٨
كعب بن مالك وصاحباه	١٦١
الصحابيات	١٦٦
(حاضنة الرسول ﷺ) أم أيمن رضي الله عنها	١٧١
سمية أم عمَّار رضي الله عنها	١٧٥
فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها	١٧٥
أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها	١٧٧
أسماء بنت عميس رضي الله عنها	١٧٨
أم هانئ رضي الله عنها	١٧٩
فاطمة بنت أسد بن هاشم رضي الله عنها	١٨١
أم رومان بنت عامر رضي الله عنها	١٨١
أم سليم الرميصاء أو الغميصاء الأنصارية رضي الله عنها	١٨٢
أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنها	١٨٣
أم أبي هريرة رضي الله عنها	١٨٤
نَسيبة بنت كعب رضي الله عنها	١٨٥
أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها	١٨٥
فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنها	١٨٦
قتيلة بنت النضر بن الحارث رضي الله عنها	١٨٦
حبيبة بنت سهل بن ثعلبة رضي الله عنها	١٨٨
الحولاء بنت تويت رضي الله عنها	١٨٨
خولة بنت مالك بن ثعلبة رضي الله عنها	١٨٩

الموضـــــوع	الصفحة

خولة بنت حكيم بن أمية رضي الله عنها ١٩٠
الربيع بنت النضر الأنصارية رضي الله عنها ١٩١
رُفَيدة الأنصارية أو الأسلمية رضي الله عنها ١٩١
سَفَّانة بنت حاتم الطائي رضي الله عنها ١٩٢
سلمى بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها ١٩٢
سلمى بنت قيس الأنصارية النجارية رضي الله عنها ١٩٣
الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس رضي الله عنها ١٩٣
الشيماء بنت حليمة السعدية رضي الله عنها ١٩٤
عمرة بنت مسعود بن قيس رضي الله عنها ١٩٥
عميرة بنت أبي الحكم رضي الله عنها ١٩٥
عميرة بنت مسعود الأنصارية رضي الله عنها ١٩٦
فارعة بنت أبي أمامة رضي الله عنها ١٩٦
فاضلة امرأة عبد الله بن أنيس رضي الله عنها ١٩٧
ليلى الغفارية رضي الله عنها ١٩٧
جميلة بنت أبي الأقلح رضي الله عنها ١٩٧
أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها ١٩٨
أم رعلة رضي الله عنها ١٩٨
أم زفر الحبشية رضي الله عنها ١٩٩
رحمته ﷺ بالضعفاء ٢٠٠
رحمته ﷺ بالصغار..... ٢٠٢
رحمته بالأيتام ٢١٠

الموضـــــوع	الصفحة
رحمته بالفقراء والمساكين	٢١٤
رحمته ﷺ بالنساء	٢١٦
الزوجات	٢١٩
رحمته ﷺ بالأرقاء والخدم	٢٢٢
رحمته ﷺ بالأسرى	٢٢٥
وفي قصة أسْر سفانة بنت حاتم طيئ	٢٢٧
رحمته ﷺ بالمرضى	٢٣٢
رحمته ﷺ بكبار السن	٢٣٢
الرحمة بالميت	٢٣٣
رحمته ﷺ بعامة الناس	٢٣٦
رحمته ﷺ بالشعوب والأمم	٢٤١
الحبشة	٢٥٧
فارس	٢٦٤
الروم	٢٧٠
مصر	٢٧٨
رحمته ﷺ بأمته الوسط والشهيدة على الناس	٢٨٢
رحمته بالأجيال اللاحقة	٢٨٩
الرحمة بالحيوانات والطيور	٢٩٢
تعريف الحيوان	٢٩٤
حيوانات ذُكِرَت في القرآن الكريم	٢٩٥
فوائد الأنعام من الحيوان	٢٩٧

الموضـــــوع	الصفحة
الغنم	٣٠٥
الإبل	٣٠٧
ذِكْرُ إبل رسول الله ﷺ	٣١١
ذِكْرُ لقاح رسول الله ﷺ	٣١١
البقر	٣١٢
الخيل، والبغال، والحمير	٣١٦
الخيل	٣١٦
البغال	٣١٧
الحمير	٣١٧
الهرُّ ورحمتها	٣١٧
الكلب	٣١٩
الطيور	٣٢١
الخاتمة	٣٢٥
المصادر والمراجع	٣٢٦
الفهرس	٣٥١